

التصنيف

ص ح ص

في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها

تصنيف :

أحمد بن فارس

من أئمة اللغة في القرن الرابع

« شيخنا أبو الحسين - يعني ابن فارس - ممن رزق

« حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصنيف »

الصاحب بن عباد

عنيت بتصحيحه ونشره

المكتبة السلفية

لمؤسسيها

محب الدين الخطيب وعبد الفلاح الفتى

القاهرة : السكة الجديدة

(حقوق الطبع محفوظة)

القاهرة

١٩١٠ - ١٣٢٨

مطبعة المؤيد

١٥٥٥٦ مطبوع

مقدمة النشر

الأمة العربية اليوم في دور نهضة حديثة تلد لها الحاجة وتكيفها العوامل. والناظر إلى شعوب هذا العصر بعين أفق نقادة - يرى أن هذه النهضة الحديثة ستؤول بالشعب العربي المجيد إلى انقلاب عظيم، من حيث الشؤون الاجتماعية.

ولما كان الاحتفاظ بالثمين من تراث السلف، والأخذ بالنافع من نظام الخلف خير ما تنتهجه الأمم من مناهج التقدم - عزمت (المكتبة السلفية) على أن تكون عاملاً صغيراً في عالم العمل، فتخدم النهضة العربية الشريفة بنشر النافع من الفنون العصرية، وإحياء ما كان صنفه رجال هذه الأمة على عهد حضارتها الماضية - خصوصاً ما كان منها في أصول لغتنا وفروعها، لأنه لا حياة للأمم في تيار السياسة وعمان المجتمع إلا بحياة لغاتها. ونحن نتقدم اليوم إلى أمتنا العزيزة بالكتاب (الصاحبي) في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، للأمام اللغوي أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، استاذ (بديع الزمان الهمداني) وشيخ (الصاحب بن عباد) ومصنف الكتب الجليلة.



ولقد اعتمدنا في إحياء (الصاحبي) ونشره على نسخة صحيحة بخط الأستاذ اللغوي الجليل المرحوم (الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنيطي)، من مكتبته المحفوظة في المكتبة المصرية الخديوية في القاهرة،

وقد نقلها عن نسخة في إحدى مكاتب القسطنطينية، قرأت على المصنف عام ٣٨٢ هـ وعلى ظهرها بخطه ما نصه :

« قرأ عليّ (أبو محمد نوح بن أحمد الأديب) أعزّه الله هذا الكتاب من أوّله إلى آخره ، وصحّحه وسمعه بقراءته (أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالغضبان) و (أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القاري) .
« وكتبه (أحمد بن فارس بن زكرياء) بخطه : (الحمدية) في شعبان من سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . »

وفي آخرها يقول ناسخها المجاز له :

« وكتب (نوح بن أحمد اللوباساني) في شعبان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . »

وقال المرحوم (الشنقيطي) بعد ذلك :

« انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه يوم الثلاثاء لعشر خلت من شهر ربيع النبوي ، وكان ابتدائي فيه عشر خلت من المحرم ، فيكون ظرف اكتبه شهرين . »

« واكتبته من نسخة جليّة ، جميلة الخط . صحيحة جداً — إلا ما كان خطأً للمؤلف ، فلا يؤاخذ به الكاتب — وعلى النسخة خط المؤلف يمينه ، وإجازته لتلاميذه : نوح بن أحمد ومن حضر معه . »

« وكانت مقابلي إياه صفحة صفحة ، لا أبتدي صفحة إلا بعد مقابلة الصفحة التي كتبها قبلها ، فتمت كتابته ومقابلته في آن واحد والله الحمد .
« فجاءت بحمد الله نسختي هذه أجلّ من أصلها وأصحّ ، لاحتوائها عليه وعلى ما ليس فيه (يعني تعليقاته على بعض مواضع الكتاب) ، وقد

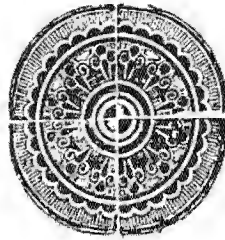
« اثبتناها في الطبع » .

« وكتبها لنفسه (محمد محمود بن التلاميذ التركي) ثم وقفه على عصبته بعده وفقاً مؤبداً ، فمن بدله فأثمه عليه .

« وذلك بقسطنطينية المحمية ، لعشر خات من ربيع النبري ، سنة أربع وثلاثمائة وألف ، ردني الله تعالى منها سريعاً إلى المدينة مردياً جميلاً ، عليه « توكلت وكفى بالله تعالى وكيلاً . »

وبعد فهذا مبلغ النسخة الأصلية من الصحة ، ونحن قد بذلنا الجهد في أن لاتجيء بعد الطبع دونها قبله — حتى بلغنا هذه الأمانة فيما نحسب . وعلى الله الأتكال .

القاهرة : غرة جمادى الثانية ، ١٣٢٨



أحمد بن فارس

عن معجم الأدباء ياقوت وبتمة الدهر لثعالي وطبقات اللغويين والنحاة لاسيوطي وعن ابن خلكان

نسبه وبلده :

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني - أحمد
أئمة اللغة العربية في القرن الرابع للهجرة .

ولد في جهة (كرسف) و (وجياناباذ) ، وهما قريتان من (رستاق الزهراء) ،
ولم نقف على تاريخ مولده . ومما يؤيد أنه ولد في كرسف ما رواه مجمع عن أبيه محمد
ابن أحمد - وكان من جملة حاضري مجالس أحمد بن فارس - قال : « أتاه آت ،
فسأله عن وطنه ، فقال (الرجل) : كرسف . فمثل الشيخ :

بلادُ بها شدّت عليّ تمائي ،
وأوّل أرض مسّ جسمي ترابها . »

ولم يذكّر ياقوت قريني كرسف وجياناباذ في معجم البلدان ، وإنما قال في
معجم الأدباء أنه وجد بخط مجمع بن محمد بن أحمد على نسخة قديمة من (كتاب
المجمل) تصنيف ابن فارس ما صورته :

« تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الزهراوي الاستاذ -
خرذي . اختلفوا في وطنه ، فقليل كان من رستاق الزهراء من القرية المعروفة
(كرسف) و (جياناباذ) وقد حضرت القريتين مرارا ، ولا خلاف أنه قروي . »
هذا ما علمنا من خبر موطنه الاول . أما (الحمدية) التي قريء (الصاجي)
فيها على ابن فارس بالاصل الذي نقل عنه الشنقيطي ، وفيها كتب كتابه (تمام
الفصيح) فقد نقل ياقوت في معجم البلدان عن كتاب محمد بن أحمد الفقيه أن
(المهدي) - لما قدم (الري) في خلافة (المنصور) - بنى مدينة الري التي بها
الناس اليوم ، وجعل لها خندقاً وبنى فيها مسجداً ، وجرى ذلك على يد (عمار بن

لخصيب) وكتب اسمه على حائطها ، وتم ههنا سنة ١٥٨ ، وجعل لها فصيلا يطيف به فارقين آخر . وسماها (المحمدية) . فأهل الري يدعون المدينة الداخلة (المدينة) ويسمون الفصيل (المدينة الخارجة) والحصن المعروف بالزبيدية في داخل المدينة (المحمدية) . وفي تاريخ (أبي سعيد الآتي) أنها سميت كذلك باسم المهدي .

أساتذته وتنقله في طلب العلم :

جاء في طبقات اللغويين والفحاة للسيوطي أن ابن فارس كان نحويا على (طريقة الكوفيين) ، وقد تعلم العلم عن أبيه وعن (أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان) — وهو كثيرا ماحدث ابن فارس في (الصاحبي) عنه — . وفي معجم الأدباء أنه أخذ أيضا على (أبي بكر أحمد بن الحسن الخطيب) رواية ثعلب وعلي (أبي عبد الله أحمد بن طاهر المنجم) و (علي بن عبد العزيز المكي) و (أبي عبيد) و (أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني) غير ذلك من العلوم .

وكان ابن فارس يقول عن شيخه ابن طاهر المنجم : « مارأيت مثل أبي عبد الله أحمد بن طاهر ، ولا رأى هو مثل نفسه » .

وقال يحيى بن مندة الأصبهاني : « سمعت عمي عبد الرحمن بن العبدى يقول ، سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا بن فارس النحوي يقول : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة ، فرأيت شابا عليه سمة الجلال فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته فقال : « من انبسط الى الاخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان » .

ويؤخذ من رواية (علي بن القاسم المقرئ) لرسالة (أوجز السير لخير البشر) عن مصنفها أحمد بن فارس أن المترجم به أقام مدة في مدينة الموصل وقرأ ابن القاسم تلك الرسالة فيها عليه .

أما أبو مصنف الصاحبي فكانت له يد في الأدب ، كما يستدل من رواية ابن فارس عنه قال : « سمعت أبي يقول : حججت فقيت بمكة ناسا من (هذيل) ، فجاريتهم في ذكر شعرائهم ، فما عرفوا واحدا منهم . ولكني رأيت أمثل الجماعة رجلا فصيحاً وأنشدني :

إذا لم تحظ في أرض فدعها ،
وحث اليعملات على وجاها (١)
ولا يفررك حظ أخيك فيها
إذا صفرت يمينك من جداها .
ونفسك فزبها - إن خفت ضيماً -
وخل الدار تحزن من بكائها :
فأنك واجد أرضاً بأرض ،
ولست بواجد نفساً سواها .

علمه وتلامذته :

على من ذكرنا من الأئمة والاساتذة تلقى المترجم به العلم ، حتى كان - كما قال
عنه أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر - من أعيان العلم بهمدان ومن أفراد الدهر ،
يجمع اتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء . وهو بالجل ك (ابن لذكك) بالعراق
و (ابن خالويه) بالشام و (ابن العلاف) بفارس و (أبي بكر الخوارمي) بخراسان .
وفي همدان قرأ (بديع الزمان الهمداني) على ابن فارس ، وله تلامذة كثيرون غيره .
ثم حمل منها الى الري بأجرة ليقراً عليه (مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة
أبي الحسين بن بويه الديلمي صاحب الري) فأقام بها قاطناً ، وتحول عن مذهب
(ابن ادريس الشافعي) الى مذهب (مالك بن انس) وقال : « أخذتني الحمية
لهذا الامام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه » .

وفي الري تعرف ابن فارس ب (الصاحب بن عباد) وزير (فخر الدولة بن بويه)
فكان الصاحب يكرمه ويتلمذ له ويقول :

« شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف » .

(١) ناقة عملة وعمالة وبعلة ، ج يعملات : فارغة (أي نشيطة وخفيفة وصبيحة) .

وحى الماشي : حفي . وهو أن يرق القدم أو الفرسن أو الحافر ، وينمجد .

وكان من ثمرات هذه الروابط أن وضع ابن فارس كتابه (الصاحبي) نسبة للوزير ودلالة على أنه صنفه ليودع في خزانته .

جمعت جامعة الأدب بين الصاحب وابن فارس حيناً من الدهر ، ثم تنازعت شؤون السياسة قليلاً — بدليل مارواه الثعالب عن ابن عبد الوارث قال : (وكان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس لا تنسأه إلى خدمة (آل العميد) — أو ابن العميد — وتعصبه لهم . فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال الصاحب : « رد الحجر من حيث جاءك » . ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصله .)

أمياله :

أما أخلاقه وأمياله وعواطفه — فلم يتصل بنا منها إلا أنه كان كريماً جواداً لا يبقى شيئاً . وربما سئل فوهب ثياب جسمه ، وفرش بيته
ويمكن لمن يجول بين أقواله وأشعاره جولة أن يخترق من الحجب ما لم تخترقه النصوص التاريخية ، وإن كان هذا في الغالب يترجم عن شعور ساعية محدودة ، أو مذهب يلزم صاحبه زمناً ثم يذهب بذهاب ذلك الزمن .

مثال ذلك أنك تجد ابن فارس في أبواب منشأ اللغة والخط من كتاب الصاحبي محافظاً ، ثم تراه في رسالته إلى (أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب) حراً مغرقاً في الحرية ، يناقش أبا عمرو في إنكاره على (أبي الحسن محمد بن علي العجلي) تأليفه في الحماسة . ويعترف للمتأخرين من صواغ الشعر تبريزهم في بعض مقطوعاتهم على شعراء الجاهلية وغيرهم — من حيث تأليف جيد القول ونقيته ، ومختاره ورضيه . وينتصر للقاعدة المقررة ، وهي أن العلوم خطرات الأفهام ونتائج العقول ، والدنيا أزمان ، واكل زمان منها رجال . ومن الخطأ أن تقتصر الآداب على أزمان دون أزمان ، وأن نعزو الاستعداد لرجال دون آخرين .

المفاضلة بين شعراء الجاهلية والمولدين

رسالة ابن فارس — الى ابن سعيد الكاتب :

أما رسالة أحمد بن فارس إلى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فهي — كما قال عنها الثعالبي — في نهاية الملاحاة ، وقد تضمنت أمودجا من ملح شعراء الجبل وغيرهم من المعاصرين ، وفيها ظرف أخبارهم . وهذا نصها :
« ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد . وجنبك الخلاف ، وحبب إليك الانصاف .

وسبب دعائي بهذا لك — انكارك على (أبي الحسن محمد بن علي العجلي) تأليفه كتابا في الحماسة ، واعظامك ذلك . واعلمه لو فعل — حتى يصيب الغرض الذي يريد ، ويرد المنهل الذي يؤمه — لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ، ومختاره ورضيه كثيرا مما فات المؤلف الأول .

فإذا الأذكار ، وله هذا الاعتراض ، ومن ذا حظ على المتأخر مضادة المتقدم ؟ وله تأخذ بقول من قال : « مارك الأول الآخر شيئا » وتدع قول الآخر : « كم ترك الأول للآخر » ؟ وهل الدنيا الا أزمان ، وكل زمن منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة الاخطرات الأفهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ وله لا ينظر لآخر مثل ما نظر الأول — حتى يؤلف مثل تأليفه ، ويجمع مثل جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟

وماتقول لفقهاء زماننا اذا نزلت بهم من نوازل الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطرا ولكل خاطر نتيجة ؟ وله جاز أن يقال بعد (أبي تمام) مثل شعره ولم يجوز أن يؤلف مثل تأليفه ؟ وله حجرت واسعا وحظرت مباحا . وحرمت حلالا . وسددت طريقا مسلوكا ؟ وهل (حبيب) الا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ؟ ولما جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم وأهل النحو في مصنفاتهم والنظار في موضوعاتهم وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ولم يجوز معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه ؟ أمر لا يدرك ولا يدرك قدره

ولو اقتصر الناس على كتب القدماء اضاع علم كثير . ولذهب أدب غزير .
ولضلت أفهام ثاقبة . ولحكت ألسن لينة . ولما توشى أحد لخطابة . ولا سلك شعبا
من شعاب البلاغة . ولجت الأسماع كل مردد مكررا ، والفظت القلوب كل مرجع
مضغ . وحاتم لا يسأم :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي

والى متى :

صفحنا عن بني ذهل

وله أنكرت على العجلي معروفا ، واعترفت لحرمة بن الحسين ما أنكره على أبي
تمام في زعمه أن في كتابه تكريرا وتصحيفا وإبطاء واقواء ونقل لا أبيات عن أبوابها إلى
أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها ، إلى ما سوى ذلك من روايت مدخولة وأموه غليلة ؟
وله رضى لنا بغير الرضى ؟ وهلا حثت على إثارة ما غيبته الدهور وتجديد
ما أخلقه الأيام وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر وأفكار هذا العصر ؟

على أن ذلك لورامه رائم لا تبعه . ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن درجة من قبله
من جد يروعك وهزل يروك واستنباط يعجبك ومزاح يلهيك .

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاما ، وإلى
جنبه رجل أكل فأحس أبو حامد (١) بجودة أكله ، فقال :

وصاحب لي بطنه كالحاوية ،

كأن في أمعائه معاوية .

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الامعاء إلى جنب معاوية . وهل
ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو السمعمق ؟ وهل في اثبات ذلك عار على مثبتته ،
أوفي تدوينه وصمة على مدونه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني ، نظر إلى حاكم من حكامها -
من أهل طبرستان - مقبلا ، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض

(١) لعله : أبو محمد . أولم (أبا محمد) الأولى أبو حامد .

وخذه أحر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق هزيل الخالق طويل الخلق ،
فقال حين نظره :

وحاكم جاء على أبلق ،

كعقق جاء على لقاق .

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه شهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة التمثيل
ولعلت انه لم يقصر عن قول بشار :

كأن مشار النقع^(١) فوق رؤسهم

وأسيافنا ليل يهاوى كواكبه .

فما تقول لهذا ، وهل يحسن ظلمه في انكار احسانه ووجود تجو يده ؟
وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمداني ،
وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاما مرض منه :

وُقيت الردى وصروف العلل

ولاعرفت قدماك الزلل ،

شكى المرض المجد لما مرضت —

فلما نهضت سلماً أبل .

لك الذنب ، لا عتب إلا عليك —

لماذا أكلت طعام السفلى ؟

طعام يسوى ببيع النبيذ —

ويصلح من خدر ذاك العمل .

وأنشدني في شاعر ، هو اليوم هناك ، يعرف بابن عمرو الأسدي ، وقد رأيته
فرايت صفة وافقت الموصوف :

وأصفر اللون ، أزرق الحدة ،
في كل ما يدعيه غير ثقه ،
كأنه مالك الحزين إذا
هم بزرق وقد لوى عنقه .
إن قت في هجوه بقافية
فكل شعر أقوله صدقه .

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه ، من أهل قزوين ،
ويعرف بابن المنادي :

إذا ما جئت أحمد مستميجاً
فلا يغرك منظره الأنيق ؛
له لطف وليس لديه عرف ،
كبارقة تروق ولا تريق .
فما يخشى العدو له وعيداً ،
كما بالوعد لا يثق الصديق .

وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، وأمالك سمعت به :

حج مثلي زيارة الخمار ،
واقتنائي العمار شرب العمار ،
ووقاري إذا توقر ذو الشيب -
به وسط الندي ترك الوقار ،
ما أبالي إذا المدامة دامت
عذل ناه ولا شناعة جار .

ربّ ليل كأنه فرع ليلي
 مابه كوكب يلوح لساري ،
 قد طويناه فوق خشف كحيل
 أحور الطرف فأتى سحار ،
 وعكفنا على المدامة فيه
 فرأينا النهار في الظهر جاري .

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كإها تطويل والايجاز أمثل . وما أحسبك ترى
 بتدوين هذا وما أشبهه بأساً .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ، ثم قال بعد ذلك - وقد رأى توانياً في
 أمره - قصيدة يقول فيها كأنه يحجب سائلاً :

جوّدت شعرك في الأمير -
 فكيف أمرك ؛ قلت فآثر .

فكيف تقول لهذا ومن أي وجه تأتي فتظلمه . وبأي شيء تمانده فتدفعه عن
 الايجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ، وأنت الذي أنشدتني :

سدّ الطريق على الزمان -
 وقام في وجه القطوب .

كما أنشدتني لبعض رجال الموصل :

فديتك ، ماشبت عن كبرة
 وهذي سني وهذا الحساب ،
 ولكن هجرت فخلّ المشيب -
 ولو قد وصلت لعاد الشباب .

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتها فحولة الشعراء وشياطين الأُنس ومردة

العالم في الشعر؟

وأنشدني أبو عبد الله المغلسي المرائي لنفسه :

غداة تولت عيهم فترحلوا ،

بكيت على ترحالهم فعميتُ :

فلا مقلتي أدت حقوق ودادهم ،

ولا أنا عن عيني بذاك رضيتُ .

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حي يرزق :

زارني في الدُّجى فمَّ عليه

طيب أردافه لدى الرقباء ،

والثريا كأنها كفُّ خود

أبرزت من غلالة زرقاء .

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : « كان عندنا طيب يسمى النعمان ويكنى
أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي :

أقولُ لنعمان ، وقد ساق طبةُ

نفوساً نفيساتٍ إلى باطن الأرضِ :

أبا مُنذرٍ أفيتَ ، فاستبقِ بعضنا

حنانيك : بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضٍ .

مصنفاته :

المجمل : هو مع اختصاره جمع شئنا كثيراً .

العرق

خضارة : هو كتاب نعت الشعر .

الحجر

الصاحبي : صنفه لخزاة الصاحب بن عباد ،

الشيأت والحلي

الليل والنهار : لعله كتاب الأيام والليالي .

العم والحال

الأتباع والمزاوجة

الفصيح : وجد ياقوت نسخة منه ، وعليها خط للمصنف ، كتبه سنة ٣٩١ .

تمام الفصيح : وقعت لياقوت نسخة منه بخط المصنف ، كتبها في رمضان سنة ٣٩٠ .

متخير الألفاظ

حلية الفقهاء

ذخائر الكلمات

الحجاسة المحدث

مقاييس اللغة : كتاب جليل لم يصنف مثله .

خلق الانسان

الانتصار لثعلب

أصول الفقه

مقدمة الفرائض

مقدمة كتاب دارات العرب

مقدمة في النحو

تفسير أسماء النبي عليه السلام

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : { صغير الحجم . اسمه (أوجز السير لخير البشر)
طبع في بومباي في ٨ صفحات .

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

شرح رسالة الزهري الى عبد الملك بن مروان

غريب إعراب القرآن

جامع التأويل في تفسير القرآن : أربع مجلدات .

ذم الخطأ في الشعر

فتاوي فقيه العرب

كفاية المعلمين في اختلاف النحويين

وله رسائل أنيقة ومساائل في اللغة تعالى بها الفقهاء . ومنه اقتبس الحريري (صاحب المقامات) ذلك الأسلوب ، ووضع المسائل الفقهية في المقامة الطييبة وهي مائة مسألة .

شعره :

ليس ابن فارس بين شعراء العربية من المكثرين الذين قصدوا القصائد ودونوا
الدواوين وأرقصوا أنصار جيد القول ببدائع البيان — ولكنه استطاع مع ذلك أن
يسمعنا رنيناً محزوناً بعد كل دمة تذرف من عينيه ، وأن يرينا أكلماً زاهية تفتح
أهدابها سروراً لا بتسامة تتراوح بين فوائده وشفتيه .

وقد أثبتنا في هذه الترجمة ما وصلت اليه يدنا من شعر هذا الامام . ومن ذلك
قوله وهو في همدان شاكياً :

سقى (همدان) الغيثُ ، لست بقاءل

سوى ذاء ، وفي الأحشاء نار تضرَّمُ ،

ومالي لأصفي الدعاء لبلدة

أفدت بها نسيانَ ما كنت أعلمُ :

نسيتُ الذي أحسنته ، غيرَ أنني

مدَّينٌ وما في جوف بيتي درهمٌ ...

وقوله في الشكوى أيضاً :

وقالوا : كيف حالك ؟ قلت : خير ،

تقضى حاجة وتقوت حاجُ .

إذا ازدحت همومُ الصدر قلنا :

عسى يوماً يكون لها انفراجُ .

نديهي هرتي . وأنيسُ نفسي

دفأرُ لي . ومعشوق السراج ...

وقوله في هذا المعنى :

يأليت لي ألف دينار موجهة
وأن حظي منها فلس فلاس .
قالوا : فما لك منها ؟ قلت : تخدمني
لها ومن أجلها ألحقني من الناس .

وقوله في القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا
وخل الأمور لمن يملك :
تقدّر أنت ، وجاري القضا -
ء مما تقدّر به يضحك .

وقوله في الأصدقاء :

عتبت عليه حين ساء صنيعة
وآليت لا أمسيت طوع يديه .
فلما خبرت الناس خبر مجرب
ولم أر خيراً منه عدت إليه . (١)

وقوله في الغنى والفقير :

قد قال فيما مضى حكيم :
ما المرء إلا بأصغريه .
فقلت قول امرء لبيب :
ما المرء إلا بدرهميه ،

(١) قال النعماني في البيعة : أخذه من قول القائل : عتبت علي سلم فلما هجرته وعاشرت أقواما رجعت الى سلم .

من لم يكن معه درهماً
لم يلتفت عرسه إليه !
وكان من ذلّه حقيراً
تبول سنوره (١) عليه ...

وقوله في المعنى نفسه :

إذا كنت في حاجة مرسلًا ،
وأنت بها كلف مغرم ،
فأرسل حكماً ولا توصه ،
وذاك الحكيم هو الدرهم .

وقوله في الخاصة :

إسمع مقالة ناصح
جمع النصيحة والمقة :
إياك واحذر أن تد —
يت من الثقات على ثقته .

وقوله في التذمر من مهنة الأدب :

وصاحب لي آتاني يستشير ، وقد
أراد في جنبات الأرض مضطرباً ،
قلت : اطلب أي شيء شئت واسع ورد
منه الموارد — إلا العلم والأدب ...

وقوله في عكس ذلك :

(١) في الآثار الباقية : سنورهم . والسنور : الهر .

إذا كان يؤذيك حرّ المصيف —
و كرب الخريف و برد الشتاء
ويليك حسن زمان الربيع —
فأخذك للعلم قل لي متى ؟

قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : قرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن
عبد الرحيم السلمي : وجدت بخط ابن فارس على وجه (المجل) والأبيات له ، ثم
قرأتها على سعد الخير الانصاري ، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا ، عن
سليمان بن أيوب ، عن ابن فارس :

يا دار سعادى ! بذات الضال من إضم ،
سقال صوب حيا من واكف العين (١)
إني لأذكر أياماً بها ، ولنا
في كل إصباح يوم قرّة العين (٢)
تدني مشعشة منا معتقة
تشجها عذبة من نابع العين (٣)
إذا تمرّزها شيخ به طرّق
سرت بقوتها في الساق والعين (٤)
والزّق ملآن من ماء السرور ، فلا
تحشى تولّه مافيه من العين (٥)

(١) العين : سحاب ينشأ من قبل القبلة .

(٢) عين الانسان وغيره .

(٣) ما ينبع من الماء .

(٤) الطرق : ضعف الركبتين . والعين هنا : عين الركبة .

(٥) توله الماء : تمر به . والعين هنا : ثقب يكون في المرادة .

وغاب عذالنا عنا ، فلا كدر
في عيشنا من رقيب السؤ والعين^(١)
يقسم الود فيما بيننا قسماً
ميزان صدق ، بلا بخس ولا عين^(٢)
وفائض المال يغنيننا بحاضره
فنكتفي من ثقل الدين بالعين^(٣)
(والمجمل)^(٤) المجتبى تغني فوائده
حفاظه عن كتاب (الجيم)^(٥) و (العين)^(٦)



ومن قول ابن فارس في الغزل :

كلّ يوم لي من سداً هي عتاب وسباب
وبأدنى ما ألاقى منهما يؤذى الشباب

وقوله في ذلك :

مرّت بنا هيفاء مقدودة
تركية تنمي لتركي
ترنو بطرف فاترفاتن
أضعف من حجة نحويّ.

(١) الرقيب والجاسوس .

(٢) العين في الميزان .

(٣) العين : المال الناض . قال أبو عبيد إنما يسمونه ناضاً إذا تحول عيناً بعد أن كان متاعاً .

(٤) كتاب المجمل (في اللغة) : لأحمد بن فارس مصنف الصاحب .

(٥) كتاب الجيم (في اللغة) : لأبي عمرو اسحق بن مراد الشيباني الكرماني المتوفى سنة ٢٠٦ .

(٦) كتاب العين (في اللغة) : لأخيل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ .

ابن فارس وابن بابك :

عما وقع لابن فارس وهو في الري ما حدث به هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم
(عبد الصمد بن بابك) الشاعر الى الري ، في أيام الصاحب ، فتوقع أبو الحسين أحمد
ابن فارس أن يزوره ابن بابك ويقضي حق علمه وفضله . وتوقع ابن بابك أن يزوره
ابن فارس ويقضي حق مقدمه . فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه . فسكرت ابن فارس
الى أبي القاسم بن حنبل :

تعديت في وصلي ، فعدي عتابك .
وأدني بديلاً من نواكم^(١) إياك .
تيقنت أن لم أحظ — والشمل جامع
بأيسر مطلوب — فهلا كتابك ؟
ذهبت بقلب عيل بعدك صبره ،
غداة أرتنا المرقلات^(٢) ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة
لديك . ولا ثنت يميني سحابك . —
ولا نقبت — والصب يصبو لثلاثها —
عن الوجنات الغانيات تقابك .
ولا قلت يوماً ، عن قلى وسامة ،
لنفسك : « سلمي عن ثيابي ثيابك »
وأنت التي شيت — قبل أوأنه —
شبابي ، سقى الغر الغواني شبابك :
تجنبت ما أوفى . وعاقبت ما كفى .

(١) لاله : نواك . مرجليوث

(٢) المرقلات : النوق المسرعة بفرب من السير .

ألم يأن سُمدي أن تكفي عتابك ؟

وقد نبختني من كلابك عصبية

فهلّا - وقد حانوا - زجرت كلابك ؟

تجافيت عن مستحسن البرّ جملة

وجرت على نبختي جفاء ابن بابك ...

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات أرسلها الى ابن بابك ، وكان مريضاً ، فكتب جوابها :

وصلت الرقعة ، أطال الله بقاء الأستاذ ، وفهمتها . وأنا أشكو اليه الشيخ أبا الحسين ، فانه صيرني فصلاً لا وصلاً . وزجا (١) لا نصلاً . ووضعني موضع الحلال من الموائد . و (تمت) من أواخر القصائد . وسحب اسمي سحب الذيل . وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل . وجعل مكاني مكان القفل من الباب . و (فذلك) من الحساب .

وقد أجبت عن أبياته بأبيات أعلم ان فيها ضحكاً لعائتين عليّ وعلتها . وهي :

أيا أثلاث الشعب (٢) من مرج يابس !

سلام على آثار كن الدوارس .

لقد شاقني - والليل في شَمْلَةٍ (٣) الحيا -

إليكن توليع (٤) النسيم المخالس (٥) .

ولحمة برقٍ مستميت كانه

-
- (١) الزج : الحديدة التي في أسفل الرمح .
 (٢) الأثالة (يسكون الناء) : شجرة عظيمة لا تمر لها . والشعب (بكسر الشين) : المنفرج بين الجبلين أو الطريق في الجبل .
 (٣) الشملة : السترة والرداء .
 (٤) التوليع : الأغراء ، من ولع بالشيء إذا تعلق به .
 (٥) خلست الديه : اختطفته بسرعة على غفلة .

تردُّدُ لحظ بين أجفان ناعس ،
فبتُّ كأني صعدة (١) منيّة
تزعزع في نقع (٢) من الليل دامس .

* *

الأحبذا صبحٌ إذا ابيض أفقه
يصدع عن قرن من الشمس وارس (٣)
و كنت (٤) من الخالصاء تر كَبُّ سِيلَهَا
ورود (٥) المطي الحائات الكوانس (٦)
فياطارق الزوراء (٧) قل لغيومها : « اسـ
تهلي على متن من الكرخ (٨) آنس .
وقل لرياض القفص (٩) تهدي نسيمها ،
فلست — على بعد المزر — بآيس .

* *

-
- (١) الصعدة : الفتاة المستوية تثبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف .
(٢) الزعزعة : تحريك الشيء . والنقع : الغبار ، استمارة للظلام .
(٣) وارس : أصفر ، اشتق من الورس وهو نبت أصفر يكثر في اليمن .
(٤) لعله : ركبت ، مرجليوث .
(٥) ما كان بلون الورد من أسد وفسر وغيرها . وهو بين الكهيت والأشقر .
(٦) كنس الظبي كنوسا : دخل كئناسه ، واستعيرت هنا للمطي .
(٧) مدينة الزوراء : في الجانب الغربي من بغداد ، سميت كذلك لازورار (انحراف) في قبلتها
أو لأن أبا جعفر المنصور جعل أبوابها الداخلة مضرورة عن الأبواب الخارجة عند بناءها .
(٨) الكرخ : أماكن في العراق تضاف نخل واحدة الى مدينة وتسمى بها . فيقال : « كرخ
البصرة » و « كرخ بغداد » وغير ذلك .
(٩) الففص : قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا قريبة من بغداد . وكانت من مواطن اللهو
ومعاهد التزه ومجالس الفرح . تنسب اليها الحمور الجيدة والحائات الكثيرة . وقد أكثر الشعراء
من ذكرها .

ألا ليت شعري ! هل أبيتن ليلةً
لَقَى بين أقراط المهى والمحابس ؟
وهل أرين الريّ دهليز بابك ،
وبابك دهليز الى أرض فارس ،
ويصبح ردم السد قفلاً عليهما ،
كماصرت قفلاً في قوافي ابن فارس ؟

فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على صاحب وعرفه الحال ، فقال : « البادي
أظلم . والقادم يزار . وحسن العهد من الايمان . »

وفاته :

هذا ما انتهى اليها من ترجمة ابن فارس ، وكانت وفاته في الري في شهر صفر
عام ٣٩٥ ، ودفن فيها مقابل مشهد (قاضي القضاة أبي الحسن علي بن عبد العزيز
الرجاني) .

وقال قبل وفاته بيومين يستغفر الله :

يارب ! إن ذنوبي قد أحطت بها
علما ، وبى وبأعلاني واسراري :
أنا الموحد ، لكني المقرّ بها ،
فهب ذنوبي لتوحيدى وإقرارى .



الصَّاحِبُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وبه نستعين ، وصلى الله تعالى على محمد وآله

قال الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس أدام الله تأييده :

هذا (الكتابُ الصَّاحِبِيُّ) في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها . وإنما عَنَوْتُهُ بهذا الاسم لأنِّي لما أَلَفْتُهُ أودعْتُه خزانة (الصَّاحِبِ) ^(١) الجليل كافي الكفاة ، عَمَرَ اللهُ عِراصَ العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره ، تَجَمُّلاً بِذلك وتحسُّناً ، إذ كان ما يَقبَلُه كافي الكفاة من علم وأدب مَرْضِيّاً مقبولاً ، وما يَرْذُلُه أو يَنفِيه منفيّاً مَرْذُولاً ، ولأنَّ أحسنَ ما في كتابنا هذا ما خُوِذَ عنه ومُفاد منه . فأقول :

إنَّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً : أمَّا الفرعُ فمعرفةُ الأسماء والصفات كقولنا «رجل» و «فرس» و «طويل» و «قصير» . وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلُّم .

وأما الأصلُ فالقولُ على موضوع اللغة وأوَّليتها ومنشأها ، ثمَّ على

(١) الوزير أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني — نسبة إلى طالقان قزوین — المشهور بأصاحب ، وهو أول من لقب بهذا اللقب من الوزراء ، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقبل له (صاحب ابن العميد) ، ثم أطلق عليه لقب (الصاحب) لما تولى الوزارة وبقي علماً عليه ولقباً لكل وزير بعده . وهو من أئمة الأدب والعلم ولد في ١٤ ذي القعدة عام ٣٢٦ وتوفي ليلة الجمعة ٢٤ صفر عام ٣٨٥ .

رسوم العرب في مخاطباتها ، ومالها من الأفئنان تحقيقاً ومجازاً .
والنَّاسُ في ذلك رجالان : رجلٌ شُغل بالفرع فلا يَعْرِفُ غيره ،
وآخرُ جَمَعَ الأمرين معاً ، وهذه هي الرُّتبة العليا ، لأنَّ بها يُعلم خطابُ
القرآن والسُّنة ، وعليها يُعول أهلُ النظر والفُنيا ، وذلك أنَّ طالبَ العلمِ
العُلويَّ يكتفي من أسماء « الطويل » باسم الطويل ، ولا يَضِيرُهُ أن لا يعرف
« الاشق » و « الامق » (١) وإن كان في علم ذلك زيادةٌ فَضْلٌ .

وإنما لم يَضِرْهُ خفاءُ ذلك عليه لانه لا يكاد يجدُّ منه في كتاب الله
جل ثناؤه شيئاً فيُخَوِّجُ إلى علمه ، ويقلُّ مثله أيضاً في ألفاظ رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ، إذ كانت الفأظه صلى الله عليه وسلم هي السهلة
العذبة .

ولو أنه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها لعميَّ بكثير من علم مُحْكَمِ
الكتاب والسُّنة ، ألا تسمع قول الله جل ثناؤه « ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ » إلى آخر الآية ؟ فسيرُ هذه الآية في
نطقها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوحشيِّ من الكلام ، وإنما معرفته
بغير ذلك مما لعلَّ كتابنا هذا يأتي على أكثره بعون الله تعالى .

والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الاصول أن مُوسِماً بالادب
لوسئِلُ عن « الجزم » و « التسويد » (٢) في علاج النوق ، فتوقف أوعيَّ

(١) كلاهما بمعنى « الطويل » راجع (تهذيب الاناظر) لابن السكيت و (فقه اللغة) وسر
العربية (لابن منصور) .

(٢) قال ابن سيده في (الخصص) : سودت الابل وهو - أن يدق لها المسح البالي من
الشعر فتداوي به أذبارها .

به أو لم يعرفه ، لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة تقصّاشاً ، لأن كلام العرب أكثر من أن يُحصى . ولو قيل له : هل تتكلم العرب في النفي بما لا تتكلم به في الإثبات ، ثم لم يعلمه لنقصه ذلك في شريعة الأدب عند أهل الأدب ، لا أن ذلك يردّد دينه أو يجره لماثم .

كما أن منوسياً بالنحو لو سئل عن قول القائل :

لَهْنِكَ ^(١) من عبسية لو سيمّة

على هنواتٍ كاذبٍ من يقولها

فتوقف أو فكر أو استمهل لكان أمره في ذلك عند أهل الفضل هيئاً . لكن لو قيل له مكان « لَهْنِكَ » : ما أصل القسم ، وكم حروفه ، وما الحروف الخمسة المشبهة بالأفعال التي يكون الاسم بعدها منصوباً وخبره مرفوعاً ؟ فلم يجب لحكم عليه بأنه لم يشام صناعة النحو قط .
فهذا الفصل بين الأمرين .

والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرّق في أصناف ^(٢) العلماء المتقدمين رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء . وإنّا لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرّق .

(١) لهك : كلمة تستعمل تأكيداً . أصلها : لاءك .

(٢) يعني : تصانيف .

فأول ذلك :

باب القول على لغة العرب

أتوقيف ، أم اصطلاح ؟

أقول : إن لغة العرب توقيف . ودليل ذلك قوله جل ثناؤه « وعلم آدم الاسماء كلها » فكان ابن عباس يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .

وروى حُصَيْفٌ عن مُجَاهِدٍ قال : علمه اسم كل شيء .

وقال غيرهما : إنما علمه أسماء الملائكة .

وقال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين .

والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس . فإن قال قائل : لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال « ثم عرضهن أو عرضها » فلما قال « عرضهم » علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة ، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال لما يَعْقِلُ « عرضهم » ولما لا يَعْقِلُ « عرضها أو عرضهن » - قيل له : إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جمع ما يَعْقِلُ وما لا يَعْقِلُ فغلب ما يَعْقِلُ ، وهي سنة من سنن العرب ، أعني (باب التغليب) . وذلك كقوله جل ثناؤه « والله خالق كل دابة من ماء : فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع » فقال « منهم » تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم .

فان قال : أفنقولون في قولنا سيف وحسام وعَضْب إلى غير ذلك من أوصافه أنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مُصْطَلَحاً عليه ؟ قيل له : كذلك نقول . والدليل على صحة ما نذهب اليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ، ثم احتجاجهم بأشعارهم ، ولو كانت اللغة مُواضعةً واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطالحنا على لغة اليوم ولا فرق .

ولعلَّ ظاناً يظنُّ أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد . وليس الامر كذا ، بل وقف الله جلَّ وعزَّ آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الانبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً ما شاء أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فاتاه الله جلَّ وعزَّ من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله ، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة . ثم قرَّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت .

فان تعمل اليوم لذلك متعمِّل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرُده . ولقد بلغنا عن (أبي الأسود) أن امرأ كلَّه يبعض ما أنكره أبو الأسود ، فسأله أبو الأسود عنه فقال : « هذه لغة لم تبلغك » فقال له « يا ابن أخي ، لا خير لك فيما لم يبلغني » فعرفه بلطف أن الذي تكلم به مختلف .

وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب في زمانٍ يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم .

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم - وهم البأغاء والفُصحاء - من

النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به . وما علمناهم اصطاحوا على اختراع
لغةٍ أو أحداث لفظية لم تتقدمهم .
ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا باقتضائه ولا تزول إلا بزواله ،
وفي ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب .

باب القول على الخط العربي

وأول من كتب به

يُروى أن أول من كتب الكتاب العربيَّ والسريانيَّ والكتب كلها
(آدم) عليه السلام ، قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه . فلما
أصاب الأرض الغرقُ وجد كلُّ قوم كتاباً فكتبوه ، فأصاب (اسماعيل)
عليه السلام الكتاب العربيَّ .

وكان (ابن عباس) يقول : أولُّ من وضع الكتاب العربيَّ (اسماعيل)
عليه السلام ، وضعه على لفظه ومنطقه .
والروايات في هذا الباب تكثر وتختلف .

والذي نقوله فيه : أن الخطَّ توقيف ، وذلك لِظاهر قوله عزَّ وجل
« إقرأ باسمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ ، خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ ، إقرأ وربُّكَ
الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » وقال جلَّ ثناؤه « والقلم
وما يسطرون » وإذا كان كذا فليس يبعد أن يوقَّف آدم عليه السلام أو
غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب .

فأما أن يكون مُخترِع اختراعه من تلقاء نفسه فشيء لا تعلم صحته

إلا من خبر صحيح .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعا ولا نصباً ولا همزاً . قالوا والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له : أتهمز إسرائيل ؟ فقال « إني إذن لرجل سوء ! » قالوا وإئتما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر . وقيل لا آخر أتجر فلسطين ؟ فقال « إني إذن لقوي ! » . قالوا : وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :

نحن بني عاقمة الأخيار

فقيل له : لم نصبت « بني » ؟ فقال : مانصبته ، وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء ^(١) . قالوا : وحكي (الافش) عن أعرابي فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وحكي أن (أبا حية النميري) سئل أن ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالنأي من أسماء كافٍ ،

وليس لسقمها إذ طال شافٍ .

قلنا : والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء . ومذهبنا فيه التوقيف فنقول : إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي أعلم الله جل ثناؤه أنه علمها آدم عليه السلام ، وقد قال جل وعز « علمه البيان » ، فهل يكون أول البيان إلا علم الحروف التي يقع بها البيان ؟ ولم لا يكون الذي علم آدم عليه السلام الأسماء كلها هو الذي علمه الألف والباء والجيم والدال ؟ فأما من حكي عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال فأننا لم نزعم أن العرب

(١) يعني أنه لم يعرف أن نصبه على الاختصاص . الشنيطي

كلها مدرّاً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها ، وما العربُ في قديم الزمان إلا كنحن اليوم : فما كلُّ يعرفُ الكتابة والخطَّ والقراءة ، و(أبو حية) كان أمس ، وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ ، وكان في أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبون منهم (أمير المؤمنين عليّ) صلوات الله تعالى عليه و(عثمان) و(زيد) وغيرهم .

فحدثني أبو الحسنِ عليّ بنُ إبراهيمَ القطّان قال أخبرنا عليّ بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال حدثنا ابن مَهْدِيٍّ عن ابن المبارك قال حدثني أبو وائل شيخٌ من أهل اليمن عن (هانيء) قال : كنت عند (عثمان) رضى الله تعالى عنه ، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة إلى (أبي بن كعب) فيها « لم يتسنَّ » و « فأمهل الكافرين » و « لا تبديل للخلق » قال فدعا بالدواة فحبا إحدى اللامين وكتب « خلق الله » ومحا فأمهل وكتب « فمهل » وكتب « لم يتسنَّ » ألحقَ فيها هاءً . أف يكون جهلُ (أبي حية) بالكتابة حجةً على هؤلاء الأئمة ؟

والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الاعراب والعروض . والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الاعراب أنا نستقريء (١) قصيدة (الخطيئة) التي أولها :

شأقتك أظعانٌ ليلي -

دون ناظرة بواكر .

فَنَجِدُ قوافيها كلها عند الترتيم والاعراب تجيء مرفوعة ، ولولا علمُ

(الخطيئة) بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها، لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقاً من غير قصد - لا يكاد يكون .

فإن قال قائل : فقد تواترت الرويات بأن (أبا الأسود) أول من وضع العربية، وأن (الخليل) أول من تكلم في العروض . قيل له : نحن لا ننكر ذلك ، بل نقول إن هذين العلمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام وقلاً في أيدي الناس ، ثم جددتهما هذان الامان ، وقد تقدم دليلنا في معنى الاعراب . وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أو من قال منهم «إنه شعر» فقال (الوليد بن المغيرة) منكراً عليهم «لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقرء (١) الشعر ، هزجه ورجزه وكذا وكذا ، فلم أره يشبه شيئاً من ذلك» أفيقول (الوليد) هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ؟

وقد زعم ناس أن علوماً كانت في القرون الأولى والزمناً المتقدم ، وأنها درست وجددت منذ زمان قريب ، وترجمت وأصلحت منقولة من لغة إلى لغة . وليس ما قالوا ببعيد ، وإن كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا .

فإن قال : فقد سمعناكم تقولون إن العرب فعلت كذا ولم تفعل كذا ، من أنها لا تجمع بين ساكنين ، ولا تبديء بساكن ، ولا تقف على متحرك ، وأنها تسمي الشخص الواحد بالاسماء الكثيرة ، وتجمع الأشياء الكثيرة تحت الاسم الواحد . قلنا : نحن نقول إن العرب تفعل كذا بعد ما وطأناه أن ذلك توقيف حتى ينتهي الأمر إلى الموقف الأول .

(١) أقرء الشعر : جمع قرء بالفتح ويضم ، بمعنى القافية .

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل « الخبء » و « الدفء » و « الملاء » فصار ذلك كله حجة ، وحتى كره من العلماء ترك اتباع المصحف من كره .

فحدثني عبد الرحمن بن حمدان عن محمد بن الجهم السمرى عن (الفراء) قال « اتباع المصحف - إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب - وقراءة القراء أحب إلي من خلافه » قال وقد كان (أبو عمرو بن العلاء) يقرأ « إن هذين لساحران » ولست أجترئ على ذلك . وقرأ « فأصدّق وأكون » فزادوا في الكتاب ولست استحب ذلك . »

والذي قاله (الفراء) حسن ، وما بحسن قول (ابن قتيبة) في أحرف ذكرها ، وقد خالف الكتاب المصحف في هذا .



باب القول في أن لغمة العرب

أفضل اللغات وأوسعها

قال جل ثناؤه « وانه لتزِيلُ رب العالمين ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ، لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام ، وهو البيان .

وقال جل ثناؤه « خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرّد بإنشائه ، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكّمة والنشايأ المُنقّنة . فلما خصّ جل ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه . فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأن كلّ من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين . قيل له : إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يُعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان ، لأن الأَ بكم قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمّى متكاملاً ، فضلاً عن أن يُسمّى بَيِّنًا أو بليغًا . وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط ، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرها من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذاك ، وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب ؟ هذا مالا خفاء به على ذي نهيّة .

وقد قال بعضُ علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتّمثيل

والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من اللسنة كما نقل الانجيل عن السريانية إلى الحبشية والرثومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه «وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء» لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول «ان كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة وتقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء» وكذلك قوله جل ثناؤه «فضربنا على آذانهم في الكهف».

فان قال قائل: فهل يوجد في سنن العرب ونظومها ما يجري هذا المجرى؟ قيل له: ان كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يضاهى أو يقابل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العلي الأعلى خالق كل لغة ولسان، لكن الشعراء قد يؤمنون إيماناً ويأتون بالكلام الذي لو أراد مرئيد نقله لأعماص وما أمكن إلا بمبسوطٍ من القول وكثير من اللفظ. ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس:

فدع عنك نهباً صيح في حجراته (١)

بالعربية فضلاً عن غيرها لطال عليه. وكذا قول القائل:

(١) صدر بيت له من قصيدة يذم فيها (خالد بن سدوس)، قال (الشعبي) وتامه:

والكن حديثاً ما حديث الرواحل.

وما هو بدون صدره في معناه.

- « والظنُّ على الكاذبِ » (١)
 و « نجارُها نارُها » (٢)
 و « عيَّ بالأسنانف » (٣)
 و « أنشأني يُرم لك »
 و « هو باقعة » (٤)
 و « قلبٌ لو رفع »
 و « على يدي فاخضم »
 و « وشأنك إلا تركه متفاقم »

وهو كثير بمثله طالت لغة العرب اللغات . ولو أراد معبرٌ بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والاختفاق واليقين والشك والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعي به . والله جل ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل .

(١) من قطعة في (حاسة أبي تمام) للعارث بن هجاء الشيباني ، والبيت الذي فيه هذه الجملة هو قوله :

أنا ابن زبابة ، ان تدعني
 آتاك ، والظن على الكاذب .

(٢) نجار الشيء : أصله . والنار : السمة . يقال « ما نار هذه الناقة ؟ » أي ما سميتها . و « نجارها نارها » مثل يضرب في شواهد الأمور التي تدل على علم باطنها ، كما تدل سمة الإبل على أصلها .

(٣) السنن والأسنانف : كلاب للفرس . قال (الزمخشري) في (أساس البلاغة) : عي فلان بالأسنانف إذا دهش من الفزع كمن لا يدري أين يشد السنن قال :
 إذا ماعى بالأسنانف قوم
 من الهول المشبه أن يكونا .

(٤) قال (الزمخشري) في أساس البلاغة : « هو باقعة من البواقع » للكيس الداهي من الرجال ، شبه بالطائر الذي يرد البقم — وهي المستنقعات — دون المزارع خوف القناص .

ومما اختُصَّتْ به لغةُ العرب - بعد الذي تقدم ذكرناهُ قلبهمُ الحروف عن جهاتها ، ليكون الثاني أخفَّ من الاول ، نحو قولهم « ميعاد » ولم يقولوا « مِوعاد » وهما من الوعد ، إلا أن اللفظ الثاني أخفُّ .

ومن ذلك تركهم الجمع بين السَّاكنين ، وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن . ومنه قولهم « يا حار » ميلاً الى التخفيف .
ومنه اختلاسهم الحركات في مثل :

فاليومَ أَشْرَبُ غيرَ مُسْتَحَقِّبٍ (١)

ومنه الادغام ، وتخفيفُ الكلمة بالحذف ، نحو « لَمْ يَكْ » و « لَمْ أَبْلْ »
ومن ذلك اضمارهم الافعال ، نحو « امرأ أتقى الله » و « أمرَ مَبْكياتك » ،
لا أمرَ مَضْحَكاتك » .

ومما لا يمكن تَقْلُهُ البتَّةُ أوصافُ السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الاسماء المترادفة . ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد غير اسم واحد ، فأما نحن فنُخرج له خمسين ومائة اسم .

وحدثني أحمد بن محمد بن بندار قال سمعت (أبا عبد الله بن خالويه الهمداني) يقول : جمعت للأسد خمس مائة اسم وللحية مائتين .

وأخبرني عليُّ بنُ أحمد بن الصباح قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا (ابن أخي الأصمعي) عن عمه أن (الرشيد) سأله عن شعر (ابن حزام العُكْلِي) ففسره ، فقال « يا أصمعي ، إن الغريب عندك لغيرُ غريب » فقال « يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك وقد حفظتُ للحجر سبعين اسماً ؟ »

(١) قال الشنيطي : تمامه :

أما من الله ولا واغل .

وهذا كما قاله الأصمعي . ولكافي الكفاة ^(١) أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد .

فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يُعبر عن قولهم : ذات الزُمَيْن ، وكثرة ذات اليد ، ويد الدهر ، وتجاوزت النجوم ، ومجت الشمس ريقها ، ودراً النى ، ومفاصل القول ، وأتى بالأمر من فصه ، وهو رحب العطن ، وغمر الرداء ، ويخلق ويفري ، وهو ضيق المجم ، قلق الوضين ، رابط الجأش ، وهو ألوى ، بعيد المستمر ، وهو شراب بأقع ، وهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الأيماء اللطيف والأشارة الدالة .

وما في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب العالي أكثر وأكثر ، قال الله جل وعز « ولكم في القصص حياة » و « يحسبون كل صيحة عليهم » ، « وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها » و « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يُغني عن الحق شيئاً » و « إنما بغيكم على أنفسكم » ، « ولا يُحقيق المكر السيء إلا بأهله » وهو أكثر من أن نأتي عليه .

وللعرب بعد ذلك كالم تلوح في أثناء كلامهم كالمصاييح في الدجى ، كقولهم للجَموع للخير : قشوم ، وهذا أمر قائم الأعماق ، أسود النواحي ، واقتحف الشراب كله ، وفي هذا الأمر مصاعب وقُحَم ، وامرأة حبيبة قدعة ^(٢) ، وتقادعوا تقادع ^(٣) الفراش في النار ، وله قدم صدق ، وذا

(١) يريد به صاحب بن عباد .

(٢) القدعة : القليلة الكلام ، الحبيبة .

(٣) أي تابعوا وتابع .

أمر أنت أدبرته ودبرته ، وتقاذفت بنا النوى ، واشتتف الشراب ، ولك قرعة
 هذا الأمر (خياره) ، وما دخلت لفلان قريعة ^(١) بيت ، وهو يبهر القرينة
 إذا جاذبته ، وهم على قرو واحد (أي طريقة) ، وهؤلاء قرابين الملك ، وهو
 قشع (إذا لم يثبت على أمر) ، وقشبه بقميح (لطحه) وصبي قصع (لا يكاد
 يشب) ، وأقبلت مقاصير الظلام ، وقطع الفرس الخيل تقطيعاً (إذا خلفها) ،
 وليل أقعس (لا يكاد يبرح) ، وهو منزل قفر .

وهذه كلمات من قرحة واحدة ، فكيف إذا جال الطرف في سائر
 الحروف مجالته؟ ولو تقصينا ذلك لجاوزنا الغرض ولما حوته أجلاذ وأجلاد .

(١) القريعة : سقف البيت .



باب القول على لغة العرب

وهل يجوز أن يحاط بها ؟

قال بعض الفقهاء « كلام العرب لا يحيط به إلا نبي » .
وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً . وما بلغنا أن أحداً ممن مضى
ادّعى حفظ اللغة كلها . فأما الكتاب المنسوب إلى (الخليل) وما في خاتمته
من قوله « هذا آخر كلام العرب » فقد كان الخليل أورع وأتقى لله جل ثناؤه
من أن يقول ذلك .

ولقد سمعت علي بن مهزيب يقول سمعت هرون بن هزاري يقول
سمعت (سفيان بن عيينة) يقول « من أحب أن ينظر إلى رجل خاق من
الذهب والمِسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد » . وأخبرني أبو داود سليمان بن
يزيد عن ذلك المصاحفي عن (النضر بن شميل) قال « كنا نُميل بين (ابن
عون) و (الخليل بن أحمد) أيهما تقدم في الزهد والعبادة فلا ندري أيهما
تقدم » قال : وسمعت النضر بن شميل يقول « ما رأيت أعلم بالسنة بعد
ابن عون من الخليل بن أحمد » قال : وسمعت النضر يقول « أكلت الدنيا
بأدب الخليل وكتبه وهو في خُص لا يُشعر به » .

قلنا فهذا مكان الخليل من الدين ، أفترأه يقدم على أن يقول « هذا آخر
كلام العرب » ؟

ثم إن في الكتاب الموسوم به من الاخلال ما لا خفاء به على علماء
اللغة ، ومن نظر في سائر الأصناف الصحيحة علم صحة ما قلناه .

باب القول في اختلاف لغات العرب

اختلاف لغات العرب من وجوه :

أحدها - الاختلاف في الحركات كقولنا « نَسْتَعِين » و « نِسْتَعِين »
بفتح النون وكسرها . قال (الفراء) هي مفتوحة في لغة قريش ، وأسدٌ وغيرهم
يقولونها بكسر النون .

والوجه الآخر - الاختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم « معكم »
و « معكم » . أنشد الفراء :

وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ
وَرَزَقَ اللَّهُ مُمُوتَابٌ وَغَاد .

ووجه آخر - وهو الاختلاف في إبدال الحروف نحو « أولئك »
و « أَلَا لِكَ » . أنشد الفراء :

أَلَا لِكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً ،
وَهَلْ يَعْظُ الضَّلِيلَ أَلَا لِكَ ؟
ومنها - قولهم « أَنْ زَيْدًا » و « عَنْ زَيْدًا » .

ومن ذلك - الاختلاف في الهمز والتلين نحو « مَسْتَهْزُونَ »
و « مَسْتَهْزُون » .

ومنه - الاختلاف في التقديم والتأخير نحو « صَاعِقَةٌ » و « صَاقِعَةٌ » .
ومنها - الاختلاف في الحذف والاثبات نحو « اسْتَحْيَيْتُ » و « اسْتَحْيَيْتِ »
و « صَدَدْتُ » و « أَصَدَدْتُ » .

ومنها - الاختلاف في الحرف الصحيح يسدُّ حرفاً معتلاً نحو « أَمَا

زيد» و «أَيُّما زيد» .

ومنها - الاختلاف في الامالة والتفخيم في مثل «قضى» و «رمى»
فبعضهم يفخّم وبعضهم يُميل .

ومنها - الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله ، فمنهم من يكسر
الأول ومنهم من يضمّ ، فيقولون « اشترَوْ الضلالة » و « اشترَوْ الضلالة » .
ومنها - الاختلاف في التذكير والتأنيث فان من العرب من يقول
« هذه البقر » ومنهم من يقول « هذا البقر » و « هذه النخيل » و « هذا
النخيل » .

ومنها - الاختلاف في الادغام نحو « مهتدون » و « مهتدون » .
ومنها - الاختلاف في الاعراب نحو « ما زيد قائماً » و « ما زيد قائم »
و « إن هذين » و « إن هذان » وهي بالألف لغة (بني الحارث بن كعب)
يقولون لكلّ ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك . وينشدون :

تروّد منّا بين أذناه ضربةً

دعته إلى هابي التراب عقيم .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الاعراب يقتضي أن يقال « إن هذان »
قال : وذلك أن « هذا » اسم منهول ، ونهكّه أنه على حرفين أحدهما
حرف علة وهي (الألف) و (ها) كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء ، فلما
ثني احتيج إلى ألف التنبيه ، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية ، واحتيج
إلى حذف أحدهما فقالوا : ان حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف
واحد ، وان أسقطنا ألف التنبيه كان في النون منها عوض ودلالة على معنى

التثنية ، فحذفوا ألف التثنية .

فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم ، واحتاجوا الى إعراب التثنية - لم يغيروا الألف عن صورتها لأن الأعراب واختلفه في التثنية والجمع انما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع ، فتركوها على حالها في النصب والخفض .

قال : ومما يدلّ على هذا المذهب قوله جلّ ثناؤه « فذانك برهانان من ربك » لم تحذف النون - وقد أضيف - لأنه لو حذفت النون لذهب معنى التثنية أصلاً ، لأنه لم تكن للتثنية هاهنا علامة إلا النون وحدها ، فاذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية .

ومنها - الاختلاف في صورة الجمع نحو « أسرى » و « أسارى » .

ومنها - الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو « يأمرُكم » و « يأمرُكم » و « عني له » و « عني له » .

ومنها - الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل « هذه أمة » و « هذه امت » .

ومنها - الاختلاف في الزيادة نحو « أنظرُ » و « أنظورُ » . أنشد
الفراء :

الله يعلم أنا في تلفُّتنا

يوم الفراق - الى جيراننا - صُورُ ،

وأنتي حيث ما يثني الهوى أبصري

- من حيث ماسلكوا - أدنو فأنظورُ .

وكلّ هذه اللغات مسمّاة منسوبة إلى أصحابها، لكن هذا موضع اختصار، وهي وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاوَرَهَا كلٌّ. ومن الاختلاف - اختلاف التضادِّ، وذلك قول (حمير) للقائم «ثب» أي اقعد.

فحدثنا علي بن ابراهيم القطّان عن المفسر عن القتيبي عن ابراهيم بن مسلم عن الزبير عن ظمّاء بنت عبد العزيز بن مَوَالَةٍ قالت حدثني أبي عن جدي (مَوَالَةٍ) أن (عامر بن الطُّفَيْل) قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فَوَثَبَهُ وسادة، يريد فرشه إياها وأجلسه عليها. والوثاب: الفراش بلغة حمير. قال: وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو «مُوثَبَان» يريدون أنه يطيل الجلوس ولا يغزو، ويقولون للرجل «ثب» أي اجلس.

وروي أن (زيد بن عبد الله بن دارم) وفد على بعض ملوك حمير فألقاه في مُتَصَيِّدٍ له على جبل مُشْرِف، فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك «ثب» أي اجلس، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال «لتجدني أيُّها الملك مُطَوَاعاً» ثم وثب من الجبل فهلك، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبّروه بقصته وغلطه في الكأمة، فقال «أما أنه ليست عندنا عريّة: من دخل (ظفّار) حَمَرٍ وظفّار المدينة التي كان بها، واليه ينسب الجزع الظفّاري. أراد: من دخل ظفّار فليتعلم الحميرية.

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقزوین . قال حدثنا أبو الحسين محمد بن عباس الخشكي . قال حدثنا (إسماعيل بن أبي عبيد الله) قال : أجمع علماءنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم . والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجاليهم أن (قريشاً) أفصح العرب ألسنةً وأدباً لغةً . وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واسطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم . فجعل قريشاً قطان حرمه . وجيران بيته الحرام ، وولاته . فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يندون إلى مكة للحج ، ويتحاجون إلى قريش في أمورهم . وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكمهم بينهم . ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها (أهل الله) لأنهم الصريح من ولد (إسماعيل) عليه السلام . ثم تشبههم شابة ، ولم تنقلهم عن مناسبتهم نفاة ، فضيلة من الله . جل ثناؤه — لهم وتشريفًا . إذ جعلهم رهط نبيه الأذنين ، وعترته الصالحين .

وكانت قريش ، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفي كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائهم ولائقهم التي طبعوا عليها . فصاروا بذلك أفصح العرب .

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم (عنفة تميم) ولا (عجرفية قيس) ولا (كشكشة أسد) ولا (كسكسة ريبة) ولا الكسر الذي تسمعه من (أسد) و(قيس) مثل : «لعلمون» و«لعلم» ومثل «شعير» و«بعير» ؟

باب اللغات المذمومة

أما (العَنْعَنَة) التي تذكر عن (تَمِيم) - فقلبيهم الهمزة في بعض كلامهم
عينا . يقولون « سمعتُ عَنْ فلانا قال كذا » يريدون « أن » .

وروي في حديث (قَيْلَة) : « تَحْسِبُ عَنِّي نَائِمَةٌ » قال (أبو عبيد)
أرادت تَحْسِبُ أُنِي ، وهذه لغة تميم . قال (ذو الرِّمَّة) :
أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءِ مَنْزِلَةٍ
ماء الصَّبَاةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ ؟
أراد « أن » جعل مكان الهمزة عينا .

وأما (الكَشْكَشَة) التي في (أَسَد) - فقال قوم : إنهم يدلون
الكاف شيئا فيقولون « عَلَّش » بمعنى « عليك » . ويُشَدُّون :
فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا ، وَجِيدُشْ جِيدُهَا ،
وَلَوُشْ - إلا أنها غيرُ عاطِلٍ .

وقال آخرون : يَصِلُونَ بالكاف شيئا ، فيقولون « عَلَبْكِش » .
وكذلك (الكَسْكَسَة) التي في (رَبِيعَة) - إنما هي أَنْ يَصِيلُوا بالكاف
سينا ، فيقولون « عَلَبْكِس » .

وحدثني عليُّ بنُ أحمد الصَّبَّاحِيُّ ، قال سمعت (ابن دُرَيْد) يقول :
حروفٌ لا تتكلم بها العرب إلاَّ ضرورة ، فإذا اضْطَرُّوا إليها حوَّلوها عند
التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها .

فمن تلك الحروفِ الحرفُ الذي بين الباء والفاء . مثل « بور » إذا

اضطروا • فقالوا « فور » •

ومثلُ الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم — وهي لغة سائرة في اليمن — مثل « تجمل » اذا اضطروا قالوا « كمل » •

قال : والحرف الذي بين الشين والجيم والياء : في المذكر « غلامج » وفي المؤنث « غلامش » •

فأما (بنو تميم) فانهم يلحقون القاف باللهاء حتى تغلظ جداً فيقولون « القوم » فيكون بين الكاف والقاف ، وهذه لغة فيهم • قال الشاعر :
ولا أكلُ لِكدرِ الكومِ : قد نضجت ^(١) ،
ولا أكلُ لبابِ الدارِ : مكفولُ •

وكذلك الياء تجعل جيما في النسب • يقولون « غلامج » أي « غلامي » •
وكذلك الياء المشددة تحوّل جيما في النسب • يقولون « بصرج »
و « كوفج » قال الرازي :

خالي عويفُ ، وأبو علج ،
المطعمان اللحم بالعشج ،
وبالغداة فلق البرنج •

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها • كالكاف التي تحوّل
شيئاً •

قلنا : أما الذي ذكره (ابن دُرَيْد) في « بور » و « فور » فصحيح •
وذلك أن بور ليس من كلام العرب ، فلذلك يحتاج العربيّ عند تعريبه إياه
أن يُصَيِّره فاءً • وأما سائر ما ذكره فليس من باب الضرورة في شيء • وأيُّ

ضرورة بالقائل الى أن يقلب الكاف شيئاً، وهي ليست في سجع ولا فاصلة ؟
ولكن هذه لغات لقوم على ما ذكرناه في باب اختلاف اللغات .

وأما من زعم أن (ولد اسحاق) عليه السلام يميرون (ولد قحطان)
أنهم ليسوا عرباً . ويستجرون عليهم بأن أسانهم (الجُمَيْرِيَّة) وأنهم يسمون
الأمية بغير اسمها . مع قول الله جل ثناؤه في قصة من قال : لا تأخذ
بالعجم ولا برأسي — وأنهم يسمون الذئب « القلوب » — مع قوله
« وأخف أن يأكله الذئب » — ويسمون الأصابع « الشاتر » — وقد
قال الله جل ثناؤه « يحملون أصابعهم في آذانهم » — وأنهم يسمون
الصديق « الخليم » — والله جل ثناؤه يقول « أو صدقكم » — وما أشبه
هذا . فليس اختلاف اللغات قادحاً في الألساب .

ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات ، فلسنا نذكر أن
تكون لكل قوم لغة . مع أن (قحطان) تذكر أنهم (العرب العاربة) ،
وأن من سوائهم (العرب المتعربة) . وأن (اسحاق) عليه السلام بلسانهم
أنطق . ومن لغتهم أخذ . وإنما كانت لغة أبيه صلى الله عليه وسلم (العبرية)
وليس ذا موضع مفاخرة فاستقصي .

ومما ينسد الكلام ويعيبه (الخزم) ولا نريد به الخزم المستعمل في
الشعر . وإنما نريد قول القائل :

ولئن قوم أصابوا غرّة ،

وأصبنا من زمان رققا ،

للمد كُنَّا لدى أزماننا

لَشَرِّ يَجْنِي لِبَاسٍ وَتَقَى .

فزاد لاماً على « لقد » وهو قبيح جدا .

ويزعم ناسٌ أن هذا تأكيد كقول الآخر :

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْقَى لِمَا يَـ

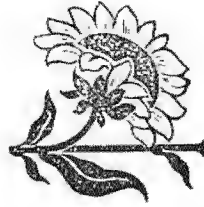
وَلَا لِلَّهِ بِهِمْ - أَبَدًا - دَوَاءٌ .

فزاد لاماً على « لما » وهذا أقبح من الأول . فأما التأكيد فأن هذا

لا يزيد الكلام قوة ، بل يمتدحه . ومثله قول الآخر :

وَصَالِيَاتٍ كَمَا يُوَثِّقِينَ .

وكل ذا من أغاليطٍ من يغلط ، والعرب لا تعرفه .



باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن

وأنه ليس في كتاب الله جل ثناؤه شيء بغير لغة العرب

حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القطان قال حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد عن شيخ له (١) أنه سمع الكاظمي يحدث عن أبي صالح عن (ابن عباس) قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال بسبع لغات، منها خمس بلغة العَجَز من هَوَازَن وهم الذين يقال لهم (عليًا هَوَازَن) وهي خمس قبائل أو أربع، منها (سعد بن بكر) و(جشم بن بكر) و(نضر بن معاوية) و(ثقيف).

قال (أبو عبيد): وأحسب أفصح هؤلاء (بني سعد بن بكر) لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «أنا أفصح العرب مَدَنِيٌّ من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر» وكان مُسْتَرْضَعًا فيهم، وهم الذين قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء): أفصح العرب (عليًا هَوَازَن) و(سُفْلَى تميم). وعن (عبد الله بن مسعود) أنه كان يَسْتَحِبُّ أن يكون الذين يكتبون المصاحف من (مضر).

وقال (عمر): لَا يُمْلَيْنِ فِي مَصَاحِفِنَا إِلَّا غُلَامَانِ (قريش) و(ثقيف). وقال (عثمان): اجعلوا المُلَيَّ من (هذيل) والكاتب من (ثقيف). قال (أبو عبيد): فهذا ما جاء في لغات مضر. وقد جاءت لغات لاهل (اليمن) في القرآن معروفة. منها قوله جل ثناؤه «مُتَكِّثِينَ فِيهَا عَلَى الْأُرَائِكِ» فحدثنا أبو الحسن علي بن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال حدثنا

(١) قال الشيخ: أظن الشيخ هشام بن محمد. — (الأصل)

هشيم أخبرنا منصور عن (الحسن) قال : « كُنَّا » يقال إنها بالحبشية .
 وقوله « هَيْتَ لَكَ » يقال إنها بالحوزانية . قال : فهذا قول أهل العلم من الفقهاء .
 قال : وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شيء ، وأنه
 كله بلسان عربي ، يتأولون قوله جل ثناؤه « إنا جعلناه قرآنا عربيا »
 وقوله « بلسان عربي مبين » .

قال (أبو عبيد) : والصواب من ذلك عندي — والله أعلم — مذهب
 فيه تصديق القولين جميعا . وذلك أن هذه الحروف وأصولها عجمية — كما قال
 الفقهاء — إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بها بالسنتها ، وحوّلتها عن
 ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية . ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه
 الحروف بكلام العرب . فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية
 فهو صادق .

قال : وإنما فسرنا هذا لثلاثا يقدم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ،
 ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير ما أَرَادَهُ اللهُ جلَّ
 وعزَّ ، وهم كانوا أعلم بالتأويل وأشدَّ تعظيما للقرآن .

قال أحمد بن فارس : ليس كل من خالف قائلا في مقالته فقد نسبته
 إلى الجهل . وذلك أن الصدر الأول اختلفوا في تأويل أي من القرآن يخالف
 بعضهم بعضا . ثم خلف من بعدهم من خلف ، فأخذ بعضهم بقول وأخذ
 بعض بقول ، حسب اجتهادهم وما دلَّتهم الدلالة عليه . فالقول إذن ما قاله أبو
 عبيد ، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره .

فإن قال قائل : فما تأويل قول أبي عبيد ، فقد أعظم وأكبر ؟
 قيل له : تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير . وذلك أن القرآن لو كان فيه

من غير لغة العرب شيء ، لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الايتان
بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها . وفي ذلك ما فيه .
وإذا كان كذا فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية
لأن الفارسية ترجمة غير معجزة . وإنما أمر الله جل ثناؤه بقراءة القرآن
العربي المعجز . ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير
والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها ، وهذا
لا يقوله أحد .

باب القول في مأخذ اللغة

تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما ، فهو يأخذ
اللغة عنهم على مرّ الأوقات .
وتؤخذ تلقّناً من ملقّن .
وتؤخذ سماعاً من الرّواة الثقات ذوي الصدق والأمانة ، ويقتضى المظنون .
فحدثنا علي بن ابراهيم عن المَعْدَانِي عن أبيه عن معروف بن حسان (١)
عن اللَّيْث عن (الخليل) قال : ان النّحارير رُبّما أدخلوا على الناس ما ليس
من كلام العرب ارادة اللبس والتّعيب .
قلنا فليتحرّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق
والعدالة . فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا . والله جل ثناؤه
نستهدي التوفيق ، واليه نرغب في إرشادنا لسبيل الصدق ، انه خير
موفق ومعين .

(١) أبو معاذ معروف بن حسان . — (الأصل)

باب القول في الاحتجاج باللغة العربية

لغة العرب يحتج بها فيما اختلف فيه ، اذا كان أيام أقرأئك . قال (أبو بكر) : ومن العظيم أن علياً وعمر رضي الله عنهما قد قالا «القرؤ الحيف» فهل يجتزأ على تجهيلهما باللغة ؟

ومنها قوله في قوله جل ثناؤه «حرّض المؤمنين على القتال» أنه أراد الذكور دون الاناث . قال : وهذا من غريب ما يغلط فيه مثله . يقول الله جل ثناؤه «يا بني آدم» أفترأه أراد الرجال دون النساء ؟

قال ابن داود : وإن قبيحاً مفرط القباحة بمن يعيب (مالك بن أنس) بأنه لحن في مخاطبة العامة بأن قال «مطرنا البارحة مطراً أي مطراً» أن يرضى هو لنفسه أن يتكلم بمثل هذا . لأن الناس لم يزالوا يلحنون ويتلحنون فيما يخاطب بعضهم بعضاً اتقاء للخروج عن عادة العامة فلا يعيب ذلك من ينصفهم من الخاصة، وإنما العيب على من غلط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة والله المستعان .

فلذلك قلنا : ان علم اللغة كالواجب على أهل العلم ، لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستواء .

وكذلك الحاجة الى علم العربية ، فإن الاعراب هو الفارق بين المعاني . ألا ترى أن القائل اذا قال «ما أحسن زيد» لم يفرّق بين التعجب والاستفهام والذم الا بالاعراب . وكذلك اذا قال «ضرب أخوك أخانا» و «وجهك وجهه حرّ» و «وجهك وجهه حرّ» وما أشبه ذلك من الكلام المشتبّه .

هذا وقد روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال

« أغربوا القرآن » .

وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أو يقرؤونه اجتناباً لهم
بعض الذنوب . فأما الآن فقد تجوزوا حتى أن المحدث يحدث فيلحن .
والفقيه يؤلف فيلحن . فإذا نبها قالا : ما ندري ما الأعراب وإنما نحن محدثون
وفقهاء . فهما يسران بما يساء به اللبيب .

ولقد كملت بعض من يذهب بنفسه ويراها من فقه الشافعي بالرتبة
العليا في القياس ، فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ، ومن أي شيء هو ؟
فقال : ليس عليّ هذا وإنما عليّ إقامة الدليل على صحته .
فقل الآن في رجل يروم إقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه ،
ولا يدري ما هو . ونعوذ بالله من سوء الاختيار .



باب القول على لغة العرب

هل لها قياس ، وهل يُشتقُّ بعض الكلام من بعض ؟

أجمع أهل اللغة — الأ — من شدّة عنهم — أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتقُّ بعض الكلام من بعض .

وأن اسم الجنّ مشتق من الاجتنان . وأن الجيم والنون تدلّان أبداً على الستر . تقول العرب للدّرع : جُنّة . وأجنّة الليل . وهذا جنين ، أي هو في بطن أمّه أو مقبور .

وأن الإِنس من الظهور . يقولون : آنست الشيء : أبصرته .

وعلى هذا سائرُ كلام العرب ، علِمَ ذلك من علِمَ وجهله من جهل . قلنا : وهذا أيضاً مبنيٌّ على ما تقدم من قولنا في التوقيف . فإن الذي وقّفنا على أن الاجتنان التستر هو الذي وقّفنا على أن الجنّ مشتق منه . وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لأن في ذلك فسادَ اللغة وبُطلانَ حقائقها . ونكتةُ الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن .



باب القول على أن لغة العرب لم تنته اليها بكليتها

وأن الذي جائنا عن العرب قليل من كثير .

وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله .

ذهب علماؤنا أو أكثرهم الى أن الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الأقل . قال : ولو جائنا جميع ما قالوه لجائنا شعرا كثيرا وكلام كثيرا .

وأحر هذا القول أن يكون صحيحا . لأننا نرى علماء اللغة يختلفون في كثير مما قالته العرب ، فلا يكاد واحد منهم يُخبر عن حقيقة ما خولف فيه ، بل يسلك طريق الاحتمال والامكان .

ألا ترى أننا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الاغراء « كَذَبَكَ كَذَا »
وعما جاء في الحديث من قوله « كَذَبَ عَلَيْكَ الْحَجُّ » و « كَذَبَكَ الْعَسَلُ »
وعن قول القائل :

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أَوْ عِدُّوْنِي وَعَالِلُوا
بِي الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ قِرْدَانٍ مَوْظِبًا .
وعن قول الآخر :

كَذَبَ الْعَتِيقُ وَمَاءَ شَنْ بَارِدٍ
إِنْ كُنْتَ سَائِلْتِي غَبُوقًا فَادْهَبِ .
ونحن نعلم أن قوله « كَذَبَ » يبعُد ظاهره عن باب الاغراء .
وكذلك قولهم « عَنْكَ فِي الْأَرْضِ » و « عَنْكَ شَيْئًا » وقول الأَفْوَه :
عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ إِنْ أَنَا مَذْجَجٌ
وَرُوَيْدَا يَفْضَحُ اللَّيْلَ النَّهَارُ .

ومن ذلك قولهم « أعمد من سيد قتله قومه ؟ » أي « هل زاد ؟ »
فهذا من مشكل الكلام الذي لم يفسر بعد . قال ابن ميادة :

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم
صدام الأعادي حين فُتت نيوبها؛

قال الخليل وغيره « معناه هل زدنا على أن كفينا ؟ » وقال أبو ذؤيب :

صخب الشوارب لا يزال كأنه
عبد لآل أبي ربيعة مسبح .

فقوله « مسبح » ما فُسر حتى الآن تفسيراً شافياً .
ومنه قول الأعشى :

ذاتُ غرب ترمي المقدم بالرد -

ف ، اذا ما تابع الأرواق .

وقوله في هذه القصيدة :

المهين ما لهم في زمان الـ

جذب ، حتى اذا أفاق أفاقوا .

ومن هذا الباب قولهم « يا عيد مالك » و « يا هيء مالك » و « يا شيء

مالك » .

ولم يفسروا قولهم « صة » و « ويهك » و « إنيه » ولا قول القائل :

بخائبك الحق يهتفون وحي هل .

ويقولون « خائبكما » و « خائبكم » .

فأما (الزجر والدعاء) الذي لا يفهم موضوعه - فكثير . كقولهم :

«حيّ» و«حيّ هَلَا» و«بِعَيْنٍ مَا أَرَيْنَاكَ» - في موضعٍ أُعْجِلَ . و«هَجَّ»
و«هَجَا» و«دَعَّ» و«دَعَا» و«لَعَا» - للعائِرِ يدعون له . وينشدون :

وَمَطِيَّةٌ حَمَلَتْ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ

حَرَجٍ تَنْمَى مِنْ عِثَارٍ يَدْعُدَعُ .

ويروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تقولوا : دَعَدَعُ
ولا لَعَلَعُ ، ولكن قولوا : اللهم ارفعْ واضعْ . » فلولا أن للكلمتين معنى
مفهوما عند القوم ما كرهما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

وكتقولهم في الزجر «أَخِرْ» و«أَخِرِي» و«ها» و«هَلَا» و«هَابِ»

و«ارْحَبِي» و«عَدَّ» و«عَاجَ» و«يَاعَاطِ» و«يِعَاطِ» وينشدون :

وما كان على الجيء ولا الهيء امتداحيكاً .

وكذلك «إِجْدُ» و«أَجْدِمُ» و«حَدِّجْ» لا نعلم أحداً فسّر هذا .

وهو باب يكثرُ ويصححُ ما قلناه .

ومن المشتبه الذي لا يقال فيه اليوم إلا بالتقريب والاحتمال وما هو

بغريب اللفظ لكن الوقوف على كُنْهِهِ مُعْتَصِفٌ - قولنا «الحِينُ» و«الزَّمانُ»

و«الدَّهْرُ» و«الأَوَانُ» - إذا قال القائل أو حلف الحالف «والله لا كلمته حيناً

ولا كلمته زماناً أو دهرًا» .

وكذلك قولنا «بِضَعِ سِنِينَ» مُشْتَبِهٌ . وأكثر هذا مُشْكِلٌ لا يُقْصَرُ بشيء

منه على حدٍّ معلوم .

ومن الباب قولهم في الغنى والفقر وفي الشريف والكريم واللئيم ، إذا

قال «هذا لأغنياء أهلي» أو «فقرائهم» أو «أشرافهم» أو «كرامهم»

أو «لثامهم». وكذلك ان قال «امنوه سفهاء قومي» لم يمكن تحديد السفه. ولقد شاهدت منذ زمان قريب قاضياً يريد حجراً على رجل مكتهل. فقلت «ما السبب في حجره عليه؟» فقال «يزعم أنه يتصيد بالكلاب وأنه سفيه» فقريء على القاضي قوله جل ثناؤه «وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونن مما علمكم الله، فكلوا مما أمسكن عليكم» فأمسك القاضي عن الحجر على الكهل.

وكذلك اذا قال «مالي لذوي الحسب» أو «امنوه السفلة» وما أشبه هذا مما يطول الباب بذكره فلا وجع في شيء من هذا غير التقريب والاحتمال، وعلى اجتهاد الموصى اليه أو الحاكم فيه. والا فانَّ تحديده حتى لا يجوز غيره بعيد.

وقد كان لذلك كله ناس يعرفونه. وكذلك يعلمون معنى ما نستعربه اليوم نحن من قولنا «عبسور» في الناقة و«عيسجور» و«امرأة ضناني» و«فرس أشق أمق خبق» ذهب هذا كله بذهاب أهله ولم يبق عندنا الا الرسم الذي نراه.

وعلماء هذه الشريعة، وان كانوا اقتصروا من علم هذا على معرفة رسمه دون علم حقائقه، فقد اعتاضوا عنه دقيق الكلام في أصول الدين وفروعه من الفقه والفرائض. ومن دقيق النحو وجليله. ومن علم العروض الذي يربي بحسنه ودقته واستقامته على كل ما ييجع به الناسبون أنفسهم الى التي يقال لها الفلسفة. ولكل زمان علم، وأشرف العلوم علم زماننا هذا والحمد لله.

باب انتهاء الخلاف في اللغات

تقع في الكلمة الواحدة لغتان . كقولهم « الصِّرام » و « الصَّرام » .
و « الحِصاد » و « الحَصَاد » .

وتقع في الكلمة ثلاث لغات . نحو « الزُّجاج » و « الزِّجاج » و « الزَّجاج »
و « وُشَكَانَ ذَا » و « وُشَكَانَ ذَا » و « وُشَكَانَ ذَا » .

وتقع في الكلمة أربع لغات . نحو « الصِّدَاق » و « الصَّدَاق »
و « الصَّدُوقَة » و « الصُّدُوقَة » .

وتكون منها خمس لغات . نحو « الشَّال » و « الشَّمل » و « الشَّمَل »
و « الشَّامِل » و « الشَّمْل » .

وتكون فيها ست لغات : « قُشَطَاس » و « قِشَطَاس » و « قُضَطَاس »
و « قُشَتَاس » و « قُشَاط » و « قِشَاط » .

ولا يكون أكثر من هذا .



والكلام بعد ذلك أربعة أبواب :

الباب الأوَّل - المجمع عليه الذي لا علة فيه ، وهو الأكثر والأعم .

مثل : الحمد والشكر ، لا اختلاف فيه في بناء ولا حركة .

والباب الثاني - ما فيه لغتان وأكثر إلا أن إحدى اللغات أفصح .

نحو « بَعْدَاز » و « بَعْدَاد » و « بَعْدَان » هي كلها صحيحة ، إلا أن « بَعْدَاد »

في كلام العرب أفصح وأفصح .

والثالث ما فيه لغتان أو ثلاث أو أكثر ، وهي متساوية ، كـ « الحِصاد »

و« الحِصَادُ ». و« الصَّدَاقُ » و« الصِّدَاقُ » ، فأياً ما قال القائل فصحيح
فصحيح .

وبالْبَابِ الرَّابِعِ - ما فيه لغة واحدة ، إلا أن المَوْلَدِينَ غَيَّرُوا فَصَارَتْ
أَلْسِنَتُهُمْ بِالْخَطِ جَارِيَةً . نحو قولهم « أَصْرَفَ اللَّهُ عَنْكَ كَذَا » و« إِنْجَاصٌ »
و« إِمْرَأَةٌ مُطَاعَةٌ » و« عَرِقَ النِّسَاءُ » بكسر النون ، وما أشبه ذا .
وعلى هذه الأبواب الثلاثة بنى (أبو العباس ثعلب) كتابه المسمى
(فصيح الكلام) أخبرنا به (أبو الحسن القطَّان) عنه .

باب مراتب الكلام

في وضوحه وإشكاله .

أما واضح الكلام — فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب .
كقول القائل : شربت ماءً ، ولقيت زيدا .

وكما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله « حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » وكقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا استيقظ أحدكم من نومه ، فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً . »
وكقول الشاعر :

إن يحسدوني فاني غير لائمهـم :

قبلي - من الناس - أهل الفضل قد حسدوا .

وهذا أكثر الكلام وأعمه .

وأما المشكل — فالذي يأتيه الاشكال من غرابة لفظه ، أو أن تكون فيه إشارة الى خبر لم يدكره قائله على جهته ، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود ، أو يكون وجيزاً في نفسه غير مبسوط ، أو تكون ألفاظه مشتركة .

فأما المشكل لغرابة لفظه — فقول القائل « يملخ في الباطل ملخاً ينفض مذرّويه » وكما أنه قيل « أيدهالك الرجل المرأة ؟ » قال « نعم ، إذا كان ملقجاً » ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « فلا تعضلوهن » ، « ومن الناس من يعبد الله على حرف » ، « وسيداً وحصوراً » ، « ويبرئ الأكنه »

وغيره مما صنف علماءنا فيه كتب غريب القرآن . ومنه في حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « على التبعة شاة . والتيمة لصاحبها . وفي السيوب الخمس لا خلط ولا وراط ولا شناق ولا شغار . من أجبي فقد أربى » وهذا كتابه الى الأقيال العبا هلة . ومنه في شعر العرب :

وقايم الأعماق شاز بمن عوه
مضبورة قرؤاء هرجاب فنق .

وفي أمثال العرب « باقعة » و « شراب بائع » و « مخربق لينباع » .
والذي أشكل لا ياء قائله الى خبر لم ينصح به - فقول القائل « لم أفر يوم عنين » و « رويدا سؤفك بالقوارير » وقول امرئ القيس :
دع عنك نهبا صيح في حجراته .
وقول الآخر :

ان العصا قرعت لذي الحلم .

وفي كتاب الله جل ثناؤه مالا يعلم معناه الا بمعرفة قصته ، قوله جل ثناؤه « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله » وفي أمثال العرب « عسي الغوير أبو ساء » .

والذي يشكل لانه لا يحدث في نفس الخطاب - فكقوله جل ثناؤه « أقيموا الصلاة » فهذا مجمل غير مفصل حتى فسر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم .

والذي أشكل لو جازة لفظه - قولهم :
الغمرات ثم ينجلينا

والذي يأتيه الاشكال لاشتراك اللفظ - قول القائل :
 وضعوا اللجَّ على قفِّي .
 وعلى هذا الترتيب يكون الكلام كله في الكتاب والسنة وأشعار
 العرب وسائر الكلام .

باب ذكر ما اختصت به العرب

من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب - الاعراب الذي هو الفارق
 بين المعاني المتكافئة في اللفظ ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ،
 ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منعوت ، ولا تعجب من
 استفهام ، ولا صدر من مصدر ، ولا نعت من تأكيد .
 وذكر بعض أصحابنا أن الاعراب يختص بالأخبار ، وقد يكون
 الاعراب في غير الخبر أيضاً . لأننا نقول « أزيدُ عندك ؟ » و « أزيداً
 ضربت ؟ » فقد عمل الاعراب وليس هو من باب الخبر .
 وزعم ناس يتوقف عن قبول أخبارهم أن الذين يُسمَّون الفلاسفة قد
 كان لهم إعرابٌ ومؤلفاتٌ نحو . قال أحمد بن فارس : وهذا كلام لا يرجحُ
 على مثله . وإنما تشبه القوم أنفاً بأهل الاسلام ، فأخذوا من كتب علمائنا ،
 وغيرُوا بعض ألفاظها ، ونسبوا ذلك الى قوم ذوي أسماء منكرةٍ بتراجم
 بشعةٍ لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها .
 وادَّعوا مع ذلك أن للقوم شعراً ، وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء ، نَزَرَ
 الحلاوة ، غير مستقيم الوزن .

بلى ، الشَّعْرِ شِعْرَ الْعَرَبِ ، دِيَوَانُهُمْ وَحَافِظُ مَا ثَرَهُمْ ، وَمُقَيَّدُ أَحْسَابِهِمْ ،
ثُمَّ لِلْعَرَبِ الْعَرُوضُ الَّتِي هِيَ مِيزَانُ الشَّعْرِ ، وَبِهَا يُعْرَفُ صَحِيحُهُ مِنْ سَقِيمِهِ .
وَمَنْ عَرَفَ دِقَائِقَهُ وَأَسْرَارَهُ وَخَفَايَاهُ عِلْمٌ أَنَّهُ يُرَبِّي عَلَى جَمِيعِ مَا يَنْجَحُ
بِهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْتَحِلُونَ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ مِنْ الْأَعْدَادِ وَالْخُطُوطِ
وَالنُّقَطِ الَّتِي لَا أَعْرِفُ لَهَا فَائِدَةً غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ قَلَّةِ فَائِدَتِهَا تُرِقُّ الدِّينَ ، وَتَنْتِجُ
كُلَّ مَا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهُ .

وَالْعَرَبُ حَفِظَ الْأَنْسَابَ وَمَا يُعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ عُنِيَ بِحِفْظِ النَّسَبِ
عَنَايَةَ الْعَرَبِ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
وَأُنْثَى . وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » فَهِيَ آيَةٌ مَا عَمِلَ بِمُضْمُونِهَا غَيْرُهُمْ .
وَمِمَّا خَصَّ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ بِهِ الْعَرَبَ طَهَارَتُهُمْ وَنَزَاهَتُهُمْ عَنِ الْأَدْنَسِ
الَّتِي اسْتَبَاحَهَا غَيْرُهُمْ مِنْ مَخَالِطَةِ ذَوَاتِ الْحَارِمِ . وَهِيَ مَنْقَبَةٌ تَعْلُو بِجَمَالِهَا
كُلَّ مَأْثَرَةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .



باب الأسباب الاسلامية

كانت العربُ في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائلكهم وقرابينهم. فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام حالت أحوالُهم، ونُسِخت دِياناتُهم، وأبطلت أمُورُهم، ونُقِلت من اللغة أَلْفاظ من مواضع إلى مواضع آخر، بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شُرِطت. فَعَفِيَ الآخِرُ الأوَّلَ، وشُغِلَ القومُ - بعد المغاورات والتجارات وتَطَلُّبِ الأرباح والكَدْحِ للمعاش في رحلة الشتاء والصيف، وبعد الاغرام بالصَّيْدِ والمُعَاقَرَةِ والمِياسَةِ - بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يَأْتِيهِ الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلُ من حكيم حميد، وبالتَّفَقُّهِ في دين الله عز وجل، وحفظ سنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، مع اجتهدادهم في مجاهدة أعداء الاسلام.

فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن وحتى تكلموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب الموارِيث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُوِّنَ وحُفِظَ حتى الآن.

فصاروا - بعد ما ذكرناه - الى أن يُسْئَلُ إمامٌ من الأئمة وهو يُخْطَبُ على منبره عن فريضة فَيُفْتِي وَيَحْسُبُ بثلاث كلمات. وذلك قول أمير المؤمنين عليٍّ صلوات الله عليه حين سُئِلَ عن ابنتين وأبوين وامرأة «صار ثمنها تسعاً» فسميت (المنبرية).

والى أن يقول هو صلوات الله عليه على منبره والمهاجرون والأنصار متوافرون «سلوني، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار،

أم في سهل أم في جبل» وحتى قال صلوات الله عليه وأشار الى ابنه «يا قوم، استنبطوا مني ومن هذين علم ماضى وما يكون» والى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرض وحده، كالشركة، ومسئلة المباهلة والغراء، وأم الفروخ، وأم الأرامل، ومسئلة الامتحان، ومسئلة ابن مسعود، والأكدرية، ومختصرة زيد، والخرقاء، وغيرها مما هو أغمض وأدق.

فسبحان من تقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه عما ألفوه ونشأوا عليه وغدوا به، الى مثل هذا الذي ذكرناه. وكل ذلك دليل على حق الايمان وصحة نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

فكان مما جاء في الاسلام — ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب انما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سُمِّيَ المؤمن بالاطلاق مؤمناً. وكذلك الاسلام والمسلم، انما عرفت منه اسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. فأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نفاق اليربوع. ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم «فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ» إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه.

ومما جاء في الشرع — الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء. وقد كانوا عرفوا

الركوع والسجود، وإن لم يكن على هذه الهيئة، فقالوا:

أَوْ ذُرَّةَ صَدْفِيَّةٍ، غَوَّاصُهَا

بِهَجٍّ ، متى يَرَهَا يَهْلٌ وَيَسْجُدُ . (١)

وقال الاعشى :

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ -

طَوْرًا سَجُودًا ، وَطَوْرًا جُورًا .

والذي عرفوه منه أيضا ما أخبرنا به عليُّ عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد

قال ، قال (أبو عمرو) « اسْبُدَّ الرَّجُلُ : طَاطَأَ وَانْحَنَى » قال حميد بن ثور :

فَضُولُ أَرْمَتَهَا أَسْجَدَتْ

سَجُودَ النَّصَارَى لِأَرْبَابِهَا .

وأنشد :

فَقُلْنِ لَهُ : أَسْجِدْ لِلْيَلَى ، فَاسْجُدَا .

يعني البعير اذا طَاطَأَ رَأْسَهُ لَتَرْتُهُ كَبَةً .

وهذا وإن كان كذا فان العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة من

الأعدادِ والمواقيتِ والتَّحريمِ للصلاة ، والتَّحليلِ منها .

وكذلك الصيام أصله عندهم الامسالكُ ويقول شاعرهم :

خَيْلٌ صِيَامٌ ، وَأُخْرَى غَيْرُ صَائِمَةٍ

تَحْتَ الْعَجَاجِ ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْجَا .

ثم زادت الشريعة النية ، وحظرت الأكلَ والمباشرةَ وغير ذلك من

شرائع الصوم .

(١) البيت لزباد بن معاوية ناوية بن ذبيان من قصيدته في وصف المتجردة والبيت الذي قبله هذا :

قامت ترأني بين سجنى كلة .

كالشمس يوم طأوعها بالأسمد .

وكذلك الحجُّ ، لم يكن عندهم فيه غير القصد ، وسبَّ الجراح . من ذلك قولهم :

وأشهدُ من عوفٍ حلولاَ كثيرةً ،

يُحجُّون سبَّ الزَّبرقان المزعفرا .

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره .

وكذلك الزَّكاة ، لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء ، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لاطالة الباب بذكره .

وعلى هذا سائر ما تركناه ذكره من العمرة والجهاد وسائر أبواب الفقه .

فالوجه في هذا إذا سئل الانسان عنه أن يقول في الصلاة اسمان لغويٌّ

وشرعيٌّ ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ، ثم ما جاء الاسلام به . وهو

قياسُ ما تركناه ذكره من سائر العلوم ، كالنحو والعروض والشعر : كل ذلك له اسمان لغويٌّ وصناعيٌّ .



باب القول في حقيقة الكلام

زعم قوم أن « الكلام ما سُمع وفُهم » وذلك قولنا « قام زيد »
و « ذهب عمرو » .

وقال قوم « الكلام حروف مؤلفة دالة على معنى » .
والقولان عندنا منقاربان ، لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون إلا
بحروف مؤلفة تدل على معنى .

وقال لي بعض فقهاء بغداد : إن الكلام على ضربين مهمل ومستعمل .
قال : فالمهمل « هو الذي لم يوضع للفائدة » والمستعمل « ما وضع ليفيد »
فأعلمته أن هذا كلام غير صحيح ، وذلك أن المهمل على ضربين : ضرب لا
يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بَنَّةً ، وذلك كجيم تؤلف مع كاف أو
كاف تقدم على جيم ، وكعين مع غين ، أو هاء مع هاء أو غين ، فهذا وما
أشبهه لا يأتلف .

والضرب الآخر ما يجوز تألف حروفه لكن العرب لم تقل عليه ،
وذلك كارادة مرید أن يقول « عضخ » فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر ، ألا
تراه قد قالوا في الألف الشلثة « خضع » لكن العرب لم تقل عضخ .
فهذان ضربا المهمل .

وله ضرب ثالث وهو أن يريد مرید أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف
ليس فيها من حروف الذَّلقِ أو الاطباق حرف .
وأي هذه الثلاثة كان فانه لا يجوز أن يسمى « كلاماً » لما ذكرناه

من أنه وإن كان مسموعاً مؤلفاً فهو غير مفيد . وأهل اللغة لم يذكروا المهمل في أقسام الكلام وإنما ذكروه في الأبنية المهمة التي لم تقل عليها العرب . فقد صح ما قلناه من خطأ من زعم أن المهمل كلام .

باب أقسام الكلام

أجمع أهل العلم أن الكلام ثلاثة : اسم وفعل وحرف .
فأما الاسم - فقال سيبويه « الاسم نحو رجل وفرس » وهذا عندنا تمثيل ، وما أراد سيبويه به التحديد ، إلا أن ناساً حكوا عنه أن « الاسم هو المحدث عنه » وهذا شبيه بالقول الأول لأن « كيف » اسم ولا يجوز أن يحدث عنه .

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن داود الفقيه يقول سمعت (أبا العباس محمد بن يزيد البرد) يقول : مذهب سيبويه أن « الاسم ما صلح أن يكون فاعلاً » قال : وذلك أن سيبويه قال « ألا ترى أنك لو قلت إن يضرب يأتينا وأشبه ذلك لم يكن كلاماً ، كما تقول إن ضاربك يأتينا » قال : فدل هذا على أن الاسم عنده ما صلح له الفعل .

قال : وعارضه بعض أصحابه في هذا بأن « كيف » و « عند » و « حيث » و « أين » أسماء وهي لا تصلح أن تكون فاعلة . والدليل على أن أين وكيف أسماء قول سيبويه « الفتح في الأسماء قولهم كيف وأين » فهذا قول سيبويه والبحث عنه .

وقال الكسائي « الاسم ما وُصِفَ » وهذا أيضاً معارض بما قلناه من

كيف وأين أنهما اسمان ولا يُعتان .

وكان الفراء يقول « الاسم ما احتمل التنوين أو الإضافة أو الألف واللام » وهذا القول أيضاً معارض بالذي ذكرناه أو نذكره من الأسماء التي لا تنون ولا تضاف ولا يضاف إليها ولا يدخلها الألف واللام .
وكان الأخفش يقول « إذا وجدت شيئاً يحسن له الفعل والصفة نحو زيد قام وزيد قائم ثم وجدته يثنى ويجمع نحو قولك الزيدان والزيدون ثم وجدته يمتنع من التصريف فاعلم أنه اسم » . وقال أيضاً : ما حسن فيه « ينفعني » و « يضرني » .

وقال قوم : ما دخل عليه حرف من حروف الخفض . وهذا قول هشام وغيره . وله قول آخر : ان الاسم ما نودي . وكل ذلك معارض بما ذكرناه من كيف وأين ومن قولنا « إذا » وإذا اسم لحين . فحدثني علي بن إبراهيم القطان قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول حدثني أبو عثمان المازني قال : سألت الأخفش عن « إذا » ما الدليل على أنها اسم لحين ؟ فلم يأت بشيء . قال : وسئل الجرمي فثغّب . وسئل الرياشي فجوّد وقال : الدليل على أنها اسم للحين أنه يكون ضميراً ، ألا ترى أنك تقول « القتال إذا يقوم زيد » كما تقول « القتال يوم يقوم زيد » ؟ وقد أوما الفراء في معنى « إذا » إلى هذا المعنى .

وعاد القول بنا إلى تحديد الاسم . فقال المبرد في كتاب (المقتضب) : كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم فإن امتنع من ذلك فليس باسم . وهذا معارض أيضاً بكيف وإذا وهما اسمان لا يدخل عليهما شيء من حروف الجر .

وسمعت أبا بكر محمد بن أحمد البصير وأبا محمد سلم بن الحسن يقولان
سُئِلَ الزَّجَّاجُ عَنْ حَدِّ الْأَسْمِ فَقَالَ : صَوْتُ مُقَطَّعٍ مَفْهُومٌ دَالٌّ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ
دَالٍّ عَلَى زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ . وَهَذَا الْقَوْلُ مُعَارِضٌ بِالْحَرْفِ وَذَلِكَ أَنَا نَقُولُ
« هَلْ » وَ « بَلْ » وَهُوَ صَوْتُ مُقَطَّعٍ مَفْهُومٌ دَالٌّ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ دَالٍّ عَلَى
زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ .

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ « الْأَسْمُ مَا صَلَحَ أَنْ يَنَادَى » خَطَأٌ أَيْضًا لِأَنَّهُ كَيْفَ
أَسْمٌ وَأَيْنَ وَإِذَا ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهَا نِدَاءٌ .
قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارَسٍ : هَذِهِ مَقَالَاتُ الْقَوْمِ فِي حَدِّ الْأَسْمِ يُعَارِضُهَا مَا قَدْ
ذَكَرْتَهُ . وَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرْتَهُ سَلَّمَ مِنْ مُعَارِضَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ
أَصَحُّ . وَذُكِرَ لِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ « الْأَسْمَ مَا كَانَ مُسْتَقَرًّا عَلَى الْمُسَمَّى
وَقَدْ ذَكَرْتُ إِيَّاهُ وَلَا زَمَانًا لَهُ » وَهَذَا قَرِيبٌ .



باب الفعل

قال الكِسَائِيُّ « الفعل مادل على زمان » .
 وقال سيبويه « أما الفعل فأُمثلةٌ أَخَذَتْ من لفظِ أَحْدَاثِ الْأَسْمَاءِ
 وَبُنِيَتْ لما مَضَى ، وما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم يَنْقَطِعْ » فيقال لسيبويه
 ذَكَرْتَ هَذَا فِي أَوَّلِ كِتَابِكَ وَزَعَمْتَ بَعْدُ أَنَّ « لَيْسَ » وَ « عَسَى » وَ « نَعَمْ »
 « بَلِّغْ » أَفْعَالٌ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَمْ تُؤْخَذْ مِنْ مَصَادِرٍ . فَإِنْ قُلْتَ : إِنِّي حَدَدْتُ
 أَكْثَرَ الْفِعْلِ وَتَرَكْتُ أَقْلَهُ قِيلَ لَكَ : إِنْ الْحَدَّ عِنْدَ النَّظَارِ مَا لَمْ يَزِدِ الْمَحْدُودُ وَ
 يَنْقُصُهُ مَا هُوَ لَهُ .

وقال قوم « الفعل ما امتنع من التثنية والجمع » . وَالرَّدُّ عَلَى أَصْحَابِ هَذِهِ
 الْمَقَالَةِ أَنْ يَقَالَ : إِنْ الْحُرُوفُ كُلُّهَا مَمْتَنَعَةٌ مِنَ التَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ وَلَيْسَتْ أَفْعَالًا .
 وقال قوم « الفعل ما حَسُنَتْ فِيهِ التَّاءُ نَحْوُ قَتٌ وَذَهَبْتُ » وَهَذَا
 عِنْدَنَا غَلَطٌ لِأَنَّا قَدْ نَسَمِيهِ فِعْلًا قَبْلَ دُخُولِ التَّاءِ عَلَيْهِ .
 وقال قوم « الفعل ما حَسَّنَ فِيهِ أَمْسٌ وَغَدًا » وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ الْبَصَرِيِّينَ
 غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنَا قَائِمٌ غَدًا ، كَمَا يَقُولُونَ أَنَا قَائِمٌ أَمْسًا .
 وَالَّذِي نَزَّهَ إِلَيْهِ مَا حَكَيْنَاهُ عَنِ الْكِسَائِيِّ مِنْ أَنَّ « الْفِعْلَ مَادِلٌ عَلَى
 زَمَانٍ نَخْرِجُ وَيَخْرِجُ » دَلَّتْنَا بِهِمَا عَلَى مَاضٍ وَمُسْتَقْبَلٍ .

باب الحرف

قال (سيبويه) : وأما ما جاء لمعنى ، وليس باسم ولا فعل ، فنحو « ثم » .
« سوف » و « واو القسم » و « لام الإضافة » .
وكان (الأخفش) يقول : ما لم يحسن له الفعل ولا الصفة ولا التثنية
لا الجمع ولم يجر أن يتصرف - فهو (حرف) .
وقد أكثر أهل العربية في هذا ، وأقرب ما فيه ما قاله سيبويه ، انه
لذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل . نحو قولنا « زيد منطلق » ثم نقول
« هل زيد منطلق ؟ » فأفدنا بـ « هل » ما لم يكن في « زيد » ولا « منطلق » .



باب أجناس الأسماء

قال بعض أهل العلم :

الأسماء خمسة - (اسم فارق) و (اسم مُفَارِقٌ) و (اسم مُشْتَقٌّ)
و (اسم مُضَافٌ) و (اسم مُقْتَضٍ) .

فالفارق - قولنا « رجل » و « فرس » فرقنا بالاسمين بين شخصين .
والمفارق - قولنا « طفل » يفارقه اذا كبر .

والمشتق - قولنا « كاتب » وهو مشتق من « الكتابة » ويكون هذا
على وجهين : أحدهما مَبْنِيًّا على فَعَلَ وذلك قولنا « كتب فهو كاتب » ،
والآخر يكون مشتقًا من الفعل غير مَبْنِيٍّ عليه كقولنا « الرحمن » فهذا
مشتق من « الرحمة » وغير مَبْنِيٍّ من « رحم » .

وكل ما كان من الأوصاف أبعد من بنية الفعل فهو أبلغ ، لأن « الرحمن »
أبلغ من « الرحيم » لأننا نقول « رَحِمَ فهو راحم ورحيم » ونقول « قَدَّرَ فهو
قادرٌ وقدير » . وإذا قلنا « الرحمن » فليس هو من « رَحِمَ » وإنما هو من
« الرَّحْمَةِ » . وعلى هذا تجري النعوت كلها في قولنا « كاتب » و « كَتَّابٌ »
و « ضارب » و « ضَرُوبٌ » .

والمضاف - قولنا « كل » و « بعض » لا بدَّ أن يكونا مضافين .

والمُقْتَضِي - قولنا « أخ » و « شريك » و « ابن » و « خصم » كلُّ
واحد منها إذا ذُكر اقتضى غيره ؛ لأن الشريك مُقْتَضٍ شريكاً والأخ
مُقْتَضٍ آخر .

وقال بعضُ الفقهاء :

أسماءُ الأعيان خمسة - (اسم لازم) و (اسم مُفارق) و (اسم مُشتق)
و (اسم مُضاف) و (اسم مُشَبَّه) •

فاللزام - « انسان » و « سماء » و « أرض » لأن هذه الأسماء لا
تنتقلُ من مُسمَّياتها •

قال : والمُفارق - اللقب الذي يُسمى نحو « زيد » و « عمرو » وقد
يقع أيضاً بأن يُقال : المُفارق « الطفل » لانه اسم يزول عنه بِكِبَرِهِ •
والمشتق - كـ « دابة » و « كاتب » .

والمُضاف - قولنا « ثوبُ عمرو » و « جزءُ الشيء » •
والمُشَبَّه - قولنا « رَجُلٌ حَدِيدٌ وَأَسَدٌ » على وجه التشبيه •
قال : وجماعُها أنها وُضِعَتْ للدلالة بها •
قلنا : وهذه قسمة ليست بالبعيدة •

باب النعته

النَّعْتُ - هو الوصف كقولنا « هو عاقل » و « جاهل » .
 وذُكر عن (الخليل) أن النعته لا يكون إلا في محمود ، وأن الوصف
 قد يكون فيه وفي غيره .
 والنَّعْتُ - يجري مجريَّين : أحدهما تخلص اسم من اسم كقولنا « زيد
 العطار » و « زيد التَّمِيمِيَّ » خلصناه بنعته من الذي شاركه في اسمه .
 والآخر على معنى المدح والذم نحو « العاقل » و « الجاهل » .
 وعلى هذا الوجه تجري أسماء الله جلَّ وعزَّ ، لأنه المحمود المشكور المثني
 عليه بكلِّ لسان ، ولا سَمِيَّ له - جلَّ اسمه - فيخلص اسمه من غيره .



باب القول على الاسم من أي شيء أخذ؟

قال قوم: الأسماء سمات دالة على المسميات، ليعرف بها خطاب المخاطب.
وهذا الكلام محتمل وجهين: أحدهما أن يكون الاسم سمة كالعلامة
والسبب. والآخر أن يقال: إنه مشتق من «السمة». فان أراد القائل
أنها سمات على الوجه الأول - فصحيح. وإن كان أراد الوجه الثاني - فحدثني
أبو محمد سلم بن الحسن البغدادي قال سمعت (أبا إسحاق إبراهيم بن السري
الزجاج) يقول: معنى قولنا «اسم» مشتق من «السمو» والسمو الرفع.
فالأصل فيه «سمو» على وزن حمل وجمعه «أسماء» مثل قولك قنوا قناء.
وإنما جعل الاسم تنويهاً ودلالة على المعنى لأن المعنى تحت الاسم. ومن قال:
إن اسماً مأخوذ من «وسمت» فهو غلط، لأنه لو كان كذا لكان
تصغيره «وسيم»^(١) كما أن تصغير عدة وصلة: وعيدة ووصلة.
قال أبو إسحاق: وما قلناه في اشتقاق «اسم» ومغناه - قول لا نعلم
أحداً فسره قبلنا.

قلت: وأبو إسحاق ثقة. غير أنني سمعت أبا الحسين أحمد بن علي
الأحول يقول سمعت أبا الحسين عبد الله بن سفيان النحوي الخزاز يقول
سمعت (أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد) يقول: الاسم مشتق من «سما»
إذا علا.

قال: وكان أبو العباس ربما اختصني بكثير من علمه فلا يشركني فيه غيره.

باب آخر في الأسماء

قد قلنا فيما مضى ما جاء في الاسلام من ذكر المسلم والمؤمن وغيرهما . وقد كانت حدثت في صدر الاسلام أسماء ، وذلك قولهم لمن أدرك الاسلام من أهل الجاهلية « مُخَضَّرَم » . فأخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم قال حدثنا محمد بن عباس الخشكي عن (اسماعيل بن أبي عبيد الله) قال : المخضرمون من الشعراء : من قال الشعر في الجاهلية ثم أدرك الاسلام .

فمنهم (حسان بن ثابت) و (لييد بن ربيعة) و (نابغة بني جعدة) و (أبو زيد) و (عمرو بن شاس) و (الزبرقان بن بدر) و (عمرو بن معدي كرب) و (كعب بن زهير) و (معن بن أوس) .

وتأويل المخضرم : من خَضَرَمَت الشيء أي قطعته ، وخَضَرَم فلان عطيته أي قطعها ، فسمي هؤلاء « مخضرمين » كأنهم قطعوا من الكفر إلى الاسلام . ويمكن أن يكون ذلك لأن رتبتهم في الشعر نقصت لان حال الشعر تكلمت في الاسلام لما أنزل الله جل ثناؤه من الكتاب العربي العزيز . وهذا عندنا هو الوجه ، لأنه لو كان من القطع لكان كل من قطع إلى الاسلام من الجاهلية مخضرمًا ، والأمر بخلاف هذا .

ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم : المِرباع ، والذَّشِيطَة ، والفضول ، ولم نذكر الصَّفِيَّ لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد اصطفى في بعض غزواته وخُصَّ بذلك ، وزال اسم الصَّفِيَّ لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومما ترك أيضاً : الأتاوة ، والمكس ، والحلوان . وكذلك قولهم : إنعم صباحاً ، وإنعم ظلاماً . وقولهم لذلك : أبيت اللعن . وترك أيضاً قول المملوك للمالك : ربي . وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب . قال الشاعر :

وَأَسْلَمَنْ فِيهَا رَبَّ كِنْدَةَ وابْنَهُ

وَرَبَّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعَرٍ .

وترك أيضاً تسمية من لم يحجَّ « صرورة » . فحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد - في حديث الأعمش - عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن (أبي موسى) قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا صرورة في الاسلام » ومعنى ذلك فيما يقال : هو الذي يدعُ النكاح تبثلاً . حدثني علي بن أحمد بن الصباح قال سمعت (ابن دُرَيْد) يقول : أصل الصرورة أن الرجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثاً فاجأ إلى الحرم لم يُهَجْ وكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم قيل : هو صرورة فلا تهجه . ثم كثر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبد الذي يجتنب النساء وطيب الطعام : صرورة وصرورياً ، وذلك عنى النابغة بقوله :

صَرُورَةٌ مَتَعَبِدٌ . (١)

أي متقبض عن النساء . فلما جاء الله جل ثناؤه بالاسلام وأوجب إقامة الحدود بمكة وغيرها سمي الذي لم يحجَّ « صرورة » خلافاً لأمر الجاهلية ، كأنهم جعلوا أن تركه الحج في الاسلام كترك المتأله إتيان النساء والتنعم في الجاهلية .

« ١ » من قصيدته في وصف (المتجردة) وتام البيت قوله :

لو أنها عرضت لاشمط راهب

عبد الآله ضرورة متعبد .

ومما ترك أيضاً قولهم : الابل تساق في الصداق النوافج . على أن من العرب من كان يكره ذلك . قال شاعرهم :

وليس تلادي من وراثته والدي ،
ولا شان مالي مُستفادُ النوافج .

وكانوا يقولون « تَهْنِكُ النَافِجَةُ » ^(١) مع الذي ذكرناه من كراهة ذوي أقدارهم لها وللعقول . قال (جَنْدَلُ الطُّهَوِيِّ) :

وَمَا فَكَّ رَقِي ذَاتُ خَلْقٍ خَبَرَنَجٍ
ولا شان مالي صِدْقَةٌ وَعَقُولُ .

ولكن نمتني كلُّ أَيْضَ صَارِمٍ ،
فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ .

ومما كرهه في الاسلام من الألفاظ قول القائل « خَبِثْتُ نَفْسِي » قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا يقولنَّ أَحَدُكُمْ خَبِثْتُ نَفْسِي » . وكره أيضاً أن يقال : استأثر الله بفلان .

ومما كرهه العلماء قول من قال : سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، إنما يقال : فَرَضُ الله جلَّ وعزَّ وسُنَّتُهُ ، وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم : حَجَرًا مَحْجُورًا . وكان هذا عندهم لمعنيين : أحدهما عند الحرمان إذا سُئِلَ الإنسان قال حَجَرًا مَحْجُورًا ، فيعلم السائل أنه يريد أن يجرمه . ومنه قوله :

(١) وتهنك ، على الخبر .

حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا :

حَجَرٌ حَرَامٌ أَلَا تَتْلِكِ الدَّهَارِيسُ •

والوجه الآخر : الاستعازة . كان الانسان إذا سافر فرأى من يخافه

قال : حَجَرًا مَحْجُورًا . أي حرام عليك التعرّض لي • وعلى هذا فُسِّرَ قوله عزّ

وجل « يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، ويقولون : حَجَرًا

مَحْجُورًا » يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا .

باب ما جرى مجرى الأسماء

وإنما هي ألقاب

ومما جرى مجرى الاسم وهو لقب قولهم : مَذْرَكَةٌ وَطابُخَةٌ • وذلك في
العرب على ثلاثة أضرب : ضربٌ مدح ، وضربٌ ذم ، وضربٌ تلقب
الانسان لفعل يفعله •

فالمدح — تلقيبهم البحرَ والحَبْرَ والباقرَ والصادقَ والديباجَ وغيرهم .

والذم — فكثرتلقيبهم بالوزغ ورشع الحجر وما أشبه ذلك •

وأما اللقب المأخوذ من فعل يُفعل — فكطابخة ومذركة •

وقوله جلّ ثناءؤه « وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ » فقال (قتادة) : هو أن

تقول للرجل : يا فاسق يا منافق •

وروى الشعبي عن (أبي جُبَيْرَةَ بن الضحّاك) — وأبو جُبَيْرَةَ رجل من

من الأنصار من بني سلمة — قال : فينا أنزلت هذه الآية ، وذلك أن رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدّم علينا ، وليس منّا رجلٌ إلّا له لقبان أو ثلاثة

فجعل بعضنا يدعو بعضاً بلقبه ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل هو أحياناً يدعو الرجل ببعض تلك الألقاب ، فقليل له : يا رسول الله إنه يغضب من هذا ، فأنزل الله جل ثناؤه « وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ » .

وأما تسمية العرب أولادها بكلمة وقرد ونمر وأسد - فذهب علماءنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سماه بما يراه أو يسمعه مما يتفأل به ، فإن رأى حَجَرًا أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر . وإن رأى ذئبًا تأوّل فيه الفطنة والشكر والكسب . وإن رأى حمارًا تأوّل فيه طول العمر والوقاحة . وإن رأى كلبًا تأوّل فيه الحراسة وبعد الصوت والإلف . وعلى هذا يكون جميع ما لم نذكره من هذه الأسماء .



باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص على المجاورة والسبب.

قال علماؤنا : العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب . وذلك قولهم « التيمم » لمسح الوجه من الصعيد ، وإنما التيمم الطلب والقصد . يقال : تيممتك وتأممتك أي تعمّدتك .

ومن ذلك تسميتهم السحاب « سماء » والمطر « سماء » وتجاوزوا ذلك إلى أن سموا النبات سماء . قال شاعرهم :

إذا نزل السماء بأرض قوم

وربما سموا الشحم « ندى » لأن الشحم عن النبات والنبت عن الندى قال (ابن أحمَرَ) :

كثور العذاب الفرد يضربه الندى

تعلّى الندى في متنه وتحدّراً .

ومن هذا الباب قول القائل :

قد جعلت نفسي في اديم

أراد بالنفس الماء وذلك أن قوام النفس بالماء .

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جل ثناؤه « وأُنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » يعني خلق . وإنما جاز أن يقول أنزل لأن الأنعام لا تقوم إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء ، والله جل ثناؤه ينزل الماء من السماء . قال : ومثله « قد أنزلنا عليكم لباساً » وهو جل ثناؤه إنما أنزل الماء ، لكن

اللباس من القطن ، والقطن لا يكون إلا بالماء . قال : ومنه قوله جل ثناؤه
« وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا » إنما أراد والله أعلم - الشيء يُنْكَحُ
به من مهر وثففة ، ولا بد للمتزوج به منه .

باب القول في أصول أسماء

قيس عليها وألحق بها غيرها

كان (الأصمعي) يقول : أصل « الورد » إتيان الماء ، ثم صار إتيان كل
شيء ورداً . و « القرب » طلب الماء . ثم صار يقال ذلك لكل طلب ،
فيقال « هو يقرب كذا » أي يطلبه و « لا تقرب كذا » .

ويقولون « رفع عقيرته » أي صوته . وأصل ذلك أن رجلاً عقرت
رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته ، فقليل بعد ذلك لكل من رفع
صوته : رفع عقيرته .

ويقولون « بينهما مسافة » وأصله من « السوف » وهو الشم . ومثل
هذا كثير .

قلنا : وهذا الذي ذكرناه عن (الأصمعي) وسائر ما تركناه ذكره
لشهرته فهو راجع إلى الأبواب الأولى ، وكل ذلك عندنا توقيف على
ما احتججنا له .

وقول هؤلاء : إنه كثر حتى صار كذا ، فعلى مفسرناه من أن الفرع
موقف عليه ، كما أن الأصل موقف عليه .

باب الأسماء كيف تقع على المسميات

يُسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين ، وذلك أكثر الكلام كرجُل و فرَس .

وتُسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد ، نحو « عين الماء » و « عين المال » و « عين السحاب » (١) .

ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة . نحو « السيف والمهند والحسام » . والذي نقوله في هذا : ان الاسم واحد وهو « السيف » وما بعده من الألقاب صفات ، ومذهبنا أن كل صفة منها فعنها غير معنى الأخرى .

وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع الى معنى واحد . وذلك قولنا « سيف وعضب وحسام » .

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر . قالوا : وكذلك الأفعال . نحو : مضى وذهب وانطلق . وقعد وجلس . وورقد ونام وهجع . قالوا : ففي « قعد » معنى ليس في « جلس » وكذلك القول فيما سواه .

وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب . واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه : لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته . وذلك أننا نقول في « لاريب فيه » : « لاشك فيه » ، فلو كان « الرّيب » غير « الشك » لكانت العبارة عن معنى الرّيب بالشك خطأ . فلما عبّر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد .

(١) للمصنف قصيدة استعمل فيها العين بأكثر معانيها وقد أثبتناها في ترجمته التي صدرنا بها هذا الكتاب . راجع صفحة [به] .

قالوا : وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيذاً ومبالغة . كقولهم :

وهند أتى من دونها النأي والبعد^(١) .

فقالوا : فالنأي هو البعد قالوا : وكذلك قول الآخر إن الحبس هو الأصر^٢ .

ونحن نقول : إن في قعد معنى ليس في جلس . ألا ترى أننا نقول « قام ثم قعد » و « أخذهُ المقيمُ والمقعدُ » و « قعدتِ المرأةُ عن الحيض » . ونقول لناس من الخوارج « قعدت » ثم نقول « كان مضطجعا فجلس » فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن « المجلس : المرتفع » فالجلوس ارتفاع عما هو دونه . وعلى هذا يجري الباب كله .

وأما قولهم : إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعبرَ عن الشيء بالشيء . فإنا نقول : إنما عُبِّرَ عنه من طريق المشاكلة ، ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان ، فيلزمنا ما قالوه . وإنما نقول إن في كل واحدة منهما معنى ليس في الأخرى . ومن سُنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد . نحو « الجَوْن » للأسود و « الجَوْن » للأيض . وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده .

وهذا ليس بشيء . وذلك أن الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مهنداً والفرسَ طرفاً هم الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رَدَّ ذلك

(١) البيت للحطيئة وصدره :

ألا حبدا هند وأرض بها هند .

وتقضه ، فلذلك لم نكرّره .

من ذلك « المائدة » لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها طعام لأن المائدة من « مادني يمدني » اذا أعطاك . وإلا فاسمها « خوّان » .

وكذلك « الكأس » لا تكون كأساً حتى يكون فيها شراب . وإلا فهو « قدح » أو « كوب » .

وكذلك « الحلة » لا تكون إلا ثوبين : إزار ورداء من جنس واحد فان اختلفا لم تدع حلة .

ومن ذلك « الظئينة » لا تكون ظئينة حتى تكون امرأة في هودج على راحلة .

ومن ذلك « السجل » لا يكون سجلاً إلا أن يكون دلوأ فيه ماء .

و « اللحية » لا تكون لحية إلا شعراً على ذقن ولحيتين^(١) .

ومن ذلك « الأريكة » وهي الحجلة على السرير لا تكون إلا كذا .

فسمعت علي بن ابراهيم يقول سمعت ثعلباً يقول : الأريكة لا تكون إلا سريراً متخذاً في قبة عليه شواره ونجده^(٢) .

وكذلك « الذنوب » لا تكون ذنوباً إلا وهي مليء ، ولا تسمى خالية ذنوباً .

ومن ذلك « القلم » لا يكون قلماً إلا وقد بُري وأُصلح ، وإلا

(١) اللحي ، بفتح اللام : عظم الحنك الذي عليه الاسنان ، ويكون من الانسان حيث ينبت الشعر وهو أعلى وأسفل ، وجمعه ألح ولحي مثل فلس وأفلس وفلوس .

(٢) الشوار : الزينة . والنجد : ما زين به البيت من الأساس والاروش والسور التي تشدد على الحيطان والجمع نجود .

فهو أنبوبة.

وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي « ما القلم ؟ » فقال « لا أدري
فقليل له » تَوَهَّمَةُ « فقال « هو عود قَلَمٍ من جانيبه كتقليم الأظفور^(١)
فسمِّيَ قَلَمًا . »

ومن ذلك « الكوب » لا يكون إلا بعروة .
و « الكوز » لا يكون إلا بعروة .

(١) الأظفور : بوزن أسبوع وجمه أظافير بمعنى الظفر .



باب الاسمين المصطلحين

أخبرنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبيد العزيز عن أبي عبيد قال ، قال
لأصمعي : اذا كان أخوان أو صاحبان وكان أحدهما أشهر من الآخر سُميًا
جميعاً باسم الأشهر ، قال الشاعر :

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ « الْحُرَيْنِ » عَنِي
مُغْلَقَةً وَخُصَّ بِهَا أُيًّا ؛

وأحدهما هو (الحر) . وكذلك الزَّهْدَمَانِ والثَّعْلَبَتَانِ . (١)
ويكون ذلك في الألقاب كقولهم لِقَيْسٍ وَمُعَاوِيَةَ ابْنَيْ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ
« الْكُرْدُوسَانِ » وَلِعَبْسٍ وَذُبْيَانَ « الْأَجْرَبَانِ » .
وَذَكَرَ الْأَبْوَابَ بِطُولِهَا . وَإِنَّمَا نَذَكِرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ رِسْمًا لَشُهْرَتِهِ

(١) الزهدمان أخوان اسم أحدهما (زهدم) والآخر (كردم) قال قيس بن زهير :
جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء أجزى بالكرامه
ومن ذلك (الدهرضان) وهما ما أن اسم أحدهما (دحرض) والآخر (وشيم) . قال عنترة :
شربت بماء الدهرطين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم



باب في زيادات الأسماء

ومن سنن العرب الزيادة في حروف الاسم ، ويكون ذلك إما للمبالغة وإما للتشويه والتقبيح .

سمعت من أثق به قال : تفعل العرب ذلك للتشويه ، يقولون للبعيد ما بين الطرفين المفرط الطول « طرِمَّاح » وإنما أصله من « الطَّرَح » وهو البعيد ، لكنه لما أفرط طوله سُمي طرِمَّاحاً ، فشُوِّه الاسم لما شوهت الصورة . وهذا كلام غير بعيد .

ويجيء في قياسه قولهم « رَعَشَن » للذي يرتعش و « خَلَبَن » و « زُرُقَم » للشديد الزرق و « صِلْدِم » للناقة الصلبة ، والأصل صلد و « شَدَقَم » للواسع .

ويكون من الباب قولهم للكثيرة التَّسْمَعُ والتَّنَظَّرُ « سَمْعَتَه » ، « نَظَرَتَه » .
ومن الباب : كبير وكُبار وكُبَّار . وطوَّال وطُوَّال .



باب الحروف

قال أحمد بن فارس : هذا باب يصاح في أبواب العربية ، لكنني رأيت فقهاءنا يذكرون بعض الحروف في كتب الاصول ، فذكرنا منها ما ذكرناه على اختصار .

فأصل الحروف - الثمانية والعشرون التي منها تأليف الكلام كله . وتتولد بعد ذلك حروف كقولنا « اصْطَبِر » و « ادَّكِر » تولدت الظاء لعله ، وكذلك الدال .

فأول الحروف (الهمزة) ، والعرب تنفرد بها في عرض الكلام مثل « قرأ » ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداءً .

ومما اختصت به لغة العرب (الحاء) و (الظاء) . وزعم ناس أن (الضاد) مقصورة على العرب دون سائر الأمم .

قال أبو عبيدة : وقد انفردت العرب بالألف واللام اللتين للتعريف كقولنا « الرجل » و « الفرس » فليس في شيء من لغات الأمم غير العرب .

باب ذكر دخول (ألف التعريف ولامه) في الاسماء

تدخل ألف التعريف ولامه على اسمين : متمكن وغير متمكن . فالذي هو غير متمكن « الذي » و « التي » . والمتمكن قولنا « رجل » ثم يكون ذلك للجنس والتعريف . فالأول قولنا « رجل » لِمَنْكُرٍ ، فاذا عُد مرة قيل « الرجل » . والجنس قولنا « كثر الدينار والدرهم » و « الذيب أخشاه إن مررت به » لا يريد به ذيباً بعيداً ، إنما يريد أنه يخشى هذا

الجنس من الحيوان.

ويكون الألف واللام بمعنى (الذي) كقولنا «جاءني الضاربُ
عَمَرًا» بمعنى الذي ضرب عمرًا.

وربما دخلا على الاسم وضعًا، لا لجنس ولا لشيء من المعاني كقولنا
«الكوفة» و «البصرة» و «البشر» و «الثَّارُ» (١).

وربما دخلا للتفخيم نحو «العباس» و «الفضل». وهذان هما اللذان
يدخلان في أسماء الله — جل وعز — وصفاته.

باب (الألف المبتدء بها)

يقولون: أَلِفٌ أَصْلٌ، وَأَلِفٌ وَصَلٌ، وَأَلِفٌ قَطَعٌ، وَأَلِفٌ اسْتِفْهَامٌ،
وَأَلِفٌ الْمُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ.

فالألف التي للأصل قولنا «أتى يَأْتِي». وألف القطع مثل
«أكرم». وألف الاستفهام نحو «أخرج زيد؟». وألف المخبر عن
نفسه نحو «أنا أخرج».

وألف الوصل — تدخل على الأسماء والأفعال والأدوات. ففي
الأسماء قولنا «اسم» و «ابن» وفي الأفعال قولنا «اضرب». والتي تدخل على
الأدوات مختلف فيها: قال قوم هي الألف في قولك «أيم الله». والألف التي
تدخل على لام التعريف مثل «الرجل» وهذا في مذهب أهل البصرة. وكثيراً ما
سمعت (أبا سعيد السَّيْرَافِي) يقول في ألف (الرجل) (ألف لام التعريف).
والكوفيون يقولون (ألف التعريف ولامه) وهما مثل «هل» و «بل».

(١) البشر والثَّارُ: اسمان لوادين.

بابُ وُجوهِ دُخولِ (الألف) في الأفعال

دخول الألف في الأفعال لوجوهٍ :

أحدها — أن يكون الفعل بالألف وغير الألف بمعنى واحد نحو قولهم « رَمَيْتُ عَلَى الْحَمْسِينَ » و « أَرَمَيْتُ » أي زِدْتُ و « عِنْدَ الْعِرْقِ » إذا سال و « أَعْنَدَ » .

والوجه الآخر — أن يتغير المعنيان ، وإن كان الفعلان في القياس راجعين إلى أصل واحد نحو « وَعَيْتُ الْحَدِيثَ » و « أَوْعَيْتُ الْمَتَاعَ فِي الْوَعَاءِ » . ومن هذا الباب « أَسْقَيْتُهُ » إذا جعلت له سُقْيَا و « سَقَيْتُهُ » إذا أنت سقَيْتَهُ . والوجه الثالث — أن يتضادَّ المعنيان بزيادة الألف نحو « تَرَبَّ » إذا افْتَقَرَ و « أَتَرَبَّ » إذا اسْتَعْنَى .

والوجه الرابع — أن يكون الفعلان لشيئين مختلفين ، فيكون بغير ألف لشيء وبالألف لشيء آخر . من ذلك « حَيَّ الْقَوْمُ بَعْدَ هُزَالِ » إذا حسنت أحوالهم و « أَحْيَوْا » إذا حَيَّتْ دَوَابُّهُمْ .

والوجه الخامس — أن يكون بالألف بمعنى العَرَض وبغير ألف لانفاذ الفعل نحو « بَعْتُ الْفَرَسَ » إذا أَمْضَيْتَ بَيْعَهُ و « أَبَعْتُهُ » إذا عَرْضْتَهُ لِبَيْعٍ . والوجه السادس — أن يكون بالألف إخباراً عن مجيء وقت نحو « أَحْصَدَ الزَّرْعُ » حان له أن يُحْصَدَ .

والوجه السابع — أن يكون دالاً على وجود شيء بصفة نحو « أَحْمَدْتُ الرَّجُلَ » إذا وجدته محموداً .

والوجه الثامن — أن يدل على إتيان فعل نحو « أَخَسَّ الرَّجُلُ » أي بِخَسَمِيسٍ .

وتكون الألف للتعديّة نحو «أذهبتُ زيداً».

وربما كانت هذه الألف للشيء نفسه (١)، وبكون الفاعل ذلك (٢) بلا ألف نحو «أقشع الغيم» و«قشعته الريح»، و«أنرقت البئر» ذهب مأوهاو «ترفأها نحن»، و«أنسل ريش الطائر» سقط و«نسسته أنا»، و«أكب على وجهه» قال الله جل ثناؤه «أفن يمشي مكباً على وجهه» و«كبه الله» قال الله جل ثناؤه «فكبت وجوههم في النار».

باب شرح جملة تقدمت (٣) في (ألفات الوصل)

ألفات الوصل — تكون في صدور الأسماء والأفعال والأدوات ويذكر أهل العربية أنها تيف وأربعون ألفاً — على تكرير يقع في بعضها — لأن الذي يذكر منها في المصادر مكرراً في الأفعال.

فأما التي في الأسماء فتسع عشرة ألفاً. وهي على ضربين: ألف في اسم لم يصدر عن فعل، فالألفات في الأسماء التي لم تصدر عن الأفعال ثمان: ألف «ابن» و«ابنة» و«اثنين» و«اثنتين» و«احري» و«امرأة» و«اسم» وألف ثمانية. والألفات في الأسماء الصادرة عن الأفعال هي التي في «اقتطاع» و«انقطاع» و«استعطاف» و«ارتداد» و«احميرار» و«اسجنكك» و«اقشعرار» و«اخر واط» و«اعيراء» و«اطواف» و«اثقال». وهذه تكون في الأجزاء ساكنة وإذا ابتدئ بها كانت مكسورة.

وأما التي في الأفعال — فثلاث: منها في الأمر بالفعل الثلاثي. مثل

(١) أي عندما يكون لازماً. (٢) عند التعدي. (٣) تقدم ذكر ألف الوصل في (باب الألف المتبذها).

« اضْرِبْ ، اَعْلَمْ ، اقْتُلْ » . ومنها في الأفعال الماضية التي صدرت عنها الأسماء المتقدم ذكرها إحدى عشرة ألفاً وهي : أَفْعَلْ ، وَانْفَعَلْ ، وَاسْتَفْعَلْ ، وَافْعَلْ ، وَافْعَالٌ ، وَافْعَلَّ ، وَافْعَوْلٌ ، وَافْعَوْلٌ ، وَافْعَلْ ، وَافْعَالٌ . وقد ذكرنا ترجمة هذه الأمثلة .

ثم تقع هذه الألفات بعينها في الأفعال المستقبلية المأمور بها وهي : افْعَلْ ، وانْفَعِلْ ، واستَفْعِلْ ، وافْعَلْ ، وافْعَلِّلْ ، وافْعُولْ ، وافْعُولْ ، وافْعَلِّلْ ، وافْعِلْ ، وافْعَالٌ .

وقد أعلمتُ أن فيها تكريراً ليكون الباب أبلغ شرحاً .

وأما التي تقع في الأدوات — فقليلة على اختلاف فيها ، وإنما هي في قولهم « ايمُ الله » . والألف التي مع اللام في قولنا « الرجل » . وموضع الاختلاف أن الألف في « ايمُ » مقطوعة صحيحة . وهي بالهمزة أشبه منها بألفات الوصل ، إلا أن نقول « ايمُ الله » بالكسر فيكون حينئذ أشبه بألف الوصل .

والألف التي مع اللام قد تقدم ذكرها .

باب (الباء)

الباء من حروف الشفّة . ولذلك لا تأتلف مع الفاء والميم : أما الفاء فلا تقارنها بباء متقدمة ولا متأخرة . وأما الميم فلا تتقدم على الباء ملاصقة لها بوجه . ومتأخرة كذلك إلا في قولنا « شَبِمٌ » . وقد يدخل بينهما دخيل في مثل « عَباَم » وهي على الأحوال يقلُّ تألفها معها .

وهي من الحروف الأصلية ، وما أعلمهم زادوها في شيء من ابنية

كلامهم ، إلا في حرف قاله الأغلب :
فَلَمَّا ثَدْيَاهَا مَعَ التُّوبِ .
أراد « التَّوْبُ » فزاد الباء .

والباء تكون للالصاق ، وللإعتمال ، وفي موضع « عن » ، وفي موضع
« من » ، وتكون للمصاحبة ، وتقع موقع « مع » ، وتقع موقع « في » و « على » ،
وتكون للبدل ، ولتعديّة الفعل ، وللسبب ، وتكون دالة على نفس المُخْبِرِ
عنه وظاهرها يُؤمِّنُ أن الإخبارَ عن غيره ، ومنها المُلصَقة بالاسم والمعنى
الطَّرْحُ ، ومنها باء الابتداء ، ومنها باء القسم .

فاللصاق — قولك « مسحت يدي بالأرض » . ومن أهل العربية من
يقول « مررت بزید » أنها للإصاق ، كأنه ألصق المروءَ به . وكذا إذا
قال « هزأت به » .

والإِعْتِمَالُ — قولنا « كتبت بالقلم » و « ضربت بالسيف » . وذكر
ناس أن هذه والتي قبلها سواء .

والباء الواقعة موقع « عن » قولهم — « سألت به » إنما أردت عنه .
ومنه « سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ » . ومنه :

وسَائِلَةٌ بِشُعْلَةٍ بِنِ سِيرِ

والباء الواقعة موقع « من » — في قوله جل ثناؤه « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ
اللَّهِ » أراد منها . و :

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرِضَيْنِ (١)

(١) من معلقة (عنترة بن شداد) وتام البيت قوله :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

وباء المصاحبة - « دخل فلان بثيابه وسيفه » وقوله عز وجل « وقد
دخلوا بالكفر » ومنه « ذهبته به » لأنك تكون مصاحباً له .

والباء التي في موضع « في » قوله :

ما بكاء الكبير بالأطلال .

والتي في موضع « على » قوله :

أَرَبُّ يُولُ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ (١) ؟

أراد « على » .

وباء البدل - قولهم « هذا بذاك » أي عوض منه . ومنه :

قالت بما قد أراه بصيرا .

وباء تعدية الفعل - « ذهبته به » بمعنى « أذهبته » . وقوله جل ثناؤه

« أسرى بعده » ليس من ذا ، لأن سرى وأسرى واحد .

وباء السبب - قوله جل ثناؤه « والذين هم به مشركون » أي من أجله .

فأما قوله جل وعز « وكانوا بشركائهم كافرين » فاحتمل أن يكونوا كفروا
بها وتبرأوا منها . ويجوز أن تكون باء السبب ، كأنه قال « وكانوا من أجل
شركائهم كافرين » .

والباء الدالة عن نفس المخبر عنه والظاهر أنها لغيره - قولك « لقيت

بفلان كريماً » إنما أردته هو نفسه . ومنه قوله :

وَلَمْ يَشْهَدْ الْهَيْجَا بِاللَّوْثِ مُعْصِمٍ .

يقول : إن الناقة شربت من ماء (دحرض) وماء (وشيع) - ويسميان ماء (الدحرضين) على

التغليب - ونفرت عن حياض أديلم خوفاً وفزعاً ، لأنها حياض أرض الأعداء .

(١) تكلمته :

لقد ذل من بآلت عليه الثعالب .

أَرَادَ نَفْسَهُ .

وَالزَّائِدَةُ - قَوْلُكَ « هَزَزْتُ بِرَأْسِي » وَ « لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ »

وَبَاءُ الْإِبْتِدَاءِ - قَوْلُكَ « بِاسْمِ اللَّهِ » الْمَعْنَى أَبَدًا بِاسْمِ اللَّهِ .

وَبَاءُ الْقَسَمِ - « أَقْسِمُ بِاللَّهِ » ثُمَّ يَحْذِفُ « أَقْسِمُ » فَيَقَالُ « بِاللَّهِ » .

فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقْسِمُوا بِمُضْمَرٍ لَمْ يَقُولُوهُ إِلَّا بِالْبَاءِ ، يَقُولُونَ « وَاللَّهِ » فَإِذَا أَضْمَرُوا قَالُوا « بِهِ لَا فَعَلْتُ » قَالَ :

أَلَا نَادَتْ أُمَامَةُ بَارِئًا

لِتُجْزَنِي ، فَلَا بِكَ مَا بَالِي (١) .

فَأَمَّا قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاهُ « وَلَمْ يَنْعِي بِمَخْلَقِينَ » ، « بِقَادِرٍ » فَقَالَ قَوْمُ الْبَاءِ فِي

مَوْضِعِهَا وَأَنَّ الْعَرَبَ تَعْرِفُ ذَلِكَ وَتَفْعَلُهُ . قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَان تَنَّا عَنْهَا حَقْبَةً لَمْ تُلَاقِهَا

فَأَنَّكَ مِمَّا أَحْدَثْتَ بِالْمُجَرَّبِ (٢) .

وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا هُوَ « بِالْمُجَرَّبِ » بِكَسْرِ الرَّاءِ ، وَيَكُونُ مَعْنَاهُ « كَالْمُجَرَّبِ »

كَمَا قَالَ عَدِي :

إِنِّي وَاللَّهِ - فَأَقْبَلَ حَلَقَتِي -

بِأَيْلٍ كُلَّمَا صَلَّى جَارٌ .

قَالُوا : مَعْنَاهُ « كَأَيْلٍ » وَهُوَ الرَّاهِبُ وَبِمَنْزِلَتِهِ فِي الدِّينِ وَالتَّقْوَى .

(١) مِنْ أَيْيَاتِ لُغَوِيَّةِ بْنِ سَلَمَى بْنِ رَبِيعَةَ اخْنَارَهَا أَبُو تَعَامٍ فِي حِجَاسَتِهِ وَفِي رِوَايَةِ « بِاحْتِمَالٍ » بِدَلِّ بَارِئًا حَالٍ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ .

(٢) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا فَرَسَهُ وَالصَّيْدَ عِنْدَ مَا نَزَلَ بِهِ (عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِ) فَتَدَاكَرَا الشَّعْرَ وَادْعَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَتَحَا كَمْ امْرُؤُ الْقَيْسِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَعَلَقَمَةُ بِقَصِيدَةٍ مِثْلُهَا إِلَى زَوْجَةٍ امْرِيَّةٍ الْقَيْسِ فَحَكَمَتْ لِعَلَقَمَةَ ، فَطَلَقَهَا الْأَوَّلَ وَتَزَوَّجَهَا الثَّانِي .

ومن روى بيت امرئ القيس بالفتح فالمعنى « بموضع التجريب » كما قال جل ثناؤه « فَلَا تَجْسِبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ » أي بحيث يفوزون، وكذلك « بالمجرب » أي بحيث جربت وبحيث التجريب، والمجرب والتجريب واحد. كقولهم « ممزق » بموضع تمزيق في قوله جل ثناؤه « وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » .

بابُ (التاء)

التاء — زاد في الكلام اولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة: فزيادتها في الأسماء اولى في نحو « تَنْضُبُ ^(١) » و« تَنْفُلُ ^(٢) » . وفي الفعل « تَفْعَلُ » وما أشبهه . والثانية نحو « اقتدر » . والثالثة « استفعل » . والرابعة « سَنَبَتَ من الدهر » لأن الأصل « سَنَبَةٌ » . والخامسة مثل « عفريت » . والسادسة مثل « عنكبوت » .

ومن التاء — تاء القسم نحو « تالله » . قالوا : هي عَوَاض من الواو كقولهم « تُجَاه » و « تُكْلَان » .

وتقع في جمع المؤنث نحو « قائمات » .

وتكون بدلاً من الهاء في لغة من يقول « ليست عندنا عربيت » .

وتاء — تدخل على « ثُمَّ » و « رُبَّ » و « لا » ، كقولهم ثُمْتُ ورُبَّتْ

ولاتِ حين . وناس يقولون : هي داخلة على « حين » .

وتاء المؤنث — نحو « هي تفعل » .

وتاء النفس — نحو « فَعَلْتُ » و « فَعَلْتَ » في المخاطبة . و « فَعَلْتُ »

(١) نوع من الشجر . (٢) اسم دويبة .

و « فَعَلْتُ » في الاخبار عن المؤنث .

وتاء — تكون بدلاً من سين في بعض اللغات . أنشد ابن السكيت :

يا قَبِيحَ اللَّهِ بين السَّعَلَاتِ

عَمُرُو بن مسعود شرارِ النَّاتِ (١)

وأما (التاء)

فلا أعرف لها عِلَّةً ، ولا تقع زائدةً .

وكذلك (الجيم)

إلا في الذي ذكرناه من اللغات المستكرهه .

و (الحاء) و (الخاء)

لا أعرف لهما عِلَّةً .

و (الدال)

لا عِلَّةَ لها إلا في لغة من يقلب التاء دالاً . فحدثنا علي عن محمد بن فرح

عن سلامة عن الفراء قال : قوم من العرب يقولون « أَجْدِيكَ » في موضع

« أَجْتِيكَ » يجعلون تاء الافتعال بعد الجيم دالاً . ويقولون « أَجْدَ مَعُوا » .

وأنشد :

فقلت لصاحبي : لا تحبسانا

بنزع أصوله واجدز شيجا .

و (الراء)

لا أعرف لها عِلَّةً .

(١) تكلمه :

ليسوا أعفاه ولا أكيات .

وكذلك (الزاي)

إلا في قولهم « رَازِيٌّ » و « مَرُوزِيٌّ »^(١).

وأما (السين)

فإنها تزداد في « استفعل » . ويختصرون « سَوَفَ أَفْعَلُ » فيقولون « سَأَفْعَلُ ».

ولا أعرف (للشين) علة غير الذي ذكرناه في الحروف المستكرهة . وكذلك في الحروف التي بعدها حتى (العين) .

وعلة (العين) أنها تقوم مقام الهمزة في لغة (بني تميم) يقولون « علمت عَنْ ذاك » كأنما أراد « أن » .

وكذلك الحروف التي بعدها حتى (الفاء) .

باب (الفاء)

قال البصريون « مررت بزيد فعمرو : الفاء أشركت بينهما في المرور وجعلت الأول مبدؤاً به » .

وكان الأخفش يقول « الفاء تأتي بمعنى الواو » وأنشد :

بَسِيطُ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ .^(٢)

وخالفه بعضهم في هذا فقال : ليس في جعل الشاعر الفاء في معنى الواو فائدة ، ولا حاجة به إلى أن يجعل الفاء في موضع الواو ووزن الواو كوزن الفاء . قال : وأصل الفاء أن يكون الذي قبلها علة لما بعدها . يقال

(١) رازي : نسبة إلى (الري) مدينة في فارس . و مروزي : نسبة إلى (مرو) مدينة أيضا .

(٢) مطلع معلقة (امرئ القيس) وصدره :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

« قام زيد فقام الناس » .

وزعم الأَخفش، أن الفاء تُزاد، يقولون « أَخوك فَجَهْدَ » يريد أَخوكْ جَهْدَ ، واحتجَّ بقوله جلَّ ثناؤه « فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ » .

وكان قُطْرُب يقول بِقَوْلِ الأَخفش ، يقول : إن الفاء مثلُ الواو في « بين الدخول فَحَوْمَلِ » قال : ولولا أن الفاء بمعنى الواو لفسد المعنى ، لأنَّه لا يريد أن يُصِيرَه بين (الدَّخول) أولاً ثم بين (حَوْمَلِ) وهذا كثير في الشعر .

وتكون الفاء جواباً للشرط . تقول « إِنْ تَأْتَنِي فَحَسَنٌ جَمِيلٌ » ومنه قوله جلَّ ثناؤه « والذين كفروا فتعسا لهم » دخلتِ الفاء لأنَّه جعل الكفر شريطةً كأنَّه قال : ومن كفر فتعسا له .

وأما (القاف)

فلا أعلم لها علة إلا في جعلهم إِيَّاهَا عند التعريب مكان الهاء نحو « يَلْمُق » .

باب (الكاف)

تقع الكاف مخاطبة : للمذكر مفتوحة ، والمؤنث مكسورة . نحو « لَكَ » و « لَكِ » .

وتدخل في أول الاسم للتشبيه فتخفض الاسم . نحو « زيد كالأسد » وأهل العربية يقيمونها مقام الاسم ويجعلون لها محلاً من الاعراب ، ولذلك يقولون « مررت بكالأسد » أرادوا بمثل الأسد . وأنشدوا :

على كالحنيف السَّحَق يدعو به الصدى ،

له قابٌ عاديةٌ وضُحونٌ

فأما الكاف في قوله جل ثناؤه «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ؟» فقال البصريون : هذه الكاف زائدة ، زيدت لمعنى المخاطبة . قال محمد بن يزيد : وكذلك رُوِيَ بِكَ زَيْدًا . قال : والدليل على ذلك أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ أَرَأَيْتَكَ زَيْدًا ؟ فإِنَّمَا هِيَ أَرَأَيْتَ زَيْدًا ؟ لِأَنَّ الكاف لو كانت اسمًا لاستحال أَنْ تُعَدَّى «أَرَأَيْتَ» إِلَى مَفْعُولَيْنِ إِلَّا وَالثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ . يريد قولهم «أَرَأَيْتَ زَيْدًا قَائِمًا ؟» لَا يُتَعَدَّى «رَأَيْتَ» إِلَى مَفْعُولَيْنِ إِلَّا إِلَى مَفْعُولٍ هُوَ «زَيْدٌ» وَهُوَ مَفْعُولٌ آخَرُ هُوَ «قَائِمٌ» فَالْأَوَّلُ هُوَ الثَّانِي . قال : و «أَرَأَيْتَكَ زَيْدًا ؟» الثَّانِي غَيْرُ الكاف ، قال : وَإِنْ أَرَدْتَ رُؤْيَا الْعَيْنِ لَمْ يُتَعَدَّ إِلَّا إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ . قال : وَمَعَ ذَلِكَ إِنْ فَعَلَ الرَّجُلُ لَا يُتَعَدَّى إِلَى نَفْسِهِ فَيَتَّصِلُ ضَمِيرًا إِلَّا فِي بَابِ «ظَنَنْتَ» وَ «عَلِمْتُ» . فَأَمَّا ضَرَبْتُني وَضَرَبْتُكَ فَلَا يَكُونُ . وَكَذَلِكَ إِذَا قُلْتَ «رُوِيَ بِكَ زَيْدًا» إِنَّمَا يُرَادُ «أُرْوِدُ زَيْدًا» قَالَ الزَّجَّاجُ : الكاف فِي هَذَا الْمَكَانِ لَا مَوْضِعَ لَهَا لِأَنَّهَا ذَكَرْتَ فِي الْمَخَاطَبَةِ تَوْكِيدًا . وَمَوْضِعُ هَذَا نَصْبُ بـ «أَرَأَيْتَكَ ؟» . وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ : إِنْ مَحَلٌّ هَذِهِ الكاف الرفع إِذَا قُلْنَا «لَوْلَاكَ» فَهِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ . ثُمَّ تَقُولُ «لَوْلَا أَنْتَ» . وَإِنَّمَا صَاحَ هَذَا لِأَنَّ الصَّوْرَةَ فِي مِثْلِ هَذَا صَوْرَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الرفع والنصب والخفض .

وَتَكُونُ الكاف دَالَّةً عَلَى الْبَعْدِ . تَقُولُ «ذَا» فَذَا بَعْدُ قُلْتَ «ذَاكَ» .
وَتَكُونُ الكاف زَائِدَةً كَقَوْلِهِ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» .
وَتَكُونُ لِلْعَجَبِ نَحْوُ «مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَةً مُخْبَأَةً» .

بَابُ (اللام)

اللام - تقع زائدة في موضعين : في قولهم «عبدل» وفي قولهم «ذلك» .

واللام تكون مفتوحة ومكسورة : في المفتوحات (لام التوكيد) وربما قيل (لام الابتداء) نحو قوله جل ثناؤه « لَا تَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً » . وقال :

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقَرَّ عَيْنِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ (١).

وتكون خبراً لـ « ان » : إنَّ زَيْدًا لِقَائِمٌ .

ولام التوكيد : إن هذا لَأَنْتَ .

وتكون في خبر الابتداء نحو « أُمُّ الْحَلِيسِ لِعَجُوزٍ » .

وزعم ناس أنها تقع صلة لا اعتبار بها . وزعم أنه اعتبر ذلك من قراءة بعض القراء « إِلَّا أَنْتُمْ لِيَا كَلُونِ » ففتح « أَنْ » وألغى اللام . وأنشد بعض أهل العربية :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ
مَتَى ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ ،
وَأَنْ لِسَانَ الْمَرْءِ - مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
حِصَاةٌ - عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ (٢) .

ولام تكون جوابَ قَسَمٍ « وَاللَّهِ لَا قَوْمَ مِنْ » وتلزمها النونُ فإن كانت للماضي لم يُحْتَجْ إِلَى النونِ « وَاللَّهُ أَقَامَ » .

ولام الاستغاثة نحو قولهم « يَا لِلنَّاسِ » فإن عَطَفْتَ عَلَيْهَا أُخْرَى

(١) البيت من قصيدة ليسور بنت مجمل في تفضيل البداوة وبساطتها على الحضارة وزخرفها ، أنشأها عند ما جيء بها من البادية إلى قصر معاوية بن أبي سفيان في دمشق .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد البكري من قصيدته التي أنشدها في عبد عمرو بن بشر بن عمرو ابن مرثد ومظلمها قوله :

أَهْدَ بِحِزَانِ الشَّرِيفِ طُلُوعَ تَلُوحِ وَأَدْنَى تَهْدِئِ مَجْمَلِ .

وفي رواية « إِذَا ذَلَّ » مكان « مَتَى ذَلَّ » و « الْحِصَاةُ » التي في البيت الثاني بمعنى العقل والرأي .

كسرت . يُنشدون :

يُـكـيـك ناءٌ بـعـيدُ الدَّارِ مُـقـتـربٌ
يـالـكـهـولِ ولـلـشـبـانِ والشَّيْبِ (١)

قال بعض أهل العلم : إن لام الاضافة تجيء لمعان مختلفة :
منها أن تصير المضاف للمضاف إليه . نحو « ولله مافي السموات » .
ومنها أن تكون سبباً لشيء وعلة له . مثل « انما نطعمكم
لوجه الله » .

ومنها أن تكون إرادة . نحو « قمت لأضرب زيداً » بمعنى قمت أريد
ضربه .

ومنها أن تكون بمعنى « عند » مثل قوله جل ثناؤه « أقم الصلاة
لذكرى » و « لدلوك الشمس » أي عنده .
ومنها أن تكون بمنزلة « في » . مثل قوله جل وعز « لأول الحشر »
أي في أول الحشر .

ومنها أن تكون لمرور وقت . نحو قول النابغة :

تَرَهَّمْتُ آيَاتَ لَهَا فَعَرَفْتُهَا
لِسِتَّةِ أَعوامٍ وَذَا العامِ سابعُ (٢)

ومنه قولهم « غلام له سنة » أي أتت عليه سنة .

وتكون بمعنى « بعد » مثل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

(١) يرويه النحويون في الشواهد : ياللكهول والشبان لا يجب .

(٢) من قصيدته التي يمدح بها (النعمان بن المنذر) ويمتدح اليه ويهجو (مرة بن ربيعة) ١١
قذف عليه عند النعمان . ومطلها :

عفا (ذوحسا) من (فرتنا) فالقوارع فجنبنا أرسك فالنسلع الدوافع

« صوموا لرؤيته » أي بعد رؤيته .
وتكون للتخصيص . نحو « الحمد لله » وفي الكلام « الفصاحة لقريش
والصباحة لبني هاشم » .

وتكون للتعجب . نحو « لله درّه ! » وينشدون :

لله يبقى على الأيام ذو حيدٍ
بشمخٍ به الطيآن والآس (١)

ويقولون « يا المعجب ! » معناه : يا قوم تعالوا الى العجب وللعجب ادعو .
وقد تجتمع التي للنداء والتي للعجب فيقولون :

ألا يال قوم لطيف الخيال
يؤرق من نازح ذي دلال .

وتكون للأمر . نحو « ليقتضوا نفثهم » وربما حذفت هذه فيقولون :
محمد تقدي نفسك كل نفس (٢)

وقالوا في لام الأمر : كان الأصل « اذهب » فلما سقطت الألف
لم يوصل إلى الفعل إلا بلام ، لأن الساكن لا يبدأ به .

وقوله جل ثناؤه « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله » فقال
قائل : لم جاز أن تكون المغفرة جزاءً لما امتن به عليه وهو قوله « إنا فتحنا
لك فتحاً » ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أن الفتح وإن كان من الله جل
ثناؤه فكل فعل يفعل العبد من خير فالله الموفق له والميسر ، ثم مجازي عليه ،
فتكون الحسنة من العبد منة من الله جل وعز عليه ، وكذلك جزاؤه له عنها

(١) من شواهد سيويه .

(٢) تكلمته : اذا ماخفت من شيء تبالا .

مِنَّةً . والوجه الآخر أن يكون قوله جل ثناؤه « إذا جاء نصرُ الله والفتحُ » ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره » فأمره بالاستغفار إذا جاء الفتح ، فكأنه أعلمه أنه إذا جاء الفتح واستغفر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكان المعنى على هذا الوجه : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، فإذا جاء الفتح فاستغفر ربك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . وقال قوم : فتحنا لك في الدين فتحاً مبيناً لتهتدي به أنت والمسلمون فيكون ذلك سبباً للغفران .

ومن اللامات لام العاقبة . قوله جل ثناؤه « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً . » وفي أشعار العرب ذلك كثير :
جاءت لتُطعمه لحماً وينفجعهَا
بابن ، فقد أطعمت لحماً وقد فجعا .
وهي لم تجيء لذلك ، كما أنهم لم يلتقطوه لذلك ، لكن صارت العاقبة ذلك .

ومن الباب قوله جل ثناؤه « ربنا ليضلوا عن سبيلك » أي : آتيتهم زينة الحياة فأصارهم ذلك إلى أن ضلوا . وكذلك قوله جل ثناؤه « فتنا بعضهم ببعض ليقولوا ... » هي لام العاقبة .
وتكون زائدة . نحو « هم لربهم يرهبون » و « لارؤيا تعبؤون » .

باب زيادة (الهم)

والهم تزايد أولى في مثل : مَفْعَلٌ وَمِفْعَلٌ وَمَفْعَلٌ وغير ذلك .
وتزاد في أواخر الأسماء . نحو : زُرْ قُمْ وَشَدِّ قُمْ .

و (النون)

تراد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة .
 فالأولى - « نَفْعَل » . وقالوا « نَرْجِس » وليس نرجس من كلام العرب ،
 والنون لا تكون بعدها راء .
 والثانية - نحو « نَاقَةٌ عَنَسَلَتْ » .
 والثالثة - في « قَلَنْسُوَّة » .
 والرابعة - في « رَعَشَن » .
 والخامسة - في « صَلَتَان » .
 والسادسة - في مثل « زَعْفَرَان » .
 وتكون في أول الفعل للجمع . نحو « نَخْرَج » .
 وعلامة للرفع في « يَخْرُجَان » فاذا قلنا الرجلان فقال قوم هي عوض من الحركة
 والتنوين . وقال آخرون : هي فرق بين الواحد المنصوب والاثنين المرفوعين .
 وتقع في الجمع نحو « مسلمون » وربما سقطت فقالوا « الحافظو عورة
 العشيرة ^(١) » .

وتكون ثانية فعل المطاوعة نحو « انكسر » و « بَغِيَتْهُ فَاثْبَغِي » .
 وتكون للتأكيد مُحَقَّقَةً ومُثَقَّلَةً . نحو « اضْرِبَنَّ » و « اضْرِبَنَّ » إلا
 أنها تقلب عند التخفيف في الكتاب ألفاً . نحو « لَنَسْفَعًا » .
 وتكون للمؤنثة . نحو « تفعلين » وللجماعة « تفعلن » .
 وتُلْحَق آخر الاسم في « زيدٌ خرج » فرق بين المفرد والمضاف .

(١) من بيت لدرهم بن زيد الانصاري وهو :
 والحافظو عورة العشيرة لا يأتيهم من ورائنا وكف

ويقولون : فرقا بين ما يجري ومالا يجري . وقالت الجماعة إنما اختيرت النون لأنها أشبه بحروف الاعراب من جهة الغنة .
ومما تختص به النون من بين سائر الحروف انقلابها في اللفظ إلى غير صورتها ضرورة ، وذلك إذا كانت ساكنة وجاءت بعدها باء تنقلب ميماً . نحو « عَنَبَر » و « شَنَبَاء » .

و (الهاء)

تُزَادُ فِي « يَا زَيْدَاه » وَفِي « سُلْطَانِيَه » وَهُمْ يَسْمُونَهَا (استراحة)
(بيان حركة) . وللووقف على الكلمة نحو « عَه » و « شَه » و « أَفْتَدِه » .

باب (الواو)

لَا تَكُونُ الْوَاوُ زَائِدَةً أُولَى . وَقَدْ تَزَادُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً وَخَامِسَةً .
فَالثَّانِيَةُ نَحْوُ « كَوَثَر » . وَالثَّالِثَةُ نَحْوُ « جَدُول » . وَالرَّابِعَةُ نَحْوُ « قَرْنُوَة » .
وَالْخَامِسَةُ نَحْوُ « قَمَحْدُوَة » .

وَتَكُونُ لِلنَّسَقِ ، وَهُوَ الْعُطْفُ ، نَحْوُ « زَيْدٌ وَعَمْرُو » .

وَتَكُونُ عَلَامَةً رَفَعَ نَحْوُ « أَخُوكَ وَالْمَسْلُومُونَ » .

فَإِذَا قَالُوا « يُعْجِبُنِي ضَرْبُ زَيْدٍ وَتَغَضَّبَ » فَقَالَ قَوْمٌ : نُصِيبَ « تَغَضَّبَ »

عَلَى إِضْمَارِ « أَنْ » مَعْنَاهُ وَأَنْ تَغَضَّبَ فَيَصِيرُ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ . كَأَنَّكَ قُلْتَ

« يُعْجِبُنِي ضَرْبُ زَيْدٍ وَغَضَبُكَ » فَتَخْرُجُ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ نَاسِقَةً فَعِلًا عَلَى

اسْمٍ . وَيَقُولُونَ :

لِلْبُسِّ عِبَادَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي

بِمَعْنَى وَأَنْ تَقَرَّرَ عَيْنِي . فَإِنْ نَسَقْتَ فَعِلًا عَلَى فِعْلٍ مَجْمُوعِينَ فَأَعْرَابُهُمَا

واحد نحو « يقوم ويضرب زيداً » فإن لم تُردِّ الجمعَ بينهما نصبتَ الثاني فيقال نَصَبَ باضمار « أن » يقولون « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » و: لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ وتَنَائِي مِثْلُهُ^(١)

وتكون بمعنى الباء في القسم نحو « والله » .
وتكون الواو مُضْمَرَةً في مثل قوله جل ثناؤه « ولا على الذين إذا ما اتوك لتحميلهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا » التأويل : ولا على الذين - إذا ما اتوك لتحميلهم وقلت : لا أجد ما أحملكم عليه - تولوا . فجواب الكلام الأول تولوا .

وتكون بمعنى « رُبَّ » . نحو « وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ » .
وتكون بمعنى « مَعَ » كقولهم « استوى الماء والخشبة » أي مع الخشبة وأهل البصرة يقولون في قوله جل ثناؤه « فأجمعوا أمركم وشركائكم » معناها مع شركائكم . كما يقال « لو تركت الناقة وفصيلها » أي مع فصيلها . وقال آخرون : أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ، اعتباراً بقوله جل وعز « وادعوا من استطعتم » .

وتكون صلة زائدة كقوله جل وعز « إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ » المعنى إلّا لها .

وتكون بمعنى « اذ » كقوله جل وعز « وطائفة قد أهمتهم » يريد اذ طائفة . وتقول « جيئت وزيد راكب » أي اذ زيد .
وقال قوم : للواو معنيان : معنى اجتماع ومعنى تفرُّق نحو « قام زيد

(١) ثمانية : عار عابك إذا فلت عظيم .
وهذا البيت ينسب لابي الاسود الدؤلي وقيل لغيره .

وعمره . وان كانت الواو في معنى اجتماع لم تُبَلَّ بأَيِّهما بدأت . وان كانت في معنى تَفَرُّق فعمره قائم بعد زيد .

وذهب آخرون الى أن الواو لا تكون إلا للجمع . قالوا : اذا قلت « قام زيد وعمره » جاز أن يكون الأمر وقع منهما جميعاً معاً في وقت واحد وجاز أن يكون الأول تقدم الثاني ، ونكتة بابها أنها للجمع .

وتكون الواو عطفاً بالبناء على كلام يُتَوَهَّمُ وذلك قولك — اذا قال القائل « رأيتُ زيدا عند عمره » — قلتَ أنتَ « أو هو ممن يجالسه ؟ » قال البصريون : معناه ' كأنّ قائلاً قال « هو ممن يجالسه » فقلتَ أنتَ « أو هو كذلك ؟ » . وفي القرآن « أو آمن أهلُ القرى ؟ » وكذلك قوله جل ثناؤه « إِنَّا لَمُبْعُوثُونَ ، أو آبَاؤُنَا ؟ » فليس بأو إنما هي واو عطف دخل عليها ألف الاستفهام كأنه لما قيل لهم « إنكم مبعوثون وآباؤكم » استفهموا عنهم . وتكون الواو مُقْحَمَةً كقوله جلّ ثناؤه « فاضرب به ولا تحنث » أراد — والله أعلم — فاضرب به لا تحنث ، جزماً على جواب الأمر ، وقد تكون نهياً والأول أجود . وكذلك « مَكْنَأَ لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ » أراد « لنعلمه » وقد قيل « ولنعلمه فعلنا ذاك » . وكذلك « وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ » أي « وحفظنا فعلنا ذلك » . وقوله :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى (١)

قيل : هي مُقْحَمَةٌ . وقيل : معناه أَجَزْنَا وَانْتَحَى .

(١) من معاني (امرئ القيس) ونماه :

بابطن خبت ذي حفاف عقمقل .

باب (الياء)

الياء - تُزاد أولى وثانيةً وثالثةً ورابعةً وخامسةً .

فالأولى « يَرْمَعُ »^(١) و « يَرْبُوعٌ » . والثانية « حَيْدَرٌ »^(٢) . والثالثة « خَفِيدٌ » . والرابعة « إِصْلِيْتُ »^(٣) . والخامسة « ذَفَارِي »^(٤) .

وتكون أولى في الأفعال نحو « يضرب » .

وللاضافة نحو « عِبَادِي » .

وللتنشئة والجمع نحو « الزَّيْدَيْنِ » و « الزَّيْدَيْنِ » .

وتكون علامة للخفض نحو « أَخِيكَ » .

وللتأنيث نحو « اسْتَغْفِرِي » .

وللتصغير نحو « بَيْتٌ » .

وللنسب نحو « كُوْفِي » .

(١) اليرمع : الحصى الأبيض الذي يلمع ، أخذ من رماع العبي وهي مايرمع (يتحرك) من يافوخه في أوان الرضاع .

(٢) الحيدر : الصغير .

(٣) سيف اصليت : ماض في الضريبة مشتق من « صلت » وهو الأملس البراق .

(٤) هذه الكلمة مشتبهة في رسمها بين « ذفاري » و « ذفاري » لتأثرهما في القاعدة المفريية

التي كان المرحوم الشنقيطي يكتب بها .



باب القول على الحروف المفردة

الدالة على المعنى

والعرب الحروف المفردة التي تدل على المعنى . نحو التاء في « خَرَجْتُ »
و « خَرَجْتَ » . و « ثَوْبِي » و « فَرَسِي » . (١)

ومنها حروف تدل على الأفعال نحو « إزِيداً »^(٢) أي عِدُهُ . و « ح »
من وَحِيَتْ . و « د » من وَدَّيْتُ و « ش » من وَشَيْتُ و « ع » من وَعَيْتُ
و « ف » من وَفَيْتُ و « ب » من وَقَيْتُ و « ل » من وَلَيْتُ و « ن »
من وَنَيْتُ و « ه » من وَهَيْتُ ، إلا أن حذاق النحويين يقولون في الوقف
عليها « شِه » و « دِه » فيقفون على الهاء .

ومن الحروف ما يكون كناية وله مواضع من الاعراب نحو قولك
« ثوبه » فالهاء كناية لها محل من الاعراب .

ومنه ما يكون دلالة ولا محل له مثل « رأيتهما » فالهاء اسم له محل
والميم والألف علامتان لا محل لهما ، فعلى هذا يجيء الباب .

فأما الحروف التي في كتاب الله جل ثناؤه فواتح سور فقال قوم : كل
حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله ، فالألف من اسمه « الله » واللام
من « لطيف » والميم من « مجيد » . فالألف من آلائه واللام من لطفه والميم
من مجده . يروى ذا عن (ابن عباس) وهو وجه جيد ، وله في كلام العرب

(١) كذا بالأصل ولا يستقيم . وصوابه : ونحو الياء في « ثوبِي » و « فَرَسِي » .

(٢) من « وأى وأيا » بمعنى وعد . وتقول العرب « لاخير في وأى انجازه بعد لاي » أي
بعد بطاء .

شاهد ، وهو :

قلنا لها : قفي . فقالت : كاف .

وقال آخرون : ان الله جل ثناؤه أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو الكتاب الذي أنزله الله جل ثناؤه لاشك فيه . وهذا وجه جيد ، لأن الله جل وعز دل على جلالة قدر هذه الحروف ، اذ كانت مادة البيان ومباني كتب الله عز وجل المنزلة باللغات المختلفة ، وهي أصول كلام الأمم ، بها يتعارفون ، وبها يذكرون الله جل ثناؤه . وقد أقسم الله جل ثناؤه في كتابه بالفجروالطور وغير ذلك ، فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها .

وقال قوم : هذه الأحرف من التسعة وعشرين حرفاً دارت بها الألسنة ، فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه جل وعز ، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه ، وليس منها حرف الا وهو في مدة أقوام وآجالهم : فالألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون . رواه (عبد الله بن أبي جعفر الرازي) عن أبيه عن (الربيع بن أنس) وهو قول حسن لطيف ، لأن الله جل ثناؤه أنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الفرقان فلم يدع نظاماً عجيباً ولا علماً نافعاً الاودعه آيائه ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله . فليس منكراً أن ينزل الله جل ثناؤه هذه الحروف مشتملة - مع ايجازها - على ما قاله هؤلاء .

وقول روي عن (ابن عباس) في «ألم» : أنا الله أعلم . وفي «ألمص» : أنا الله أعلم وأفضل . وهذا وجه يقرب مما مضى ذكره من دلالة الحرف الواحد على الاسم التام والصفة التامة .

وقال قوم : هي أسماء للسُّور فـ « أَلَمْ » اسم لهذه و « حَمْ » اسم لغيرها .
وهذا يُؤثِّرُ عن جماعة من أهل العلم ، وذلك أن الأسماء وُضِعَتْ للتمييز ،
فكذلك هذه الحروف في أوائل السُّور موضوعة لتمييز تلك السُّور من غيرها .
فإن قال قائل : فقد رأينا « أَلَمْ » افتتح بها غير سورة ، فأين التمييز ؟ قلنا :
قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ، ثم يميز ما يجيء بعد ذلك من صفة
ونعت كما قيل « زيد وزيد » ثم يميزان بأن يقال « زيد الفقيه » و « زيد
العربي » فكذلك إذا قرأ القارئ « أَلَمْ ذلك الكتاب » فقد ميزها عن التي
أولها « أَلَمْ الله لا إله الا هو » .

وقال آخرون : لكل كتاب سرٌّ وسرّ القرآن فواتح السور . وأظنَّ
قائل هذا أراد أن ذلك من السرّ الذي لا يعلمه إلا الخاص من أهل العلم
والراسخون فيه .

وقال قوم : إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه وقال بعضهم
لبعض « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » فأنزل الله تبارك وتعالى هذا النظم
ليتعجبوا منه ، ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم ، واستماعهم له سبباً
لاستماع ما بعده ، فترق حينئذ القلوب وتلين الأفتدة .

وقول آخر : إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من
الحروف التي هي أب ت ث جاء بعضها مقطعاً وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم
الذين نزل القرآن فيما بين ظهريهم أنه بالحروف التي يعقلونها فيكون ذلك
تقريباً لهم ودلالة على عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد أن أعلموا أنه منزل
بالحروف التي يعرفونها ويننون كلامهم منها .

قال (أحمد بن فارس) : وأقرب القول في ذلك وأجمعه قول بعض علمائنا : إن أولى الأمور أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلاً فيقال : إن الله جل وعز افتتح السور بهذه الحروف ارادةً منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد . فتكون الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً للسور ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله جل ثناؤه ، وأن يكون الله جل ثناؤه قد وضعها هذا الموضع قسماً بها ، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين ، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله جل وعز في انعامه وفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يستمع إلى القرآن من لم يكن يستمع ، وأن فيها اعلماً للعرب أن القرآن الدال على صحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الاتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعائلة بينهم دليل على كذبهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها اذا وقع في أول سورة فهو اسم للملك السورة .

وهذا هو القول الجامع لتأويلات كلها من غير اطراح لواحد منها .
وانما قلنا هذا لأن المعنى فيها لا يمكن استخراجه عقلاً من حيث يزول به العذر ، لأن المرجع إلى أقاويل العلماء ، ولن يجوز لأحد أن يعترض عليهم بالطعن وهم من العلم بالمكان الذي هم به ، ولهم مع ذلك فضيلة التقدم ومزية السبق . والله أعلم بما أراد من ذلك .



باب الكلام في حروف المعنى

رأيتُ أصحابنا الفقهاء يضمّون كتبهم - في أصول الفقه - حروفاً من حروف المعاني ، وما أدري ما الوجه في اختصاصهم إياها دون غيرها . فذكرت عامة حروف المعاني رسماً واختصاراً ، فأول ذلك ما كان أوله ألف :

باب (أمر)

أم - حرف عطف نائب عن تكرير الاسم أو الفعل نحو «أزيد عندك أم عمرو؟» .

ويقولون : ربما جاءت لقطع الكلام الأول واستئناف غيره ، ولا يكون حينئذ من باب الاستفهام . يقولون «إنها لا بل أم شاء» . ويكون ههنا - في قول بعضهم - بمعنى «بل» كقوله جل ثناؤه «أم يقولون شاعر» وينشدون :

كذبتك عينك ، أم رأيت بواسط

غلس الظلام من الرباب خيالاً (١)

وقال أهل العربية : أمررت برجل أم امرأة «أم» تُشرك بينهما كما أشركت بينهما «أو» .

وقال آخرون : في «أم» معنى العطف ، وهي استفهام كالألف ، إلا أنها لا تكون في أول الكلام لأن فيها معنى العطف .

وقال قوم : هي «أو» أبدلت الميم من الواو لتحول الى معنى ، يريد الى معنى «أو» وهو قولك في الاستفهام «أزيد قام أم عمر؟» فالسؤال

(١) من تصيّد للاخطل في هجو جرير .

عن أحدهما بعينه . ولو جيئت بـ « أو » لسألت عن الفعل . وجواب أو « لا » أو « نعم » وجواب أم « فلان » أم « فلان » .

وقال (أبو زيد) : العرب تزيد « أم » . وقال في قوله جل ثناؤه « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين » : معناه « أنا خير » .

وكان (سيبويه) يقول : « أفلا تبصرون » : أم أنتم بصراء .

وكان (أبو عبيدة) يقول : « أم » يأتي بمعنى ألف الاستفهام كقوله جل ثناؤه « أم تريدون أن تسألوا رسولكم ؟ » بمعنى « أتريدون ؟ » .

وقال (أبو زكريا الفراء) : العرب تجعل « بل » مكان « أم » وأم مكان بل . إذا كان في أول الكلمة استفهام . فقال :

فوالله ما أدري أسلمى تغوّلت

أم النوم ، أم كلُّ إليّ حبيب .

معناها « بل » .

فأما قوله جل ثناؤه « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ؟ » فقليل : أظننت يا محمد هذا ، ومن عجائب ربك جل وعزّ ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف ؟

وقال آخرون : « أم » بمعنى ألف الاستفهام كأنه قال « أ حسبت ؟ » و « حسبت » بمعنى « علمت » ويكون الاستفهام في « حسبت » بمعنى الأمر كما تقول لمن تخاطبه « أعلمت أن زيدا خرج ؟ » بمعنى أمر أي أعلم أن زيدا خرج . قال : فعلى هذا التدرّج يكون تأويل الآية : أعلم يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا .

باب (أو)

أو — حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشك : « أزيد عندك أو بكر ؟ » تريد « أحدهما عندك ؟ » فالجواب « لا » أو « نعم » . وإذا جعلت مكانها « أم » فأنت مثبت أحدهما غير أنك شاك فيه بعينه فتقول « أزيد عندك أم عمرو ؟ » فالجواب « زيد » أم « عمر » .

وتكون « أو » للتخير كقوله جل ثناؤه « فإطعم عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة » .
وتكون للإباحة تقول « خذ ثوباً أو فرساً » .

وأما قوله جل ثناؤه « ولا تطعم منهم آثماً أو كفوراً » فقال قوم : هذا يُعارض ويُقابل بضدّه فيصحّ المعنى ويبين المراد ، وذلك أنا نقول « أطعم زيدا أو عمراً » فأما نريد أطعم واحداً منهما ، فكذا إذا نهيناه وقلنا « لا تطعم زيدا أو عمراً » فقد قلنا لا تطعم واحداً منهما .

وقوله جل ثناؤه « إلى مائة ألف أو يزيدون » فقال قوم : هي بمعنى الواو « ويزيدون » . وقال آخرون : بمعنى « بل » . وقال قوم : هي بمعنى الإباحة كأنه قال : إذا قال قائل « هم مائة ألف » فقد صدق وإن قال غيره « بل يزيدون على مائة ألف » فقد صدق . وقول القائل « مررت برجل أو امرأة » فقد أشركت « أو » بينهما في الخفض واثبتت المرور بأحدهما دون الآخر .
وتكون « أو » بمعنى « إلا أن » تقول « لألزمتك أو تُعطيني حقي » بمعنى إلا أن تعطيني . قال امرؤ القيس (١) :

(١) من قصيدته التي أنشدها وهو ذاهب من الجزيرة العربية إلى قيصر الروم في القسطنطينية

فقلتُ له لا تبك، عينك، إنما
نُحاول مُلكاً أو نموت فنُعدراً .

وزعم قوم أن «أو» تكون بمعنى الواو ويقولون : كل حق لها داخل فيها
أو خارج منها ، وكل حق سميناه في هذا الكتاب، أو لم نسمه وإن شئت
قلت بالواو وأنشدوا :

فذلكما شهرين أو نصف ثالث
إلى ذا كما ماغيبتني غياييا .

وكان الفراء يقول : في «مائة ألف أو يزيدون» : بل يزيدون . وقال بعض
البصريين منكرأ لها : لو وقعت «أو» في هذا الموضع موقع «بل» لجاز أن
تقع في غير هذا الموضع وكنا نقول «ضربت زيدا أو عمرا» على غير الشك
لكن بمعنى «بل» ، وهذا غير جائز قالوا : ووجه آخر أن «بل» تأتي للاضراب بعد
غلط أو نسيان ، وهذا منفي عن الله جل ثناؤه ، فإن أتى بها بعد كلام قد سبق
من غير القائل فالخطأ إنما لحق كلام الأول نحو قوله جل ثناؤه «وقالوا :
اتخذ الرحمن ولدًا» فهم أخطوا في هذا وكفروا به فقال جل وعز «بل
عباد مكرمون» . وزعم قوم أن معناها «أو يزيدون على ذلك» .

قلنا : والذي قاله (الفراء) فقول قد تقدمه فيه ناس . وقول من قال :
إن «بل» لا يكون إلا اضراباً بعد غلط أو نسيان خطأ ، لأن العرب تُنشد :

يستعين به على (المنذر بن ماء السماء) وعلى (بني أسد) الذين قتلوا ولد امرئ القيس وكان أميراً
عليهم . ومطامح التصيدة قوله :

سمالك شوقي بدم ما كان أقصرا وحلت سليمى بطن فو فمرعرا
والبيت الذي قبل الذي ذكره ابن فارس قوله عن صاحبه (عمرو بن قصبه) :
بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيعرا

بل ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا^(١)

وهذا ليس من المعنيين في شيء .

فأما قوله « أو أشدَّ قسوةً » وما أشبهه من قوله عز وجل « كليم البسر أو هو أقرب » أن المخاطب يعلمه ، لكنه أهمه على المخاطب وطواه عنه .
وقال آخرون : بعضها كالحجارة وبعضها أشدَّ قسوة . أي هي ضربان : ضرب كذا أو ضرب كذا .

باب إي وإي

إي — في زعم أهل اللغة يكون بمعنى « نعم » تقول « إي وربّي » أي « نعم وربّي » قال الله جل ثناؤه « وَيَسْتَنْبِؤُكَ أَهَقُ هُوَ قُلْ : إي وربّي »
وأي — معناها « يقول » ومثال ذلك أن تقول في تفسير « لا ريب فيه » :
« أي لا شك فيه » ، المعنى : يقول لا شك فيه .

وسمعتُ أبا بكر أحمد بن علي بن إسماعيل الناقد يقول سمعتُ أبا إسحاق الحربي يقول سمعتُ عمر بن أبي عمرو الشيباني يقول : سألتُ أبي عن قولهم « أي » ، فقال : كلمةٌ للعرب تُشيرُ بها إلى المعنى .

باب إنَّ وإنَّ وإنَّ

قال (الفراء) : « إنَّ » مقدرة لقسم متروكة استُغنيَ بها عند التقدير :
« والله إنَّ زيدا عالمٌ » . وكان (ثعلب) يقول : إن زيدا لقائمٌ هو جواب « ما زيد بقائم » فـ « إنَّ » جواب « ما » و « اللام » جواب « الباء » . وكان

(١) مطلع أرجوزة شهيرة من نظم (العجاج) ولفظ « بل » زائد على الأصل . وبقية البيت قوله :
من طلل كالأنعمي أنجبا

بعض النحويين يقول : « انَّ » مُضَارِعَةٌ لِلْفِعْلِ لَفْظًا وَمَعْنَى : أَمَّا اللفظ فللمفتحة ^(١) فيها كما تقول « قَامَ » . والمعنى ^(٢) في « ان زيداً قائم » : ثبت عندي هذا الحديث . وقال (سيبويه) : سألت (الخليل) عن رجل سميناه : « ان » كيف اعرابه ؟ قال : بفتح الألف لأنه يكون كالاسم ، وإذا كان بكسر الألف لكان كالفعل والأداة ، ولذلك نصب في ذاته لأنه كالفعل ومعناه الثبوت للخبر الذي بعده ، ولذلك نصب به الاسم الذي يليه . ومما يدل على أن « إنَّ » للتثنية قول القائل :

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا

وإنَّ في السفر مامضوا مهلاً ^(٣)

وتكون « أنَّ » — بمعنى « لعلَّ » في قوله عز وجل « وما يشعركم أنها إذا جاءت » بمعنى « لعلها إذا جاءت » . وحكى (الخليل) : « إئت السوق أنك تشتري لنا شيئاً » بمعنى « لعلك » .

و « أنَّ » إذا كانت اسماً كانت في قولك « ظننت أن زيداً قائم » فيكون « أن » والذي بعدها قصة وشأناً ، نحو « ظننت ذلك » فيكون محله نصباً ، وإذا قلت « بلغني أن زيداً عالمٌ » فهذا في موضع رفع . وإذا قلنا « عجبت من أن زيداً كلمك » فيحمله خفض على ما ترتبناه من أنه اسم .

وأما « إنَّ » — فانها تكون شرطاً ، تقول « إن خرجت خرجت » . وتكون نفيًا كقوله جل وعز « إن الكافرون إلا في غرور »

(١) يعني أن مشابهة « ان » للفعل لفظاً بفتح آخرها .

(٢) يعني أن مشابهتها للفعل من حيث المعنى بكونها تفسر به .

(٣) مطلع قصيدة من شعر (الاعشى) ومنها قوله :

استأثر الله بالوفاء وبالبذل وولى الملامة الرجلاً

وكقول الشاعر :

وما إن طَبْنَا جُبْنَاً ^(١)

وتكون بمعنى « إذ » قال الله جل وعز « وأنتم الأعلون أن كنتم مؤمنين » بمعنى « إذ » لأنه جل وعز لم يخبرهم بعلوهم إلا بعد ما كانوا مؤمنين .

وزعم ناس أنها تكون بمعنى « لقد » في قوله جل ثناؤه « ان كنّا نعبادتكم لغافلين » بمعنى « لقد كنا » .

و « أن » — تجعل الفعل بمعنى المصدر ، كقوله جل ثناؤه « وأن تصوموا خير لكم » بمعنى « والصوم خير لكم » .

وتكون بمعنى « إذ » تقول « أعجبتني أن خرجت » و « فرحت أن دخلت الدار » .

(١) ورد في كتب الأدب بالرفع « وما ان طَبْنَا جِبْنَ » وهو من قصيدة أنشدها (فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمة المرادي الصحابي) وتروى لعمر بن قيس . وقيل في سبب انشادها أن (همدان) جمعت ا (مراد) في أيام الجاهلية جمعا كثيرا وساروا اليهم فالتقوا في (الاحرمين) فظفروا بمراد وأصابوا منهم ، فقال في ذلك فزوة :

ان نهزم فهزامون قدما وان نهزم فقير مهزмина
وما ان طَبْنَا جِبْنَ ولكن منايانا ودولة آخرينا
فبينما يسر به ويرضى ولو مكنت غضارته سائنا
إذا انقلب به كرات دهر فآلى بهد غبطة منونا
ومن يغبط (يفر) يريب الدهر يوما يجد رب الزمان له خوفا
فأفنى ذلكم سروات قوي كما أفنى القرون الاولينا
فلو خلد الملوك اذن خلدنا ولو بقي الكرام اذن بقينا

ويروى منها :

إذا ما الدهر جر على أناس كلا كله أناخ بأخريتنا
فقل للشامتين ب : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
كذلك الدهر دولته سجال تسكر صروفه حيناً فجينا

وقد تَضَمَّرَ في قوله :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرَ الْوِغَا^(١)

وتسكون بمعنى « أي » قال الله جل ثناؤه « وانطلق الملائمة منهم أن
امشوا » بمعنى : أي امشوا .

باب (الى)

تكون « إلى » بمعنى الانتهاء ، تقول « خرجت من بغداد إلى الكوفة » .
وتكون بمعنى « مع » . قالوا في قوله جل ثناؤه « من أنصاري إلى الله؟ » :
بمعنى « مع الله » وقال قوم : معناها من يُضيف نصرتَه إلى نصرة الله جل
وعزلي ؟ فيكون بمعنى الانتهاء ، وكذلك قوله جل ثناؤه « ولاتأكلوا أموالهم
إلى أموالكم » .

وربما قامت « إلى » مقام « اللام » قال (الشَّماخ) :

فَالْحَقُّ بِبَجْلَةٍ ، نَاسِبُهُمْ وَكَنْ مَعَهُمْ

حَتَّى يُعِيرُوكَ مَجْدًا غَيْرَ مَوْطُودٍ .

وَأَتَرَكَ تَرَاثَ خُفَافٍ إِنَّهُمْ هَلَكُوا

وَأَنْتَ حَيٌّ إِلَى رِجْلِ وَمَطْرُودٍ^(٢)

(١) من معلقة (طرفة بن العبد) وفي رواية « ألا أيها اللائي » وفي رواية أخرى :

أَلَا أَيُّهَا اللَّاحِي أَنْ أَشْهَدَ الْوِغِي وَأَنْ أَحْضَرَ الْإِذَاتِ هَلْ أَنْتَ مَخْلَدٌ ؟

والشاهد هنا نصب « أحضر » مع ضمائر « أن » على رواية الكوفيين ، والبصريون يرفعونها .

(٢) البيتان من قصيدة (الشماخ) بن ضاراء الغطفاني التي يهجو بها (لريبع بن علباء السلمي) ومطلعها :

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رِسْمِ يَحْمُودٍ • أَوْدَى وَكُلَّ خَلِيلٍ مَرَّةً مَوْدِ

و (بجلة) التي في البيت الأول اسم لقبيلة • و (خفاف) التي في البيت الثاني اسم رجل تنسب

إليه طائفة • و (رعل) قبيلة منسوبة إلى (رعل بن مالك بن عوف) وهي في (اليمن) • و

(مطرود) قبيلة منسوبة إلى (مطرود بن كعب) • قيل إن الثلاثة بنو أب واحد • وقيل إن

(خفافا) غير (رعل) و (مطرود) • والشاهد مجيء « إلى » بمعنى « اللام » •

يقول : أتركُ تراث (خفاف) لرعل ومطروود . وخفافٌ ورعل ومطروود بنو أبٍ واحد . وأخبرنا عليّ ابن إبراهيم القطان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي) قال : ألقى عليّ أعرابيٌّ هذا البيت فقال لي : ما معناه ؟ فأجبته بجواب ، فقال لي : ليس هو كذا . وأجابني بهذا الجواب . وكان الذي أجابه به ابنُ الأعرابي أن خفافاً من غير رعل ومطروود .

باب (الّا)

ألا — افتتاح كلام . وقد قيل : إن « الهمزة » للتثنية و « لا » نفي لدعوى في قوله جلّ ثناؤه « إنما نحن مصنفون ، ألا إنهم هم المفسدون » فالهمزة تنبيهٌ لمخاطب و « لا » نفي للاصلاح عنهم . وفي كلام العرب كلمة أخرى تشبهها لم تجي في القرآن وهي « أما » وهي كلمة تحقيق إذا قلت « أما إنه قائمٌ » فمعناه « حقاً إنه قائمٌ » .

باب (إنما)

سمعت عليّ بن إبراهيم القطان يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت سلمة يقول سمعت الفراء يقول : إذا قلت « إنما قلت » فقد نفيت عن نفسك كلّ فعل إلا القيام ، وإذا قلت « إنما قام أنا » فانك نفيت القيام عن كلّ أحد وأثبتته لنفسك .

قال الفراء : يقولون « ما أنت إلا أخي » فيدخل في هذا الكلام الأفراد ، كأنه ادّعى أنه أخٌ ومولىٌ وغير الأخوة ، فنفي بذلك ما سواها . قال : وكذلك إذا قال « إنما أنت أخي » . قال الفراء : لا يكونان أبداً إلا ردّاً ،

يعني أن قولك «ما أنت إلا أخي» و «إنما قام أنا» لا يكون هذا ابتداءً أبداً وإنما يكون ردّاً على آخر، كأنّه ادّعى أنه أخٌ ومولىٌ وأشياءٌ أخرى، فنفاه وأقرّ له بالأخوة، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيتها كلها ما خلا القيام.

وقال قوم: «إنما» معناه التحقير. تقول «إنما أنا بشر» محقراً لنفسك. وهذا ليس بشيء: قال الله جل ثناؤه «إنما الله إلهٌ واحد» فأين التحقير هاهنا؟

والذي قاله الفرّاء صحيح، وحجته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «إنما الولاء لمن أعتق».

باب (إلا)

أصل (الاستثناء) - أن تستثني شيئاً من جملة اشتملت عليه في أول ما لفظ به، وهو قولهم «ما خرج الناس إلا زيدا» فقد كان «زيد» في جملة الناس ثم أخرج منهم، ولذلك سمي (استثناءً) لأنه ثبني ذكره مرة في الجملة ومرة في التفصيل. ولذلك قال بعض النحويين: المستثنى خرج مما دخل فيه، وهذا مأخوذ من «الثنا» والثنا الأمر يثنى مرتين: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا ثنا في الصدقة» يعني لا تؤخذ في السنة مرتين. قال (أوس):

أفي جنب بكرٍ قطعني ملامَةً ؟

لعمري لقد كانت ملامتها ثناً.

يقول: ليس هذا بأول لومها، فقد فعلته قبل هذا، وهذا ثناً بعده.

وقال بعض أهل العلم : « إلا » تكون استثناء لقليل من كثير ، نحو « قام الناس إلا زيدا » . وتكون محققة لفعل مَنفِي عن اسم قبلها ، نحو « ما قام أحد إلا زيد » . وتكون بمعنى « واو العطف » كقوله :

وأرى لها داراً بأغدره السيِّ

مدان لم يذرُس لها رسمُ

إلا رماداً هامداً دفعت

عنه الرِّيحَ خوالدٌ سَحْمُ

أراد « ورماداً » .

وتكون بمعنى « بل » كقوله جل ثناؤه « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرةً » بمعنى « بل تذكرة » . ومنه قوله عز وجل « والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم ، إلا الذين آمنوا - معناه والذين آمنوا - لهم أجر غير ممنون » .

وتكون « إلا » بمعنى « لكن » وتكون من الذي يسمونها (الاستثناء المنقطع) كقوله جل ثناؤه « لست عليهم بمسيطر ، إلا من تولى - معناه لكن من تولى - وكفر » .

ومن الباب قوله جل ثناؤه « قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء » كان الفرء يقول : استثنى الشيء من الشيء ليس منه على الاختصار ، من ذلك هذه الآية . ثم قال : وفي كتاب الله جل ثناؤه « والفواحش إلا اللثم » قال : هو مختصر ، معناه « إلا أن يصيب الرجل اللثم » واللم أصغر الذنوب . والله جل ثناؤه لا يأذن في قليل الذنب ولا كثيرة . قال : ومما جاء

في شعر العرب قول (أبي خراش) :

نجا سالم ، والنفس منه بشدقه ،

ولم ينجُ إلا جفن سيفٍ ومزرا .

فاستثنى الجفن والمزرا وليس من سالم ، إنما هذا على الاختصار . وأنشد :

وبلدة ليس بها أنيسُ

إلا اليعافير والالعيسُ

معناه « لكن فيها » ومثله قوله جل ثناؤه « فأنهم عدو لي ، إلا رب العالمين » وأما قوله « لئلا يكون للناس عليكم حجة ، إلا الذين ظلموا » فقال قوم أراد « إلا على الذين ظلموا فإن عليهم الحجة » ويكون حينئذ « الذين » في موضع خفض ويكون أيضاً على « لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم » بتبدله . وقال « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا » فهذا قد انقطع من الأوّل ويجوز أن يكون على الاستثناء من أوله كأنه قال « إلا الذين ظلموا فجادلوهم بالتي هي أسوأ من لسان أويدي » أي أغلظ ، يريد مشركي العرب . وقوله جل ثناؤه « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ، إلا من ظلم » قال قوم إنما يريد المكره لأنّه مظلوم فذلك عنه موضوع وإن نطق بالكفر . والاستثناء باب يطول .

وقد يُستثنى من الشيء الموحّد لفظاً وهو في المعنى جمع ، نحو « إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا » .

واستثناء الشيء من غير جنسه لا معنى له مع الذي ذكرناه من حقيقة

الاستثناء .

وإذا جمع الكلام ضرورياً من المذكورات وفي آخره استثناء فالأمر إلى الدليل فإن جاز رجمه على جميع الكلام كان على جميعه كقوله جل ثناؤه «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله - ثم قال - إلا الذين تابوا» والاستثناء جائز في كل ذلك والذي يمنع منه الدليل قوله جل ثناؤه «فاجلدوهم ثمانين جلدَةً ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً» فالاستثناء هاهنا على ما كان من حق الله جل ثناؤه دون الجلد .

باب من (الاستثناء) آخر

قال قوم: لا يُستثنى من الشيء إلا ما كان دون نصفه : لا يجوز أن يقال عشرة إلا خمسة . وقال قوم : يُستثنى القليل من الكثير ويستثنى الكثير مما هو أكثر منه . وهذه العبارة هي الصحيحة . فأما من يقول : يُستثنى الكثير من القليل فليست بالعبارة الجيدة ، قالوا : فيقال «عشرة إلا خمسة» حتى يبلغ التسعة قالوا : ومن الدليل على أن نصف الشيء قد يستثنى من الشيء قوله جل ثناؤه «يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً - ثم قال - نصفه» أفلا تراه سمي النصف قليلاً واستثناءه من الأصل ؟

قال أحمد بن فارس : واعترض قوم بهذا الذي ذكرناه على (أبي عبد الله مالك بن أنس) في قوله في (الجامحة) لأن مالكا يذهب إلى أن الجامحة إذا كانت دون الثلث لم يوضع لأنها قليل بمنزلة ما تناله (العوافي) من الطير وغيرها وما تلقيه الريح ، فإذا بلغت الجامحة الثلث وما زاد فهي كثيرة ولزم وضعها لتحديث الروي فيها . قال المعترض على أبي عبد الله مالك رضي الله تعالى عنه : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب إليه مالك ، لأن قوله جل

ثناؤه « قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا » قد جعل النصف قليلاً ، فاذا كان نصف الشيء قليلاً منه وجب أن يكون كثيره ما فوق النصف .

فالجواب عن هذا أن مالكا إنما ذهب في جعله الثلث كثيراً الى حديث حدثناه (علي بن ابراهيم) عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابن عيينة عن الزهري عن (عامر بن سعد) عن أبيه قال « مرضت عام الفتح حتى أشرفت ، فعادني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : أي رسول الله إن لي مالا وليس يرثني إلا ابنتي أفأتصدق بثلاثي مالي ؟ قال : لا . قلت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث والثلث كثير ، إنك إن تترك ورثتك أشياء خير من أن تتركهم عائلة يتكفون الناس » فبقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ مالك ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بتأويل كتاب الله جل ثناؤه .

باب (إِيَّا)

إِيَّا - كلمة تخصيص . إذا قلت « إِيَّاكَ أَرَدْتُ » وكان الأصل « أَرَدْتُكَ » فلما قدمت الكاف كما تقدم المفعول به في « ضربت زيداً » لم تستقم كاف وحدها مقدمة على فعل فوصل بها « إِيَّا » .
وقد تكون « إِيَّا » للتحذير كقوله :

فإِيَّاكم وحيّة بطن واد
هموز الناب ليس لكم بسيّ .

باب (إِذَا)

تكون « إِذَا » شرطاً في وقت موقت . تقول « إذا خرجت خرجت »

وزعم قوم أن « اذا » تكون لغواً وفضلاً وذكروا قوله جل ثناؤه
« اذا السماء انشقت » قالوا : تأويله « انشقت السماء » كما قال « اقتربت
الساعة » و « أتى أمر الله » . قالوا : وفي شعر العرب قوله :

حتى إذا أسلكوهم في قتائده
شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

المعنى : حتى أسلكوهم .

وأنكر ناس هذا وقالوا : « إذا السماء انشقت » لها جواب مضمّر .
وقول القائل « حتى إذا أسلكوهم » جوابه قوله « شلاً » ، يقول
« أسلكوهم شلاً » واحتج أصحاب القول الأول بقول الشاعر :

فاذا وذلك لامهاة لذكره
والدهر يعقب صالحاً بفساد

قالوا : المعنى « وذلك » .

وقال أصحاب القول الثاني : الواو مفحمة ، المعنى « فاذا ذلك » . وقولهم
« إذا فعلت كذا » يكون على ثلاثة أضرب : ضربٌ يكون المأمور به قبل
الفعل تقول « إذا أتيت الباب فلبس أحسن لباس » ومنه قوله جل ثناؤه
« إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا » . وضربٌ يكون مع الفعل كقولك « إذا
قرأت فترسل » . وضربٌ يكون بعد الفعل نحو « إذا حللتم فاصطادوا »
و « إذا نودي للصلاة فاسعوا » .

باب (إذ)

إذ - تكون للماضي تقول « أتذكر إذ فعلت كذا ؟ » فأما قوله جل

ثناؤه « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا : ياليتنا « ف « ترى » مستقبل
و « إذ » الماضي ، وإنما كان كذا لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد ، وذلك
عند الله جل ثناؤه قد كان ، لأن علمه به سابق وقضائه به نافذ فهو كائن
لأحالة ، والعرب تقول مثل ذا وإن لم تعرف العواقب . قال :

ستندم إذ يأتي عليك رعلنا

بأرعن جرار كثير صواهلة

وفوهة جل ثناؤه « وإذ قال الله : يا عيسى « فقال قوم : قال له ذلك لما
رفعه إليه . وقال آخرون : « إذ » و « إذا » بمعنى . كقوله جل ثناؤه « ولو
ترى إذ فزعوا » بمعنى « إذا » . قال (أبو النجم) :

ثم جزاه الله عتاً إذ جرى

جنات عدن في العلا لي العلي

المعنى « إذا جرى » لأنه لم يقع . ومثله قول (الأسود) ^(١) :

الحافظ الناس في تحوط إذا

لم يرسلوا تحت عائد ربعا

وهبت الشمال الليل وإذا

بات كميع الفتاة ملتفما

قالوا : ف « إذا » و « إذ » بمعنى . قال :

وندمان يزيد الكأس طيباً

سقيت إذا تغورت النجوم

(١) قلت : العوَاب أنه قول (أوس بن حجر) برثي (فضالة أبا دليلة) . وليس هو قول

الشنقيطي

(الأسود) .

و «إِذَا» - تكون بمعنى «حين» كقوله جل ثناؤه «وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ
عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ» أي «حين تفيضون» .

باب (إِذَا)

إِذَا - مجازاة على فعل يقول «أَنَا أَقُومُ» فتقول «إِذَا أَقُومُ مَعَكَ» . هذا
هو الأصل . ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «فَإِنِّي إِذَا صَائِمٌ» أي
إِذَا لم يحضر الطعام فَأِنِّي صَائِمٌ . وقال الشاعر :

أَزْجُرُ حِمَارِي لَا يَرْتَعُ بَرُوضَتَنَا
إِذَا يَرْدُ وَقِيدَ الْعِيرِ مَكْرُوبُ .

باب (أَيُّ)

أَيُّ - تكون استفهاماً . تقول «أَيُّ الرجلين عندك؟» .
وتكون للترجيح بين أمرين تقول «أَيَّامًا فَعَلْتُ فُلِي كَذَا» أي إن
فعلت هذا وإن فعلت هذا .

وتكون للتعجب نحو «أَيُّ رجل زَيْدٌ!» .

باب (أَنِّي)

أَنِّي - بمعنى «كيف» كقوله جل ثناؤه «أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ؟» .
وتكون بمعنى «مِنْ أَيْنَ» كقوله «أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ؟» أي من
أَيْنَ . والأجودُ أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا أَيْضًا كَيْفَ . قال (الكميت) :

أَنِّي وَمِنْ أَيْنَ آبُكَ الطَّرْبُ
مِنْ حَيْثُ لَا صَبَوَةٌ وَلَا رَيْبُ؟

فجاء بالمعنيين جميعاً .

باب (أَيْنَ) و (أَيْنَمَا)

أَيْنَ - تكون استفهاماً عن مكان . نحو « أين زيد؟ » .
وتكون شرطاً لمكان . نحو « أين لقيت زيدا فكاكته » بمعنى في أي مكان .
فأما « أينما » - فأنما يكون شرطاً لمكان . نحو « أينما تجلس اجلس »
ولا يكون استفهاماً .

باب (أَيَّانَ)

أَيَّانَ - بمعنى « متى » و « أيَّ حين » . قال بعض العلماء : نرى أصلها
« أيَّ أو ان » فحذفت الهمزة وجعلت الـ كـامتان واحدة . قال الله جل ثناؤه
« أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ؟ » أي متى و « أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟ » أي متى .

باب (الآنَ)

يقولون : « الآن » حدث الزمانين ، حدث الماضي من آخره وحدث المستقبل
من أوله . وكان (الفراء) يقول : بُني على الألف واللام لم يُخلعاً منه . وتُرى
على مذهب الصِّفة لأنه صفة في المعنى واللفظ ، كما فعلوا في « الذي » و
« الذين » فتركوهما على مذهب الأداة ، والألف واللام غير مفارقين .
ومثله قوله :

فَإِنَّ الْأَوْلَاءَ يَعْلَمُونَكَ مِنْهُمْ
كَعَلَمِي مُطْنُوكَ مَا ذُمْتَ أَشْعَرَا

فأدخل الألف واللام على « أولاء » ثم تركها مخفوضة في موضع نصب
كما كانت قبل أن يدخلها الألف واللام ومثله :

وإِنِّي حُبِسْتُ الْيَوْمَ وَالْأَمْسَ قَبْلَهُ
 يَابُكَ حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
 فَأَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ عَلَى «أَمْسٍ» ثُمَّ تَرَكَهُ مُحْفُوضًا عَلَى جِهَتِهِ الْأُولَى .
 ومثله :

تَقَمَّأَ فَوْقَهُ الْقَمْعُ السَّوَارِي
 وَجُنَّ الْخَازِ بَازٍ بِهِ جُنُونًا
 وأصل «الآن» إنما كان «أَوَانٌ» حذفت منها الألف وغيّرت واوها
 إلى الألف ، كما قالوا في الراح «الرياح» أنشد الفراء أنشدني (أبو القمقام
 الأَسدي) :

كَأَنَّ مَكَائِي الْجَوَاءَ غُدِيَّةً
 نَشَاوَى تَسَاقَوْا بِالرِّيَّاحِ الْمُفْلَلِ
 فجعل «الرياح» و«الأوان» مرةً على جهة «فَعَلَ» ومرة على جهة
 «فَعَالٍ» كما قالوا «زَمَنَ» و«زَمَانٌ» وان شئت جعلت «الآن» من
 قولك «أَنْ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ» أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب
 فَعْلٍ فَأَتَى النصب من نصب «فَعَلَ» وهو وجه جيد . كما قالوا «نهى رسول
 الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قيل وقال» و«الآن» في كتاب الله
 جل ثناؤه «الآن وقد عصيت قبلُ» ، «الآن وقد كنتم به تستعجلون»
 أي في هذا الوقت وهذا الأوان تنوب وقد عصيت قبل .

قال (الزجاج) : «الآن» عند (الخليل) و(سيبويه) مبنيٌّ على الفتح
 تقول «نحن من الآنَ نَصِيرُ إِلَيْكَ» فنفتح . لان الألف واللام إنما تدخل

لعهد ، و«الآن» تعهد قبل هذا الوقت ، فدخلت الألف واللام للإشارة الى الوقت . المعنى «نحن من هذا الوقت نفعل» فلما تَضَمَّنَتْ معنى هذا وجب أن تكون موقوفة ففتحت للاتقاء الساكنين .

باب (إِمْأَلَا)

هما كلمتان «إِمْأَلَا» و«لَا» تقول «أخرج» فإذا امتنع قلت «إِمْأَلَا لَا فَتَكَلَّمْ» أي «إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ خُرُوجٌ فَلْيَكُنْ مِنْكَ تَكَلُّمٌ» .
و«إِمْأَلَا» شرط و«لَا» حَجَزَتْ . كأنك قلت «إِنْ لَا» .

باب (أَمَّا) و (إِمْأَلَا)

أَمَّا - كلمة اخبار لا بدّ في جوابها من «فاء» . تقول «أما زيد فكريم» .
وإِمْأَلَا - تكون تَحْيِيراً وإِبَاحَةً . نحو اشرب إِمَامَاءَ وإِمَامًا لَبَنًا .
وقد تكون بمعنى الشرط ، والأكثر في جوابها نون التوكيد . نحو «إِمْأَلَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا» و«قُلْ رَبِّ إِمَامًا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ» وقد يكون بلا «نون» نحو قوله :

إِمَامًا تَرِي رَاسِي عَالِي أَعْظَمُهُ

ومما اوله (بَاء)

(بَلَى)

بَلَى - تكون اثباتاً لمنفي قبلها . يقال «أما خرج زيد؟» فتقول «بَلَى» والمعنى أنها «بل» وُصِلَتْ بِهَا أَلْفٌ تَكُونُ دَلِيلًا عَلَى كَلَامٍ . يقول القائل «أما خرج زيد؟» فتقول «بَلَى» ف«بل» رُجُوعٌ عَنْ جَحْدٍ و«الالف» دلالة كلام ، كأنك قلت «بل خرج زيد» . وكذلك قوله جل

ثناؤه « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى » المعنى والله أعلم « بل أنت ربنا » .

(بَلَى)

بَلَى - إِضْرَابٌ عَنِ الْأَوَّلِ وَاثْبَاتٌ لِلثَّانِي . وَاخْتَلَفَ فِيهِ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ .
فَقَالَ قَوْمٌ : جَاؤُ « مَرَرْتُ بِرَجُلٍ بِلْ حِمَارٍ » وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ الرِّفْعُ أَيَّ « بِلْ هُوَ
حِمَارٌ » .

وَالْكُوفِيُّونَ لَا يَنْسُقُونَ ؛ « بَلَى » إِلَّا بَعْدَ نَفْيٍ . قَالَ (هِشَامٌ) :
مَحَالٌ « ضَرَبْتُ أَخَاكَ بِلْ أَبَاكَ » لِأَنَّ الْأَوَّلَ قَدْ ثَبَّتَ لَهُ الضَّرْبُ .
وَالْبَصْرِيُّونَ يَقُولُونَ : لَمَّا كَانَتْ « بِلْ » تَقَعُ لِلْإِضْرَابِ ، وَكُنَّا
نُضْرِبُ عَنِ النَّفْيِ وَقَعْتَ بَعْدَ الْإِيجَابِ كَوُقُوعِهَا بَعْدَ النَّفْيِ . وَ « لَا بِلْ » مِثْلُهَا .
وَقَالَ قَوْمٌ : يَكُونُ « بَلَى » بِمَعْنَى « إِنَّ » فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « ص » .
وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ، بِلْ الَّذِينَ كَفَرُوا - مَعْنَاهُ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا - فِي عِزَّةٍ .
قَالُوا : وَذَلِكَ أَنَّ الْقَسَمَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ جَوَابٍ .

وَيَزْعُمُ نَاسٌ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ فِي الْإِثْبَاتِ كَانَتْ اسْتِدْرَاكًا . تَقُولُ
« لَقِيتُ زَيْدًا بِلْ عَمْرًا » وَهَذَا عِنْدَ الْغَلَطِ .

(بَلَاءٌ)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ :
أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ
عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، بَلَاءٌ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ » قَالُوا : مَعْنَاهُ « سَوَى » وَ « دَعَا »
كَأَنَّهُ قَالَ « سَوَى مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ » وَ « دَعَا مَا أَطْلَعْتُهُمْ » قَالَ (أَبُو
زَيْدٍ) :

تَمْشِي الْقُطُوفُ إِذَا غَنَى الْحُدَاةُ لَهَا
مَشْيَ النُّجَبِيَّةِ ، بَلَّةَ الْجِلَّةِ النُّجَبَا

(يَد)

قالوا : « يد » بمعنى « غير » . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم « نحن الآخرون السا بقون يوم القيامة ، يَدَأُّهُمْ أُوتُوا الكتاب
من قبلنا واوتيناهُ من بعدهم » أي « غير أنهم » قال الشاعر :

عَمْدًا فَعَلْتُ ذَاكَ بِيَدِ أَنِي
إِخَالُ لَوْ هَلَكَتْ لَمْ تُرَفِّي

(بينا) و (بينما)

هما لزمان غير محدود . واشتقاقهما من قولنا « بيني وبينه قيدُ كذا »
فاذا قلنا « بَيْنَا نحنُ عِنْدَ زَيْدٍ أَنَا فُلَانٌ » فالمعنى « يَبْنُ أَنْ حَصَلْنَا عِنْدَ زَيْدٍ
وبين زمان آخر أَنَا فُلَانٌ » قال :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَنَا
مُعَلَّقَ شَكْوَةٍ وَزَنَادٍ رَاعٍ

(بَعْد)

يَدُلُّ عَلَى أَنْ يَعْقُبَ شَيْءٌ شَيْئًا . تقول : « جاء زيدٌ بعد عمرو » ويقولون :
إنها تكون بمعنى « مع » يقال « هو كريم وهو بعد هذا فقيه » أي « معَ
هذا » ويتأولون قول الله جلَّ ثناؤه « والارض بعد ذلك دحاها » على هذا ،
بمعنى « مع ذلك » .

ومما أوله (تاء)

(تعال)

يقال : إنها أمرٌ أي « تفاعل » من « عاوت . تعالي . يتعالي » فإذا أمرت قلت « تعال » كما تقول « نقاض » .
قالوا : وكثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة « هلم » حتى يقال لمن هو في علو « تعال » وأنت تريد « اهبط » .
ولا يجوز أن تنتهي بها . وقد تصرف فيقال « تعاليت » و « إلى أي شيء أتعالي ؟ » .

ومما أوله (ثاء)

(ثم)

ثم - يكون لتراخي الثاني عن الأول : « جاء زيد ثم عمرو » .
وتكون « ثم » بمعنى « واو العطف » قال الله جلّ ذكره « فإني أنا مرّجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون » أي وهو شهيد .
وتكون بمعنى التعجب كقوله جل ثناؤه « ثم يطع أن أزيد » و « ثم » الذي كفروا برّبهم يعدلون » وأنشد (قطرب) أن « ثم » بمعنى « الواو » :
سألت ربيعة : من خيرها
أباً ثم أمّاً ؟ فقالت : لمة ؛

ومنه قوله جل ثناؤه « ثم إن علينا بيان » فأما قوله جل وعزّ « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » فقال قوم معانها « وصورناكم » وقال آخرون : المعنى « ابتدأنا خلقكم » لأنه جل ثناؤه ابتداء خلق آدم عليه السلام من

تَرَابَ، ثُمَّ صَوَّرَهُ . وَابْتَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ صَوَّرَهُ . قَالُوا :
 « ثُمَّ » عَلَى بَابِهَا . قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « يُوَلِّوْا كُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ » .
 وَزَعَمَ نَاسٌ أَنَّ « ثُمَّ » تَكُونُ زَائِدَةً . قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ
 الَّذِينَ خَافُوا ، حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ » - إِلَى قَوْلِهِ جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ - « ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ » . مَعْنَاهُ « حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ تَابَ عَلَيْهِمْ »
 وَقَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا » وَقَدْ كَانَ قَضَى الْأَجَلِ ،
 فَمَعْنَاهُ « أَخْبَرَكُمْ أَنِّي خَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ أَخْبَرَكُمْ أَنِّي قَضَيْتُ الْأَجَلَ »
 كَمَا تَقُولُ « كَلِمَتِكَ الْيَوْمَ ثُمَّ قَدْ كَلِمَتِكَ أَمْسَ » أَيِ إِنِّي أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ ثُمَّ
 أَخْبَرْتُكَ بِهَذَا .

وَهَذَا يَكُونُ فِي الْجَمَلِ ، فَأَمَّا فِي عَطْفِ الْأَسْمِ عَلَى الْأَسْمِ ، وَالْفِعْلِ
 عَلَى الْفِعْلِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا مُرْتَبَأًا أَحَدُهُمَا بَعْدَ الْآخَرِ .

و : (ثُمَّ)

بِمَعْنَى « هُنَا لَكَ » قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا »
 وَقُرَأَتْ « إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ » أَيِ : هُنَا لَكَ اللَّهُ شَهِيدٌ .

وَمِمَّا أَوْلَاهُ (جِيم)

(جَيْر)

يَقُولُونَ : « جَيْرٌ » بِمَعْنَى « حَقًّا » قَالَ (الْمُفَضَّلُ) : هِيَ خَفَضُ أَبَدًا ،
 وَرُبَّمَا نَوْنُوهَا . وَأَنْشَدَ الْمُفَضَّلُ :

أَلَا يَاطَالَ بِالْغَرَبَاتِ لَيْلِي
 وَمَا تَلَقَّى بَنُو أَسَدٍ بِهِنَّ

وقائلة : أَسِيتَ . فقلت : جَيرُ

أَسِيٍّ إِنَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ

أَصَابَهُمُ الْحِمَامُ وَهُمْ عَوَافٍ

وَكُنْ عَلَيْهِمْ نَجَسًا لَعَنَةً

فَجِئْتُ قُبُورَهُمْ بَدَأُ وَلَمَّا

فَنَادَيْتُ الْقُبُورَ فَلَمْ يَجِبْنِي

وَكَيْفَ تَجِيبُ أَصْدَاءَ وَهَامٍ

وَأَجْسَادُ بَدْرُنَ وَمَا نُحِرَانَهُ

الحما : أراد الحمام . وبَدْرُنَ : طين في البوادر .

(لاجرم)

قال : « جَرَمَ » بمعنى « حَقَّ » قال :

ولقد طعنتُ أبا عِيْنَةَ طَعْنَةً

جَرَمْتُ فَرَارَةً بَعْدَهَا أَنْ يَغْضِبُوا

وذكر ناس أنها بمعنى « لا بُدَّ » و « لا مَحَالَةَ » .

وأصح ما قيل في ذلك أن « لا » نفي لما ظنوا أنه ينفعهم في قوله جل

ثناؤه « لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون » والمعنى « لا » أي « لا

ينفعهم ظنهم » ثم يقول مبتدئاً « جَرَمَ أنهم في الآخرة هم الأخسرون »

أي « كَسَبَهُمْ ذَلِكَ » و « حَقَّ أنهم في الآخرة هم الأخسرون » .

قال (ابن قتيبة) : وليس قول من قال « حَقَّ لفرارة الغضب » بشيء ،

والأمر بخلاف ما قاله ، لأن الذي يحصل من الكلمة ما قلنا أنه بمعنى

« حتى » فيكون على هذا « ضربت فإرة بعدها أن يغضبوا » المعنى « أحقت الطمئة إفزارة الغضب » . ومنه قوله جل ثناؤه « واتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى » ثم قال - لا « وهو ردة عليهم ، وقال بعدها « جرم أن لهم النار » أي حتى وكسب .

ومما أولها (حاء)

(حتى)

تكون للنهاية . قال الله جل ذكره « هي حتى مطلع الفجر » بمعنى « إلى » وقال تبارك اسمه « حتى يبلغ الكتاب أجله » .

وتكون بمعنى « كي » تقول « اكمل حتى يرضى » أي « كي يرضى » . ويقولون : إنها تكون بمعنى العطف . تقول « قاتم الجيش حتى الأتباع » . ومذهب أهل البصرة أنه لا يجوز أن « يطف بها حتى يكون الثاني من الأول » . قالوا : لو قلت « كات العرب حتى العجم » لم يجوز . وقال (الفراء) لا يجوز « كات أخاك حتى أباك » وهو مثل الاستثناء . كما لا يجوز « كات أخاك إلا أباك » .

وأجاز (الفراء) « إنه ليقاتل الرجال حتى الفرسان » و « إن كلي ليصيد الأرناب حتى الطيأ » خفضاً ونصباً . قال الفراء : لأن الطيأ وإن كانت مخالفة للأرناب فإنها من الصيد وهي أرفع منها .

وقال البصريون : هذا خطأ وفيه بطلان الباب . قالوا : لأن « حتى » إنما جعلت لما تتناهى إليه الأشياء من أعلاها وأسفلها مما يكون منتهى في الغاية ، فإذا قلت « ضربت القوم » جاز أن يتوهم السامع أن زيدا لم يدخل

في الضرب ، إما لأنه أعلامهم أو لأنه أدونهم ، فعني « إلى » فيها قائم إذا كانت « إلى » منتهى الغاية .

والسكوفيون لا يجعلون « حتى » حرف عطف ، إنما يعربون ما بعدها باضمار .

(حاشا)

معناها الاستثناء ، واشتقاقها من « الحشا » وهي « الناحية » تقول « خرجوا حشا زيد » أي : إني أجعله في ناحية من لم يخرج ولا أجعله في جملة من خرج . قال الشاعر :

بأيِّ الحشَا أُمسَى الخليطُ المبائنُ ؛

ومن ذلك قولهم « لا أحشي بك أحداً » أي : لا أجعلك ولياً في حشاً واحد ، أي في ناحية واحدة بل أميزك عنه .

ومما أولد (خناء)

(خلا) و (ما خلا)

أصلهما من قولنا « خلا البيت » و « خلا الاء » إذا لم يكن فيه شيء . كذلك إذا قلنا « خرج الناس خلا زيد » فائماً زُيد : أنه خلا من الخروج ، أو خلا الخروج منه . وعلى هذا التأويل فالنصب فيه أحسن . ومنه قول العرب « افعل كذا وخلاك ذم » يريدون « عداك الذم » و « خاوت من الذم » .

ومما أولد (راء)

(رُب)

يقولون : للتقليل ، وهي مُناقضة لـ « كَم » التي للتكثير ، تقول « رُب »

رجلٍ لَقِيْتَهُ .

وقال قوم : وَضَعْتَ لِتَذَكُّرِ شَيْءٍ مَاضٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ . قال :

رُبَّ رَكَبٍ قَدْ آتَاخُوا حَوْلَنَا

يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ .

قالوا : وعلى هذا التأويل فوله جل ثناؤه « رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ

كَانُوا مُسْلِمِينَ » .

(رُؤْيَدٌ)

قالوا : هو تصغيرُ « رُود » وهو المهمل . قال :

كَأَنَّهَا مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُودٍ

وقال بعضهم : في قوله جل ثناؤه « أَمْهَلُمْ رُؤْيَدًا » أي قليلاً .

(ذو) و (ذات) ^(١)

ذو - يدلُّ على الملك . تقول « هو ذو الثَّوبِ » .

وقد يكون في غير الملك أيضاً ، بل يكون في صفة من صفاته نحو قولك

« هو ذو كلام » و « ذو عارضة » . فمن الملك قوله جل ثناؤه « ذوالعرش المجيد » .

وأما « ذات » - فيكون في المؤنث كـ « ذا » . وتكون لها معانٍ آخر :

تكون كنايةً عن ساعة من يوم أو ليلة أو غير ذلك ، كقولك « ذاتُ

يوم » و « ذاتُ عَشِيَّةٍ » .

وتكون كنايةً عن الحال كقوله :

وَأَهْلُ خَبَاءٍ صَالِحِ ذَاتُ بَيْنِهِمْ

قد احترَبوا في عاجلِ أَنَا آجِلُهُ

(١) كذا في الاصل مؤخراً ما أوله « ذال » علي ما أوله « ذاء » .

ومن هذا قوله جل ثناؤه « وَأَصْلِحُوا ذَاتَ يَتْنِكُمْ » أي الحال بينكم وأزِيلُوا المشاجرة .

ومن الزمان قوله :

لَمَّا رَأَتْ أَرْقِي وَطُولَ تَقْلِي

ذات العشاء ولي الموصولا

وتكون للبيئة تقول « هو في ذاته صالح » أي : في بنيته وخلقه .

وتكون للإرادة والنية كقوله جل ثناؤه « وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » أراد السرائر . ومنه فيما ذكرنا قوله :

مَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينَهُمْ

قَوِيمٌ ، فَأَيَّرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ (١)

فقوله « ذَاتُ الْإِلَهِ » أي إرادتهم الله تبارك اسمه .

(سَوْفَ)

تكون للتأخير والتنفيس والأناة .

(سَوَى)

تكون بمعنى « غير » وهما جميعاً في معنى « بَدَل » وهي مقصورة مكسورة فاذا مدَّتْ فُتِحَ أوَّلُهَا . قال :

تَجَانَفُ عَنْ جَوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي

وما عدلتُ عن أهلها لسوائك .

أي : لغيرك . و « سَوَاءُ الْجَحِيمِ » وسطها ، في غير معنى الأوَّل .

وقد جاء « سَوَى » أيضاً . قال الله جل ثناؤه « مَكَانًا سَوَى » .

(سِيَمَا)

أصلها « السِّي » وهو « المثل » . تقول « ولا سيمًا كذا » أي « ولا سواء » قال (امرؤ القيس) :

ألا ربَّ يومٍ لك منهنَّ صالح
ولا سيمًا يومًا بذارةٍ جائِل

وأصله راجع إلى « السِّي » وهو المثل . يقولون « هماسيان » قال (الخطيئة) :

فأيَّكم وحيَّة بطن واد
همُّوز النَّاب ليس لكم بِيَّي

وسمعت أبا الحسن المعروف بابن التركيعة يقول ، سمعت (ثعلبًا) يقول : من قاله بغير اللفظ الذي قاله (امرؤ القيس) فقد أخطأ .

(شَتَان)

أصلها من « شَتَّ » ومن « التَّشَّتَّ » وهو التَّفَرُّقُ والتَّبَاعُدُ ، تقول « شَتَّان ما هما » أي : بُعد ما بينهما ، ويقال : « هذا هو الأَفْصَحُ ، وينشدون :

شَتَّان ما يؤمِّي على كَرِّها
ويوم حَيَّان أخي جابر .

وربما قالوا « شَتَّان ما بينهما » وليس بالفصيح .

(عَنْ)

يُدلُّ على الانحطاط والنزول ، تقول « نَزَلَ عن الجبل » و « عن ظهر الدَّابة » و « أخذ العلم عن زيد » لأنَّ المأخوذَ عنه أعلا رُتَبَةً من الآخذ .

وتكون بمعنى « بعد » في قوله « لم تنتطق عن تفضل » . ولها وجوه والأصل ما ذكرناه .

(عَلَى)

تكون للعلو ، تقول « هو على السطح » .
وتكون للعزيمة ، كما تقول « أنا على الحج العام » .
وتكون للثبات على الأمر تقول « أنا على ما عرفتني به » .
وتكون للخلاف ، مثل « زيدٌ على عمرو » أي : مخالفه .
وهي - وإن انشعبت - راجعة إلى أصل واحد .

(عَوْض)

عوض - لزمان غير محدود ولا معلوم كنهه ، كما قلناه في « الحين »
و « الدهر » . قال (الأعرابي) :

رضيحي لبانٍ ثدي أمٍ تقاسما
بأسحهم داج عَوْض لا نتفرق
ويقولون « لا تيك عوض العائضين » .

(عَسَى)

للقرب والدنو ، قال الله جل ثناؤه « قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ » .
والأفصح أن يكون بعدها « أَنْ » وربما لم يكن . قال :

عسى فرَجٌ يأتي به الله إنه
له كل يوم في خَلِيقته أمرٌ

قال (الكسائي) : كل ما في القرآن من « عسى » على وجه الخبر فهو

مُوحِد : « عسى أن يكونوا خيراً منهم » و « عسى أن يكنّ خيراً منهن »
و « عسى أن تذكرها شيئاً » وَوَحَّدَ عَلَى « عسى الأمر أن يكون كذا » .
وما كان على الاستفهام فانه يُجْمَع كقوله جل وعز « فهل عَسَيْتُمْ » قال
(أبو عبيدة) في قوله جل ثناؤه « هل عَسَيْتُمْ » : هل عدوتم ذلك ، هل
جزتموه .

(غَيْر)

غَيْر — تكون استثناء ، وتقوم مقامها « إِلَّا » ، تقول « خرج الناسُ
غير زيد » تريد « إلا زيدا » .
أو تكون حالا ، وتقوم مقامها « لا » تقول « فعلت ذلك غير خائف
منك » أي « لا خائفاً منك » .

(فِي)

زعموا أن « في » للتضمن ، تقول « المال في الكيس » و « الماء في
الجرة » . ويقولون : إنها تكون بمعنى « على » في قوله جل ثناؤه
« وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جَذُوع النَّخْلِ » .

وانها تكون بمعنى « مع » في قوله جل ثناؤه « فِي تِسْعِ آيَات » .
وكان بعضهم يقول : انما قال « وَلَا صَلْبِنَكُمْ فِي جَذُوع النَّخْلِ » لأن
الجدع له صلوب بمنزلة القبر للمقبور فلذلك جاز أن يقال فيه هذا . وأنشدوا :

هُمْ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جَذْعِ نَخْلَةٍ
فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

(قَدْ)

قَدْ - جواب لمتوقع ، وهي تقيضُ « ما » التي للنفي ، وليس من الوجه
الابتداء بها إلا أن تكون جواباً لمتوقع ، وقوله جل وعزّ « قد أفلح
المؤمنون » على هذا المعنى ، لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله تبارك
اسمه فقبل لهم « قد أفلح المؤمنون » والحقيقة ما ذكرناه .

(كَمْ)

موضوعة للكثير في مقابلة « رَبِّ » تقول « كم رجل لقيت » .
وتكون استفهاماً ، تقول « كم مالك ؟ » .
وقال (الفراء) : نرى أن قول العرب « كم مالك ؟ » أنها « ما »
ووصلت من أولها بكاف ، ثم ان الكلام كثر بـ « كم » حتى حذفت الألف
من آخرها وسكنت ميمها ، كما قالوا « لم قلت ذاك ؟ » ومعناه « لم » و
« لما قلت » قال :

فَأَنَا الْأَسْوَدُ لَمْ أَسْلَمْتَنِي
لَهُمُومٌ طَارِقَاتٍ وَذَكَرُ ؟

وقيل لبعض العرب « مذكم قعد فلان ؟ » فقال « كمذ أخذت في
حديثك » فزيادة الكاف في « مذ » دليل على أن الكاف في « كم » زائدة .
وعاب (الزجاج) على (الفراء) قوله في « كم » ، وقال : لو كانت في
الأصل « كما » وأسقطت الف الاستفهام لتركت على فتحها ، كما تقول « بيم »
و « عم » و « فيم أنت » .

والجواب عما قاله ما ذكره (أبو زكرياء) وهو كثرة الاستعمال .

وحجته ما ذكره في « لم » .

(كَيْفَ)

سؤال عن حال ، تقول « كَيْفَ أَنْتَ ؟ » أي : بأيّ حال أَنْتَ ؟ وقال بعض أهل اللغة : لها ثلاثة أوجه :

أحدها - سؤال محض عن حال ، تقول « كَيْفَ زَيْدٌ ؟ » .
والوجه الآخر - حال لا سؤال معه ، كقولك « لَأَكْرِمَنَّكَ كَيْفَ كُنْتَ » أي : على أيّ حال كنت .

والوجه الثالث - « كيف » بمعنى التعجيب . وعلى هذين الوجهين يُفسَّر قوله « فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ » قالوا : معناها « على أيّ حال قَدَّرَ » وتعجيب أيضاً . ومن التعجيب قوله جل ثناؤه « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ! »

وقد يكون « كيف » بمعنى النفي . قال :

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَا طِي بَعْدَمَا

لَا حَ فِي الرَّأْسِ مَشِيبٌ وَصَلَعٌ^(١)

ومنه قوله جل ثناؤه « كيف يكون المشركين عهداً عند الله » و« كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم » .

وتكون توبيخاً ، كقوله جل ثناؤه « وكيف تكفرون وأنتم تنلى عليكم آيات الله » .

(١) من قصيدة أشدها (سويد بن أبي كاهل اللشكري) واختارها (الفضل الضبي) وأولها :

بسطت رابطة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما أسمع
مرة تجلو شتيتا واضحا كشعاع الشمس في الغيم سطع
صقلته بقضيب ناضر من أراك طيب حتى نضع

فأما قوله « فكيف اذا جيئنا من كل أمة بشييد » فهو تأكيد لما تقدم من خبر وتحقيق لما بعده ، على تأويل : ان الله لا يظلم مثقال ذرة في الدنيا فكيف في الآخرة .

(كاد)

قال (أبو عبيدة) : « كاد » المقاربة في قوله جل ثناؤه « لم يكذبوا » أي : لم ير . ولم يقارب . ومن المقاربة قول (جرير) :

حيوا المقام وحيوا ساكن الدار
ما كنت تعرف إلا بعد إنكار

ويقولون « كاد النعام يطير » .

فهذه المقاربة للشبه ولا يكون ، وبيت (جرير) يكون .

(كان)

يدل على المضي ، تقول « كان له مال » .

وتكون بمعنى القدرة ، كقوله جل ثناؤه « ما كان لكم أن تُنبئوا شجرها » أي : ما قدرتم .

وتكون بمعنى « صار » كقولك « إن كنت ابني فصأني » أي : إذا صرت ابني . وأنشد :

أجرت إليه حرّة أرحيّة
وقد كان لوز الليل مثل الأرنج

أي : صار .

وتكون بمعنى الرهون ، كقوله جل ثناؤه « قل سبحان ربي هل كنت

إلا بشرا؟ « أي : هل أنا إلا بشر .
وتكون بمعنى « ينبغي » قال الله جل ثناؤه « قلتم ما يكون لنا » أي :
ما ينبغي لنا .

و « كان » تكون زائدة ، كقوله :

و جيران لنا - كانوا - كرام^(١)

وفي كتاب الله جل ثناؤه « قال وما علمي بما - كانوا - يعملون » أي :
بما يعملون ، لأنه قد كان عالماً بما عملوه وهو إيمانهم به .

(كَأَيِّنْ)

كَأَيِّنْ - يكون بمعنى « كم » قال الله جل ثناؤه « وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ
عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا » .

وفيها لغتان : « كَأَيِّنْ » بالهمز والتشديد ، و « كَأَيْنْ » . وقد قُرئ
بهما ، قال الشاعر :

وكَأَيْنْ أَرِينَا الْمَوْتَ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ
إِذَا مَا أزدَرَانَا أَوْ أَصْرَّ لِمَا نَمُ

وسمعت بعض أهل العربية يقول : ما أعلم كلمةً يثبتُ فيها التنوين خطأً
غير هذه .

(كَأَنَّ)

كلمة تشبيه ، قال قوم : هي « إِنَّ » دخلت عليها كافُ التشبيه ففتحت ،
وقد تخفف قال الله جل ذكره « كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ » إلا أنها إذا ثقلت

(١) عجز بيت من قصيدة أنشدها (الفرزدق) . صدره :
فكيف إذا مررت بدار قوم

في مثل هذا الموضع قرئت بها الهاء فقليل « كأنه لم يدعنا » . وقالت (الخنساء) في التخفيف :

كأن لم يكونوا حمي يتقى
إذ الناس إذ ذاك من عزّ بزا^(١)
أرادت : كأنهم لم يكونوا .
(كَلَّا)

تكون ردّاً وردعاً ونفياً لدعوى مدّعٍ إذا قال « لقيتُ زيدا » قلت « كَلَّا » .

وربما كانت صلةً ليمين ، كقوله جل ثناؤه « كَلَّا والقمر » . وهي - وإن كانت صلةً ليمين - راجعةٌ إلى ما ذكرناه . قال الله جل ثناؤه « كَلَّا لَا تُطِيعُهُ » فهي ردعٌ عن طاعةٍ من نهاهُ عن عبادة الله جل ثناؤه . ونكتة بابها النفي والنهي .

وزعم ناس أن أصل « كَلَّا » : « كَلَا » و « لَا » . قال :

أصابَ خصاصةً فَبَدَا كَلِيلَا
كَلَا وانْغَلَّ سائرُهُ انْغِلَالَا^(٢)

(١) من مرثيتها المشهورة . ومطلعها :

تعرقي الدهر نهشا ووخزا وأوجني الدهر قرعا وعغزا

(٢) من قصيدة أنشدتها (ذوالرمة) في مدح (بلال بن أبي بردة) وفي رواية « وانغل جانبها »

ومنها قبله :

أمية أحسن الثقلين جيذا وسالمة وأحسنه قدالا

ترك يياض لبنها ووجها كقرن الشمس أفتق حين زالا

ثم يأتي البيت الذي ذكره (ابن فارس) ومنها البيت المشهور وفيه ذكر المدح :

سمعت الناس ينتجعون عينا فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وهذا ليس بشيء . و « كَلَّا » كلمة موضوعية لما ذكرناه على صورتها في التثقيب ، وقد ذكرنا وجوه « كَلَّا » في كتاب ألفردناه .

فأما تقيض « كَلَّا » فقال بعض أهل العلم : إن « ذلك » و « هذا » تقيضان لـ « لا » . و « أن » كذلك تقيض لـ « كَلَّا » . قال : وقوله جل ثناؤه « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم » على معنى : ذلك كما قلنا وكما فعلنا . ومثله « هذا وإن للطاغين لشر مآب » بمعنى : هذا كما قلنا وإن الطاغين لشر مآب . قال : ويدل على هذا المعنى دخول « الواو » بعد قوله « ذلك » و « هذا » لأن ما بعد الواو يكون مذكراً وقائاً على ما قبله بها وإن كان مضمراً . وقال جل ثناؤه « وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة - ثم قال - كذلك » أي كذلك فعلناه ونفعله من التنزيل . ومثله في القرآن كثير .

(لو) و (لولا)

لو - تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، تقول « لو حضر زيد لحضرت » فامتنع هذا لامتناع هذا .

وكان (الفراء) يقول : « لو » يقوم مقام « إن » ، قال جل ذكره « ولو كره الكافرون » بمعنى : وإن كره ، ولولا أنها بمعنى « أن » لاقتضت جواباً لأن « لو » لا بد لها من جواب ظاهر أو مضمّر كقوله جل ثناؤه « ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال - وإنما وضعت مقام « أن » لأن في كل واحد منهما معنى الشرط ، كما يقال في الكلام « لا كرمك وإن جفوتني - و - لو جفوتني » و « لأعطينك وإن منعني - و - لو منعني » .

وأما «لولا» - فإنها تدل على امتناع الشيء لوجود غيره . تقول «لولا زيد لضربتك» فأنما امتنعت من ضربه لأجل زيد .
وقد يكون «لولا» بمعنى «هَلَّا» كقوله جل ثناؤه «فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا» أي «هَلَّا» . قال الشاعر :
تَعْدُونَ عَقَرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُفَنَّمَا (١)

أي «هَلَّا» .

وكذلك «لَوْما» ، كقوله جل ثناؤه «لَوْما تَأْتِينَا بِالْمَلَأِكَةِ» أي «هَلَّا تَأْتِينَا» .

وأما «لولا» الاولى فكقوله جل ثناؤه «فلولا أنه كان من المسبحين لَلَبَثَ فِي بطنه» وقوله جل وعز «فلولا كانت قرية آمَنَتْ» فلها وجهان : أحدهما أن يكون بمعنى «هَلَّا» والوجه الآخر أن يكون بمعنى «لَمْ» يقول : فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس . ومثله «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض» بمعنى لم يكن .

(لَمْ) وَ (لَمَّا)

لَمْ - تنفي الفعل المستقبل وتنقل معناه إلى الماضي . نحو «لم يقم زيد» تريد : ما قام زيد . فإن دخل عليها حرفُ جزاء لم تنقل معنى الاستقبال ، تقول «إن لَمْ تَقُمْ» ولا يحسن السكوت عليها إلا إذا كانت جواباً لمثبت كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ «قد خرج زيد» فتقول «لَمَّا» .

(١) البيت من شعر (جرير) .

و « لَمَّا » - لا تدخل إلا على مستقبل ، تقول « جيئت ولما يجيء زيدٌ بعدُ » فيكون بمعنى « لم » كقوله جل ثناؤه « بل لما يدوقوا عذاب » .
فأما « لَمَّا » التي للزمان فتكون للماضي ، تقول « قصدتُكَ لَمَّا وَرَدَ فلان » .

(لَنْ)

لَنْ - تكون جواباً للمثبت أمراً في الاستقبال ، يقول « سيقوم زيد » فتقول أنت « لن يقوم » .
وحكي عن (الخليل) أن معناها « لا أن » بمعنى « ما هذا وتنت أن يكون كذا » .

(لا)

لا - حرف نَسَقٍ يَنْفِي الفعلَ المُسْتَقْبَلَ ، نحو « لا يخرجُ زيدٌ » .
وينتهي به نحو « لا تفعل » . ويكون بمعنى « لم » إذا دخلت على ماض كقوله جل ثناؤه « فلا صدق ولا صلى » أي : لم يُصدق ولم يُصل . وقال الشاعر :

وأي خميس لأفأنا بها
وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

وأنشدني أبي :

ان تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا
وأي عبدٍ لك لا أَلَمَّا (١)

(١) كان عرب الجاهلية يقولون عند ما يطوفون بالبيت :

لاهم لهذا رابع ان تما آتمه الله وقد آتما

ان تغفر اللهم تغفر جا وأي عبد لك لا أَلَمَّا

والبيتان من نظم (أبي خراش خويلد بن مرة القردي) نسبة الى (قردد) وهو (عمرو بن

أي : أيُّ عبد لك لم يَلِمَ بالذنب .
 وكان (قطرب) يقول : إن العرب تُدخل « لا » تؤكد في الكلام
 كما يدخلون « ما » في مثل قوله جل ثناؤه « فقليلاً ما يؤمنون » و « فيما
 تقضهم » وكذلك « ما منعك ألا تسجد » أي : ما منعك أن تسجد .
 وكذلك « لا أقسم بيوم القيامة » المعنى : أقسم . وقد يجوز في « لا أقسم »
 أن يكون نفي بها كلاماً تقدّم منهم ، كأنه قال : ليس الأمر كذا ؟ ثم قال :
 أقسم . وقال (زهير) في « لا » :

مُورَثُ المَجْدِ لَا يَفْتَالُ هِمَّتُهُ

عن الرِّياسَةِ لَا عَجْزٌ وَلَا سَأَمٌ (١)

أي : لا يفتالها عجز . وقال :

يَوْمَ جَدَّودَا لَا فَضَحْتُمْ أَبَاكُمْ

وَسَأَلْتُمْ وَالْخَيْلُ تَذْتَمِي نُحُورُهَا

يريد : فضحتم أباكم . وحكى (قطرب) : « ضربتُ لازيداً » . وقال آخر :

وَقَدْ حَدَاهُنْ بِلَاغِيرِ خُرُقٍ

وقال (الهذلي) :

أَفْعَنَكَ لَا بَرْقَ كَانَ وَمِيضُهُ

غَابَ تَسَنَّمَهُ ضَرَامُ مُثَقَبٍ

معاوية بن سعيد بن هذيل (قال (السكري) في (أشعار هذيل) قال (الأصمعي) أخبرنا
 (ابن أبي طرفة الهذلي) أن (أبا خراش) أنشد هذين البيتين وهو يسمي بين (الصفا)
 و (المروة) وثم شجر يومئذ .

(١) من قصيدته التي يمدح بها (هرم بن سنان) ومطلعها :
 قف بالديار التي لم ينفها القدم . بلى وغيرها الأرواح والديم

ومن الباب قوله جل ثناؤه «لئلا يعلم أهل الكتاب» .
 قال (أبو عبيدة) في قوله جل ثناؤه «غير المغضوب عليهم ولا الضالين»
 قال: «لا» من حروف الزوائد لتتميم الكلام ، والمعنى العاؤها . قال (المعراج):
 في بئر - لا - حور سرى وما شعر
 أي : بئر حور ، أي هلكة . وقال (أبو النجم) :
 فما ألوم البیض أن - لا - تسخر
 يقول : فما ألوم من أن يسخرن . وقال (الشماخ) :
 أعائش ما لأهلك (١) - لا - أراهم
 يضعون الهيجان مع المضيع ؟
 يريد : أراهم يضعون السّوام ، و «لا» إنما هي لغو . وقال :
 ويلحيني في اللهو أن - لا - أحبه
 وللهو داعٍ دائبٌ غير غافل
 المعنى : يلحيني في اللهو أن أحبه . وفي القرآن «ما منعك أن - لا -
 تسجد» أي : أن تسجد .

قال (أحمد بن فارس) : أما قوله إن «لا» في «ولا الضالين» زائدة
 فقد قيل فيه : إن «لا» إنما دخلت هاهنا مزيلةً لتوهم متوهم أن الضالين
 هم المغضوب عليهم ، والعرب تنعت بالواو ، يقولون «سررت بالظريف
 والعاقل» فدخلت «لا» مزيلةً لهذا التوهم ومعلمة أن الضالين هم غير المغضوب
 عليهم . وأما قوله في شعر (الشماخ) : إن «لا» زائدة في قوله «مالأهلك

(١) ورد في ديوانه الذي شرحه العالم اللغوي الأديب الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي
 «مالقومك» .

لا أراهم « فغلط من (أبي عبيدة) لأنه ظن أنه أنكر عليهم فساد المال ،
وليس الأمر كما ظن ، وذلك أن « الشماخ » احتج على امرأته بصنيع أهلها
أنهم لا يضيعون المال . وذلك أن امرأة الشماخ وهي (عائشة) قالت للشماخ :
لم تشدد على نفسك في العيش حتى تلزم الابل وتعزب فيها ؟ فهوّن عليك .
فردّ على امرأته فقال : مالي أرى أهلك يتعهدون أموالهم ولا يضيعونها ، بل
يصلحونها ، وأنت تأمريني باضاعة المال ؟ فقال :

أعاش مالاً هلك لا أراهم
يضيعون الهجان مع المضيع ؟
وكيف يضيع صاحب مدقات
على اثبا جهن من الصقيع ؟
لمال المرء يصلحه فيغني
مفارقة أعف من القنوع

و « لا » تنفي الاسم المنكور ، نحو « لا رجل عندك » .

(لات)

اختلف الناس فيها : فمنهم من زعم أن « التاء » متصلة بـ « لا » وأنها
بمنزلة « ليس » على تأويل « وليس حين مناص » نصب « حين » خبر
« ليس » وقال (الأفوه) ^(١) وجعل « لات » بمعنى « حين » :

(١) هو (صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب
ابن سعد المشيرة) واقتب بالافوه لانه كان غليظ الشفتين ظاهر الاسنان . كان سيد قومه ومن
قدماء شعراء الجاهلية وكانوا يصدرون عن رأيهم والعرب تعدّه من حكمائها وهو النائل :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا
تهذا الامور بأهل الرأي ما صلحت فان تولت فبالاثرار : نقاد

والبيت الذي استشهد به ابن فارس من قصيدة لهذا الشاعر العربي وهي من جيد شعر العرب وقد

ترك الناس لنا اكتافهم
وتولوا لات لم يُغنِ الفرار
(لَدُنْ)

لَدُنْ - بمعنى « عِنْدَ » . قال الله جل ثناؤه « قد بلغت من لدنّي
عذرا » وقال « لا تخذناه من لدنّا » أي : من عندنا .
وقد تحذف النون من « لدن » قال الشاعر :
من لدّ أخيه إلى منحوره

و : (لَدَيْ)

بمعنى « لدن » قال الله جل ثناؤه « وألفيا سيدها لدى الباب » .

(لَيْسَ)

ليس - نفي لفعل مستقبل تقول « ليس يقوم » .
وزعم ناس أنها من حروف النسخ نحو « ضربت عبد الله ليس
زيداً » و « قام عبد الله ليس زيداً » و « مررت بعبد الله ليس بزيد » لا يجوز
حذف الباء لأنك لا تضمّر المرور والباء . ولو قلت « ظننت زيدا ليس عمراً
قائماً » جاز . قال (لبيد) :

نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن انشادها لما فيها من ذكر اسماعيل عليه السلام في قوله :
ريشت جرهم نبلا فرى جرهما منهن فوق وغرار
وأول التصيدة قوله :

أن تري رأسي فيه نزع وشواتي خلة فيها دوار
ومنها :

انما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار
حتم الدهر علينا أنه ظلف ما نال منا أو جيار
وترى الطير على آثارنا رأي عين ثقة أن ستمار

وإذا جوزيت فرضاً فاجزه :

إنما يحزى الفتى ليس الجمل .

والبصريون يقولون : لا يجوز العطف ؛ « ليس » ، وهي لا تشبه من حروف العطف شيئاً . ألا ترى أنه يتبدأ بها ويضمرفيها ، وروى (سيبويه) هذا البيت :

إنما يحزى الفتى غير الجمل

قالوا : وخطأ « رأيت زيدا ليس عمرا » لأنه لا يكون على تقديرهم فعل بلا فاعل ، وكان (الكسائي) يقول : أجريت « ليس » في النسق مجرى « لا » .

(لعل)

لعل - تكون استفهاماً وشكاً . وتكون بمعنى « خالق » .
وحكي عن (الكسائي) أن « لعلما » تأتي بمعنى « كأنما » وأنما . وأنكر (الفراء) هذا ، قال : لأن « أنما » معبرة عن « أن » ولا يجوز أن تسقط « ما » منها أبداً .

وأهل البصرة يقولون : « لعل » ترج . وبعضهم يقول : توقع .
وتكون « لعل » بمعنى « عسى » . وتكون بمعنى « كي » . قال الله جل ثناؤه « وأنهارا وسبلاً لعلكم تهتدون » يريد : لكي تهتدوا .

(لكن)

قال قوم : هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معان : منها « لا » وهي نفى و « الكاف » بعدها مخاطبة و « النون » بعد الكاف بمنزلة « إن » الخفيفة أو الثقيلة ، إلا أن الهمزة حذفت منها استثقالا لاجتماع ثلاثة معان

في كلمة واحدة ، فلا تنفي خبراً متقدماً وإن ثبت خبراً متأخراً ، ولذلك لا تكاد تجيء إلا بعد نفي وجحد ، مثل قوله جل ثناؤه « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . ومما يدل على أن النون في « لكن » بمنزلة « إن » خفيفة أو ثقيلة أنك إذا ثقأت النون نصبت بها وإذا خففتها رفعت بها .

(منْ) و (منذْ)

هما ابتداء غاية في زمان . نحو « منذ اليوم » و « منذ الساعة » .

(ما)

أصل « ما » أنها تكون لغير الناس . تقول « ما مرَّ بك من الأبل ؟ » . فأما قوله جل ثناؤه « وما خلق الذكر والأنثى » فقال (أبو عبيدة) : معناها « ومن خلقت الذكر والأنثى » . وكذلك « والسماء وما بناها » أي « ومن بناها » وكذلك « ونفس وما سواها » . قال : وأهل مكة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد « سبحان ما سبحت له » وبعضهم يقرأ « وما خلق الذكر والأنثى » أي : وخالقه الذكر والأنثى .

و « ما » تكون صلة ، كقوله جل ثناؤه « قليلاً ما تذكرون » المعنى : قليلاً تذكرون . ولو كانت اسماً لارتفع فقلت « قليلٌ ما تذكرون » أي : قليلٌ تذكركم .

و « ما » تكون للتفخيم ، كقوله جل ثناؤه « الحاقة ما الحاقة » . ومنه :

بَانتَ لِحِجْرٍ نَّابَا غَفَارَهُ

يا جارتا ما أنت جارة

وذكر بعضهم أن « ما » هذه هي التي تذكر في التعجب إذا قلنا

« ما أحسن زيدا » .

وقد تكون « ما » مُضمرةً ، كقوله جل ثناؤه « وإذا رأيتَ ثمَّ »
أراد: ما ثمَّ . وكما قال « هذا فراقُ بني وبينك » أي : ما بيني . و « لقد
تقطعَ بينكم » أي : ما بينكم . فإذا قلت « بينكم » فمعناه : وصلكم .
وتكون للنفي ، نحو « ما فعلت » .

وتكون للاستفهام ، نحو « ما عندك ؟ » . وزعم ناس في قولهم « قبلَ
غيرٍ وما جرى » أن « ما » للنفي . وأنشدوا قول (الشماخ) :

أعدو القمصى قبلَ غيرٍ وما جرى

ولم تذرِ ما خبري ، ولم أدرِ مالها ^(١)

يقول : نفرت هذه المرأة مني مثل ما نفرت أتان من غير من قبل أن
يلوها ويعدو إليها . وما جرى ، أي : لم يجر إليها .

(من)

يُسميها أهل العربية « ابتداء غاية » . وتكون للجنس ، نحو « خاتمٌ

من حديد » .

وتكون للتبويض ، نحو « أكلت من الرغيف » .

وتكون رفعا للجنس نحو « ما جاءني من رجل » .

وتكون صلةً ، نحو قوله جل ثناؤه « من خيرٍ من ربكم » و « نكفّر

(١) قال الشماخ قد تزوج امرأة من (سليم) فدعت له ضربها وكسر يدما . فكاه فومها
إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فذكر ما ادعوا عليه ، وأمر عثمان كثير من الصلوات أن يستحظنه على
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل . فقال الشماخ في ذلك القصيدة التي منها هذا البيت :
ويروي « القبي » بالياء و « القبي » بها وبالأضاد و « ما بالي » بدل « ما خبري » . ومملها :
ألا أصبحت عرسي من البيت جامحا على غير شيء ، أي أمر بدالها ؟

عنكم من سيئاتكم .

وتكون تعجباً ، نحو « أنت من رجل » و « حسبك من رجل » .
وتكون بمعنى « على » ، قال الله جلّ ذكره « ونصرناه من القوم - » .
وكان (أبو عبيدة) يقول في قوله جلّ وعز « من يعمل من الصالحات » :
ان « من » صلة . قال (أبو ذؤيب) :

جَزَيْتَكَ ضِعْفَ الْوُدِّ لَمَّا أَرَدْتَهُ

وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي

وقال غيره : لا تزد من أمر واجب ، يقال « ما عندي من شيء » و « ما عنده من خير » و « هل عندك من طعام ؟ » . فإذا كان واجباً لم يحسن شيء من هذا : لا تقول « عندك من خير » .

(من)

اسم لمن يعقل . تقول « لقيت من لقيت » و « من مرّ بك ؟ » في الاستفهام . وهو يكون في الواحد والاثنين والجميع . ويخرج الفعل منه على لفظ الواحد والمعنى تثنية أو جمع . قال :

تعال ، فإن عاهدتني لا تخونني

نكن مثل من ياذيبُ يصطحبان (١)

وكذلك يكون في المؤنث . قال الله جلّ ذكره « ومن يقنت منكن » .

(١) البيت من قصيدة خاطب (الفرزدق) بها ذئبا وقد أبصره ينهش شاة له مسلوخة فقطع الفرزدق رجل الشاة ورمى بها إليه فأخذها وتنحى ، ثم عاد ، فقطع الفرزدق اليد ورمى بها إليه . وروى الشطر الأول من هذا البيت « تمش » ، فإن وافقتني لا تخونني . أما أول القصيدة فنقوله :
وأطلس عبال وما كان صاحباً دعوت بناري موهناً فأثاني
فلما دنا قلت : ادن دونك اني وإياك في زادي لمشتركان
فبت أسوي الزاد بيني وبينه على ضوء نار مرة ودخان

و « مَنْ » تُضَمَر . قال الله جل ثناؤه « وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ » المعنى : إِلَّا مَنْ . ومثله « وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ » أي : إِلَّا مَنْ .

(م) و (مِ)

مَ - زجرٌ وإسكاتٌ وأمرٌ بالتوقّف عما يريد المريد ، كأنّ قائلاً يريد الكلام بشيء أو فاعلاً يريد فعلاً فيقال لهما « مَ » أي : قف ولا تفعل وهذا مشهور في كلام العرب . قال :

مَ مالي الليلة ، مَ مَالِيهِ

يَراعي ذَوْدِي وَأَجْمَالِيهِ

ويكون هذا على أنّ أمرًا تقدّم ، فردّ عليه القائل فقال « مَ » ثم مرّ في كلام نفسه . و « مِمَّا » - بمنزلة « ما » في الشرط . قال الله جل ثناؤه « وقالوا : مِمَّا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ » ويقال : إنَّها « ما » أدخلت عليها « ما » قالوا : تكون أحدهما كالصلة كقوله جل ثناؤه « أَيَّامًا تَدْعُو » فغير اللفظ .

(مَتَى)

مَتَى - سؤالٌ عن وقت . تقول « متى يخرج زيد ؟ » .
و « متى » يكون شرطاً يقتضي التكرار . تقول « متى كلمت زيداً فعلى كذا » سمعت علياً يقول : سمعت ثعلباً يقول ذلك .

فأما « متى » التي في لغة (هُذَيْل) فليست من هذا ، لأنهم يقولون « وضعتُه متى كُمِّي » يريدون : الوسط وينشدون :

شَرِبْنِ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَصَعَّدَتْ

مَتَى لَجِبُ خَضِرٍ لَهْنٍ نَتِيجُ

قالوا : معناه من اجج . وقالوا : بمعنى وسط .

(نَعَمْ) و (نَعَمْ)

« نَعَمْ » .. عدة تصديق . و « نَعَمْ » - كلمة تنبيء عن المحاسن كلها .

(هَلَمْ)

قالوا : معناها « تَعَالَى » . وكان (الفراء) يقول : أصلها « هل » ضم

إليها « ام » وتأويل ذلك أن يقال « هَلْ لَكَ فِي كَذَا ، أَمْ » أي : اقصدو له .

وكان (الفراء) يقول : معنى « اللهم » يا الله أمنا بخير . فكثرت في

الكلام واختلطت وتركزت الهمزة .

(هَا)

قالوا : معناها « خذ » . تناول « تقول » هَا يارجل . ويؤمر بها ولا

يُنهي بها . وفي كتاب الله جل ثناؤه « هَاؤُمُ اقْرَؤْا كِتَابِيَهْ » .

(هَاتِ)

بمعنى « أَعْطِ » على لفظ « رَام » و « عَاطِ » . قال الله جل ثناؤه « قل

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ » قال (الفراء) : ولم يُسمع في الاثنين ، إنما يقال للواحد

والجميع . ويقولون : أنا اهاتيك ، وليس من كلامهم هَاتَيْتُ ، ولا يُنهي

بها . وبلغني أن رجلاً قل لآخر : هَاتِ . فقال : لا اهاتيك ولا أواتيك .

(وَيَكُنَّ)

اختلف أهل العلم فيها . فقال (أبو زيد) : معنى « وَيَكُنَّ » أَلَمْ تَرَ . وأنشد :

ألا ويأك السرّة لاتدوم

ولا يبقى على الدهر النعيم

وأنشد (أبو عبيدة) :

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَانِي قَلَّ مَالِي . قَدْ جِئْتَانِي بِنُكْرٍ
وَيُمْكِنُ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْسَبُ سَبَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرَ يَعْشُ عَيْشَ ضَرٍّ
وحدثني علي بن ابراهيم عن محمد بن فرج عن سلمة عن (الفراء) قال :
هو في كلام العرب تقرير كما يقول القائل « أما ترى إلى صنع الله » .
وحكى (الفراء) عن شيخ من البصريين قال : سمعت أعرابية تقول
لزوجها : أين ابنك ؟ فقال زوجها : ويكأنه وراء الباب . معناه : أما تراه
وراء الباب ؟

قال (الفراء) ويذهب بها بعض النحويين إلى أنهما كلمتان ، يريد
« وَيَاكَ » إنما أراد « وَيْلَكَ » حذف اللام ويجعل « ان » مفتوحة
بفعل مضمر كأنه قال : ويملك اعلم أن . وقال : إنما حذفوا اللام من « وَيْلَكَ »
حتى صارت « وَيَاكَ » ، فقد تقول العرب ذلك لكثيرتها في الكلام
واستعمال العرب إياها . قال (عنتره) :

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها

قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وقال آخرون : ويك « وَيْ » منفصلة من « كَان » كقولك
للرجل : أما ترى بين يديك . فقال « وَيْ » ثم استأنف « كَانُ الله »
و « كَان » في معنى الظن والعلم . وفيها معنى تعجب . قال : وهذا
وجه مستقيم ، ولم تكتبها العرب منفصلة . ويجوز أن يكون كثيرها
الكلام فوصلت بما ليس منه ، كما اجتمعت العرب على كتاب « يابنوم »
فوصلوها لكثيرتها .

(أَوْلَى)

سمعت (أبا القاسم علي بن أبي خالد) يقول سمعت (ثعلباً) يقول
« أولى له » أي : دانه الهلاك . وأصحابنا يقولون « أَوْلَى » تهذؤ ووعيد .
وهو قريب من ذلك . وأنشدوا :

أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الثَّقَفَا
أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَهْ

وقال قوم — وأنا أبرأ من عهده — : إن « أَوْلَى » مأخوذ من
« الْوَيْل » . وكان للويل فعل وتصريف درج ولم يبق منه إلا « الويل »
قط . قال (جرير) :

يَعْمَلْنَ بِالْأَكْبَادِ وَيَلَا وَيَأْتِلَا

ففقوله « أَوْلَى » : « أَفْعَلُ » من الويل ، إلا أن فيه القلب .

وقال قوم « أَوْلَى » : دانه الهلاك فليحذر . قال :

أولى لكم ثم أولى أن تصيبكم
مِنِّي نَوَاقِرُ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ

(يَا)

تكون للنداء ، نحو : « يا زيد » . وللدعاء ، نحو « يا لله » . وتكون
للتعجب ، كقوله « ياله فارساً » . وفي التعجب من المذموم : « ياله جاهلاً »
قال في المدح أنشد فيه (القطان) عن (ثعلب) :

يا فارساً ما أبو أَوْفَى إِذَا شُغِلَتْ

كلتا اليدين كروراً غير فرارٍ

وفي الذمّ قول الآخر :

أبو حازم جارّها وابنُ برثنِ

فياللك جاري ذلّة وصغار

و « يا » للتهلّف والتأسف نحو قوله جل ثناؤه « يا حسرةً على العباد »

ويكون تنبيها كقوله :

يا شاعراً لا شاعرَ اليوم مثله

جرير ولـكن في كليب تواضع

وعلى هذا يتأوّل قوله جلّ ثناؤه « ألا يسجدوا » وقد ذكرناه .

و « يا » تكون للتلذّذ نحو قوله :

يا برّدها على الفؤاد لو يقف



باب معاني الكلام

وهي عند بعض أهل العلم عشرة : خبرٌ . واستخبار . وامر . ونهي .
ودُعاء . وطلب . وعرض . وتخصيـض . وتـمـن . وتعجـب .

فهذا : (بابُ الخبر)

أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهُ إِعْلَامٌ ، تقول :
« أَخْبَرْتُهُ . أَخْبِرُهُ » والخبر هو العلم .

وأهل النظر يقولون : الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه . وهو
إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم . نحو « قام زيد »
و « يقوم زيد » و « قائم زيد » . ثم يكون واجبا وجائزا وممتنعا . فالواجب
قولنا « النار مُحْرِقَةٌ » . والجائز قولنا « لقي زيد عمراً » . والممتنع قولنا
« حملت الجبل » .

والمعاني التي يحتملها لفظ « الخبر » كثيرة : فمنها (التعجب) نحو « ما
أحسن زيدا » . و (التمني) نحو « ودِدْتُكَ عندنا » . و (الإنكار) : « ماله
عليَّ حق » . و (النفي) : « لا بأس عليك » . و (الأمر) نحو قوله جلّ
ثناؤه « والمطلقات يتربصن » . و (النهي) نحو قوله « لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » .
و (التعظيم) نحو « سبحان الله » . و (الدُعاء) نحو « عفا الله عنه » .
و (الوعد) نحو قوله جلّ وعز « سنريهم آياتنا في الآفاق » . و (الوعيد)
نحو قوله « وسيعلم الذين ظلموا » . و (الإنكار والتبكيـت) نحو قوله جلّ
ثناؤه « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » .

وربما كان اللفظُ خبراً والمعنى شرطاً وجزاء ، نحو قوله « إِنَّا كَاشِفُو

العذاب قليلاً إنكم عائدون» فظاهره خبر، والمعنى: إنا إن تكشف عنكم العذاب تعودوا. ومثله «الطلاق مرتان» المعنى: من طلق امرأته مرتين فليمسكها بعدهما بمعروف أو يسرحها بإحسان.

والذي ذكرناه في قوله جل ثناؤه «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» فهو تبكيت وقد جاء في الشعر مثله. قال شاعر يهجو جريراً:

أَبْلَغُ جَرِيرًا وَأَبْلَغُ مَنْ يُبْلَغُهُ
أَنِّي الْأَغْرُ وَأَنِّي زَهْرَةُ الْيَمَنِ

فقال (جرير) مبكّئاً له:

أَلَمْ تَكُنْ فِي وُسُومٍ قَدْ وَسَمَتْ بِهَا
مَنْ حَانَ مَوْعِظَةُ يَا زَهْرَةَ الْيَمَنِ؛

ويكون اللفظ خبراً، والمعنى دعاء وطلب وقد مرّ في الجملة. ونحوه «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» معناه: فأعنا على عبادتك. ويقول القائل «استغفر الله» والمعنى: اغفر. قال الله جلّ ثناؤه «لا تثرِبَ عليكم اليومَ يغفرُ الله لكم» ويقول الشاعر:

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُجْصِيَهُ
رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

(باب الاستخبار)

الاستخبار - طلب خبر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام. وذكرنا أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق. قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجيب بشيء، فربّما فهمته وربّما

لم تفهمه ، فاذا سألت ثانيةً فأنت مستفهم تقول : أفهمني ماقلته لي . قالوا :
والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم .
وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقاً لباطنه كسؤالك عما لا
تعلمه ، فتقول « ما عندك ؟ » و « من رأيت ؟ » .

ويكون استخباراً ، في اللفظ ، والمعنى تعجب . نحو « ما أصحاب
اليمين » . وقد يسمى هذا تفخيماً . ومنه قوله « ماذا يستعجل منه الجرمون »
تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه .

ويكون استخباراً والمعنى توبيخ . نحو « أذهبتم طياتكم » . ومنه قوله :
أغررتني وزعت أنـك لا بن بالضيف تأمر ؟
ويكون اللفظ استخباراً ، والمعنى تفجع . نحو « ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة » .

ويكون استخباراً ، والمعنى تبيكت نحو « أنت قلت للناس » تبيكت
لنصارى فيما ادعوه .

ويكون استخباراً ، والمعنى تقرير . نحو قوله جل ثناؤه « ألسن بربكم » .
ويكون استخباراً ، والمعنى تسوية . نحو « سواء عليهم أأنذرتهم أم
لم تنذرهم » .

ويكون استخباراً ، والمعنى استرشاد . نحو « أتجعل فيهما من يُفسد فيها » .

ويكون استخباراً ، والمعنى انكار نحو « أتقولون على الله ما لا تعلمون » .

ومنه قول القائل :

وتقولُ عَزَّةٌ قد مللت . فقل لها :

أيمَلُ شيءٍ نفسه فأملها ؟ ..

ويكون اللفظ استخبارا ، والمعنى عَرَض . كقولك « ألا تنزل » .
 ويكون استخبارا ، والمعنى تحضيض . نحو قولك « هَلَّا خيراً من ذلك » . و:
 بني ضَوْطَرَى لولا الكَمِيَّ المَقْنَعَا
 ويكون استخبارا والمراد به الافهام . نحو قوله جل ثناؤه « وما تلك
 يمينك » قد علم الله أن لها أمرا قد خفي على موسى عليه السلام ، فأعلمه من
 حالها ما لم يعلمه .

ويكون استخبارا ، والمعنى تكثير . نحو قوله جل ثناؤه « وكم من قرية
 أهلكناها » و « كَأَيِّنْ من قرية » . ومثله :

كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ صرَتْ أَتْبَعُهُ
 ولو صحا القلب عنها كان لي تبعا

وقال آخر :

وكم من غائط من دون سامي
 قليل الأُنس ليس به كَتِيعُ

ويكون استخبارا ، والمعنى نفي . قال الله جل ثناؤه « فمن يَهْدِي مَنْ
 أَضَلَّ اللَّهُ » فظاهره استخبار والمعنى : لا هادي لمن أضلَّ الله . والدليل على
 ذلك قوله في العطف عليه « وما لهم من ناصرين » . ومما جاء في الشعر منه
 قولُ (الفرزدق) :

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا :
 أَمْ مِنْ إِلَى سَلَمِي طَيْيَّةٌ تَجْعَلُ ؟

ومنه قوله جل ثناؤه « أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » أي لست بمنقذهم .
 وقد يكون اللفظ استخبارا ، والمعنى إخبار وتحقيق . نحو قوله جل

ثناؤه « هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر » قالوا معناه : قد أتى .
 ويكون بلفظ الاستخبار ، والمعنى تعجب . كقوله جل ثناؤه « عمَّ
 يتساءلون » و « لأيّ يومٍ أُجِبت » ومن دقيق باب الاستفهام أن يوضع
 في الشرط وهو في الحقيقة للجزاء . وذلك كقول القائل « إن أكرمك
 شكرني » المعنى : أتكرمني إن أكرمك ؛ قال الله جل ثناؤه « أفانٍ متَّ
 فهم الخالدون ؟ » تأويل الكلام : أفهم الخالدون إن مت ؛ ومثله « أفانٍ مات
 أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ » تأويله : أفتمقلبون على أعقابكم إن مات ؛
 وربما حذف العرب ألف الاستفهام . من ذلك قول الهذلي :

رفوني وقالوا : يا خويلد لم ترع
 فقلت - وأنكرت الوجود - هم هم ؛
 أراد : أم ؛ وقال آخر :

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً
 شعيت بن سهم ، أم شعيت بن منقر ؛
 وقال آخر :

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً
 بسبع رمين الجمر ، أم بثمان ؛
 وعلى هذا حمل بعض المفسرين قوله جل ثناؤه في قصة إبراهيم عليه
 السلام « هذا ربي » أي : أهذا ربي ؟

(باب الأمر)

الأمر عند العرب - ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً . ويكون

بلفظ « افْعَلْ » و « لِيَفْعَلْ » نحو « أَقِيمُوا الصَّلَاةَ » ونحو قوله « وَلِيَحْكَمْ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ » .

فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فإن يكون أمراً ، والمعنى مسئلة .
نحو قولك « اللهم اغفر لي » . قال :

مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ

اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجَرَ (١)

ويكون أمراً ، والمعنى وعيد . نحو قوله جل ثناؤه « فتمتعوا فسوف تعلمون » . ومثله قوله جل ثناؤه « اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ » . ومنه قول (عبيد) :

حَتَّى سَقَيْنَاكُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ

فِيهَا الْمُشْمَلُ نَاقِمًا فَلْيَشْرَبُوا

ومن الوعيد قوله :

ارْزُؤُوا (٢) عَلَيَّ وَأَرْضُوا بِي رِحَالَكُمْ

وَاسْتَسْمِعُوا يَا بَنِي مَيْثَاءٍ إِنْ شَادِي

مَا ظَنُّكُمْ بَيْنِي مَيْثَاءٍ إِنْ رَقَدُوا

لَيْلًا وَشَدَّ عَلَيْهِمْ حَيَّةُ الْوَادِي ؛

وقد جاء في الحديث « إِذَا لَمْ تَسْتَحْجِنِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أي : إن الله

جل ثناؤه مجازيك قال الشاعر :

(١) فجر : مال عن الصدق . وحكاية الشعر أن أعرابيا أتى عمر بن الخطاب فشكا إليه نقب أبله ودبرها واستحمله ، فلم يحمله عمر وأقسم له أنه ليس فيها ما يزعم الأعرابي ، وأول قول الراجز : أقسم بالله أبو حفص عمر

(٢) من « الرواية » .

إذا لم تَحْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي
ولم تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
ويكون اللفظ أمراً ، والمعنى تسليم . نحو قوله جل ثناؤه « فاقض ما
أنت قاض » .

ويكون أمراً ، والمعنى تكوين . نحو قوله جل ثناؤه « كونوا قردةً
خاسئين » . وهذا لا يجوز أن يكون إلا من الله جل ثناؤه .
ويكون أمراً ، وهو ندب . نحو قوله ثناؤه « فانتشروا في الأرض » .
ومثله :

فقلتُ لراعِيها انتشِروا وتَبَقَّلْ
ويكون أمراً ، وهو تعجيز . نحو قوله جل ثناؤه « فانتفذوا ، لا تنفذون
إلا بساطان » . ومثله :

خَلَّ الطريقَ لِمَن يَبْنِي المَنَارَ بها
وَابْرُزْ بِبِرْزَةٍ حَيْثُ اضْطَرَّكَ القَدَرُ
ويكون أمراً ، وهو تعجب . نحو قوله جل ثناؤه « أسمع بهم » . قال :
أَحْسِنُ بها خُلَّةً لو أَنهَا صدقتُ
مَوْعودَهَا ، ولو أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولٌ (١)

ويكون أمراً ، وهو تمنٍّ . تقول لِشَخْصٍ تَراه « كُنْ فلاناً » .
ويكون أمراً ، وهو واجب . في أمر الله جل ثناؤه « أقيموا الصلاة » .
ويكون اللفظ أمراً ، والمعنى تلهيفٌ وتحسير . كقول القائل « مت

(١) البيت لكعب بن أبي زهير رضي الله عنه . من تصديقه المشهورة التي يدح بها النبي صلى
الله عليه وسلم ويروى « أكرم بها » مكان « أحسن بها » وأول القصيدة قوله :
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

بَغَيْظِكَ » و « مُتَّ بِدَائِكَ » وفي كتاب الله جل ثناؤه « قل موتوا بَغَيْظِكُمْ »
ثم قال (جرير) :

موتوا من الغَيْظِ غَمًّا في جَزِيرِ تَكَم
لَنْ تَقْطَعُوا بطنَ وادٍ دُونَهُ مُضَرُّ

ويكون أمرا ، والمعنى خبر . كقوله جل ثناؤه « فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ،
وليَبْكُوا كَثِيرًا » المعنى : انهم سيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً .

فان قال قائل : فما حال الامر في وجوبه وغير وجوبه ؟ قيل له : أما
العرب فليس يُحْفَظُ عنهم في ذلك شيء ، غير أن العادة جارية بأن من أمر
خادمه بسقيه ماء فلم يفعل ، أن خادمه عاص . وأن الأمر معصِي . وكذلك
اذا نهى خادمه عن الكلام فتكلم ، لا فرق عندهم في ذلك بين الأمر والنهي .
فأما « النهي » — فقولك « لا تَفْعَلْ » . ومنه قوله :

لا تَفْكِحِي — إن فَرَّقَ الدهر بيننا —

أَغَمَّ القفا والوجه ليس بأَنْزَعاً^(١)

وأما « الدعاء ، والطلب » — فيكون لمن فوق الداعي والطالب . نحو
« اللهم اغفر » . ويقال للخليفة « انظر في أمري » . قال الشاعر :

إِلَيْكَ أَشْكُو ، فَتَقَبَّلْ مَلَقِي

وَاغْفِرْ خَطَايَايَ وَثَمَرِ وَرَقِي

و « العَرْض . والتَحْضِيض » — متقاربان . إلا أن العَرْضَ أَرْفَقُ .
والتَحْضِيضُ أَعَزَمُ . وذلك قولك في العَرْضِ « أَلَا تَنْزِلُ . أَلَا تَأْكُلُ » .

(١) من فصيحة (هذبة بن خشرم) ومظالمها :

أَقْلِي عَلَيَّ اللّٰوْمَ يَا أُمُّ بَوْزَعَا وَلَا تُجْزِعِي مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَمَا

والاغراء والحثُّ قواك « أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَطِيعَنِي ». وفي كتاب الله جلَّ ثناؤه « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ». والحثُّ والتحضيض كالأمر . ومنه قوله عز وجل « أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، أَلَا يَتَّقُونَ » فهذا من الحث والتحضيض ، معناه : اتَّهِمُهم ومُرهم بالالتقاء .

و « لولا » يكون لهذا المعنى ، وقد مضى ذكرها . وربما كان تأويلها النفي ، كقوله جل ثناؤه « لولا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ » المعنى : اتَّخَذُوا من دونه آلهة لا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ .

و « التمني » - قولك « وَدِدْتُكَ عِنْدَنَا » وقوله :

وَدِدْتُ - وما تُفْنِي الْوَدَادَةَ - أَنِّي

بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ .

قال قوم : هو من الاخبار ، لأن معناه « ليس » اذا قال القائل « لَيْتَ لِي مَالاً » فعناه : ليس لي مالٌ . وآخرون يقولون : لو كان خبراً لجاز تصديق قائله أو تكذيبه ، وأهل العربية يختلفون فيه على هذين الوجهين .

أما « التعجب » - فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف . كقولك « مَا أَحْسَنَ زَيْدًا » . وفي كتاب الله جل ثناؤه قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » وكذلك قوله جل ثناؤه « فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ » وقد قيل : إن معنى هذا « مَا الَّذِي صَبَّرَهُمْ » . وآخرون يقولون « مَا أَصْبَرَهُمْ : مَا أَجْرَاهُمْ » . قال : وسمعت أعرابياً يقول لآخر : مَا أَصْبَرَكَ عَلَى اللَّهِ ، أَيِ مَا أَجْرَاكَ عَلَيْهِ .

باب الخطاب

يأتي بلفظ المذكر، أو لجماعة الذكور

إذا جاء الخطاب بلفظ مذكر ولم يُنصّ فيه على ذكر الرجال فإنّ ذلك الخطاب شامل للذكور والإناث . كقوله جلّ ثناؤه « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . كذا تعرّف العرب هذا . فإذا قال القائل « هذا لقوم من بني فلان » فقد ذهب أكثر أهل اللغة إلى أن « القوم » للرجال دون النساء ، فسمت عليّ بن إبراهيم يقول ، سمعت ثعلباً يقول : يقال « امرؤ . وأمرآن . وقوم » و « امرأة . وامرأتان . ونسوة » . وسمت عليّاً يقول ، سمعت المفسر يقول ، سمعت عبد الله بن مسلم يقول : « القوم » للرجال دون النساء ، ثم يخالطهم النساء فيقال « هؤلاء القوم قوم فلان » ولا يجوز للنساء ليس فيهن رجل : هؤلاء قوم فلان ، ولكن يقال : هؤلاء من قوم فلان ، لأن قومه رجال والنساء منهم . قال : وإنما سمي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور وعند الشدائد يقال : قائم وقوم ، كما يقال : زائر وزور . وصائم وصوم . ونائم ونوم . ومثله « النفر » لأنهم ينفرون مع الرجل إذا استنفرهم . قال (امرؤ القيس) :
فهم لا تنمي رمية ماله لا عدّ من نفره (١)

ومما يدلّ على أن القوم للرجال قول (زهير) :

(١) يقول : إذا رمى هذا الرامي الرمية لم تجز موضعها حتى تموت . ثم دعا عليه بالموت ، ولكن على سبيل التعجب لأعلى سبيل الحقيقة . أما مطلع القصيدة فقوله :
رب رام من بني ثعلم متلج كفيه في قتره

وما أدري ، وسوف إخال أدري ،
أقوم آل حصن أم نساء (١)

باب أقل العدد الجمع

الرُّتَبُ في الأعداد ثلاث : رتبة الواحد . ورتبة الاثنين . ورتبة الجماعة ، فهي للتوحيد والتثنية والجمع ، لا يراحم في الحقيقة بعضها بعضاً . فان عُبِّرَ عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز والتحقيق ما ذكرناه . فاذا قال القائل « عندي دراهم . أو أفراس . أو رجال » فذلك كله عبارة عن أكثر من اثنين . وإلى ذلك ذهب (عبد الله بن عباس) — ومكانه من العلم باللغة مكانه — في قوله جل ثناؤه « فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ » إلى أن الحَجَبَ في هذا الموضع عن الثلث إلى السدس لا يكون إلا بأكثر من اثنين ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « الاثنان فما فوقهما جماعة » فانما أراد أنهما إذا صِلَا فقد حازا فضل الجماعة ، لا أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمى الشخصين جماعة . وقول القائل : إن أقل ذلك أن يُجْمَعَ واحد إلى واحد فهذا مجاز ، وإنما الحقيقة أن يُقال : كان واحد فثنى ثم جمع . ولو كان الأمر على ما قالوه لما كان للتثنية ولا للاثنين معنى بوجه ، ونحن نقول « خرجا . ويخرجان » فلو كان الاثنان جمعاً لما كان لقولنا « يخرجان » معنى ، وهذا لا يقوله أحد .

(١) من قصيدته التي مطلعها :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالخساء

باب الخطاب

الذي يقع به الإِفهام من القائل ، والفهم من السامع
 يقع ذلك بين المتخاطبتين من وجهين : أحدهما الإِعراب ، والآخر
 التصريف . هذا فيمن يعرف الوجهين ، فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل
 إِفهامُ السامع بوجوه يطول ذكرها من اشارة وغير ذلك . وإنما المَعْوَلُ على
 ما يقع في كتاب الله جل ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم أو غيرها من الكلام المشترك في اللفظ .

فأما الإِعراب - فبه تُمَيِّزُ المعاني ويُوقَفُ على أغراض المتكلمين . وذلك
 أن قائلًا لو قال « ما أحسن زيد » غيرَ معرب « أو « ضربَ عمرُ زيد »
 غير معرب لم يوقَفَ على مراده . فإذا قال « ما أحسن زيداً » أو « ما أحسنُ
 زيد » أو « ما أحسنَ زيدٌ » أبانَ بالإِعراب عن المعنى الذي أراده .

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها : فهم يفرقون بالحركات وغيرها
 بين المعاني . يقولون « مِفْتَح » للآلة التي يفتح بها . و « مَفْتَح » لموضع
 الفتح و « مَقْصَص » لآلة القص . و « مَقْصَص » للموضع الذي يكون فيه القص
 و « مَحْلَب » للقدح يُحلب فيه و « مَحَاب » للمكان يُحتلب فيه ذوات اللبث
 ويقولون « امرأة طاهر » من الحيض لأن الرجل لا يشرَ كما في الحيض .
 و « طاهرة » من العيوب لأن الرجل يشرَ كما في هذه الطهارة . وكذلك
 « قاعد » من الحبل و « قاعدة » من القعود . ثم يقولون « هذا غلاماً أحسن
 منه رجلاً » يريدون الحالَ في شخص واحد . ويقولون « هذا غلام أحسنُ
 منه رجل » فهما إذاً شخصان . وتقول « كم رجلاً رأيتَ ؟ » في الاستخبار .

و « كم رجلٍ رأيتَ » في الخبر يراد به التكثير . و « هُنَّ حَوَاجٌ يَيْتِ اللهُ » اذا كنَّ قد حَجَّجْنَ . و « حَوَاجٌ يَيْتِ اللهُ » اذا أَرْدُنَ الْحَجَّ . ومن ذلك « جاء الشتاء والحطَبُ » لم يُرِدْ أَنَّ الحطَبَ جاء ، انما أراد الحاجة اليه ، فان أراد محيئهما قال « والحطَبُ » . وهذا دليل يدل على ما وراءه .

وأما التصريف - فانَّ من فاته علمه فاته المُعْظَم ، لأننا نقول « وَجَدَ » وهي كلمة مبهمه فاذا صرفنا أفصحنا فقلنا في المال « وَجَدًا » وفي الضالة « وَجَدَانًا » وفي الغضب « مَوْجِدَةً » وفي الحزن « وَجْدًا » . وقال الله جل ثنائه « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » وقال « وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » كيف تحول المعنى بالتصريف من العدل الى الجور . ويكون ذلك في الاسماء والأفعال فيقولون للطريقة في الرمل « خِبَّة » وللأرض المخصبة والمجدبة « خِبَّة » . وتقول في الأرض السهلة الخوَّارة « خَارَتْ » ، تخور ، خَوَّرًا ، وخَوَّرًا » وفي الانسان اذا ضعف « خَارَ ، خَوَّرًا » وفي الثور « خَارَ ، خَوَّرًا » . ويقولون للمرأة الضخمة « ضِنَّاك » وللزُّكَّة « ضِنَّاك » ويقولون للابل التي ذهبت ألبانها « شَوَّل » وهي جمع « شائلة » . والتي شالت أذنانها للقمح « شَوَّل » وهي جمع « شائل » . ويقولون لبقية الماء في الحوض « شَوَّل » ويقولون للعاشق « عميد » وللبعير المتأكل السنَّام « عميد » الى غير ذلك من الكلام الذي لا يُحصى .

باب معاني الفاظ العبارات

التي يعبر بها عن الاشياء

ومرجعها الى ثلاثة وهي : المعنى ، والتفسير ، والتأويل . وهي وان

اختلفت فان المقاصد بها متقاربة .

فاما المعنى — فهو القصد والمراد . يقال « عَنَيْتُ بالكلام كذا » أي :
قَصَدْتُ وَعَمَدْتُ . أنشدني القطان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي) :

مثلُ البرامِ غدا في أَصْدَقِ خَاقٍ
لم يَسْتَمَنَّ وحوامي الموتِ تَغْشَاهُ
فَرَجَّتْ عَنْهُ بِصِرْعَيْنَا لَا رَمْلَةَ
وبائس جاء معناه كمعناه

يقول في رجل قُدِّمَ لِيُقْتَلَ ، وأنه فرج عنه بِصِرْعَيْنِ ، أي فِرْقَيْنِ من
غَمٍّ : قد كنتُ أَعِدُّهَا لِرَمْلَةٍ تَأْتِينِي تَسْأَلُنِي أَوْ لِبَائِسٍ مِثْلَ هَذَا الْمَقْدَمِ
ليقتل معناه كمعناه ، أي إن مقصدهما في السؤال والبؤس مقصد واحد . ويجوز
أن يكون المعنى « الحال » أي حالهما واحدة .

وقال قوم اشتقاق « المعنى » من « الاظهار » يقال « عَنَتِ الْقَرْبَةُ » اذا
لم تحفظ الماء بل أظهرته ، و « عُرْوَانُ الْكِتَابِ » من هذا . وقال آخرون :
« المعنى » مشتق من قول العرب « عَنَتِ الْأَرْضُ بَنِيَاتٍ حَسَنَ » إذا أَنْبَتَتْ
نباتاً حَسَنًا . قال الفراء « لَمْ تَعْنِ بِلَادُنَا بِشَيْءٍ » إذا لَمْ تُنْبِتْ وَحِكِي (ابن السَّكَيْتِ)
« لَمْ تَعْنِ » من « عَنَت . تعني » فان كان هذا فان المراد بالمعنى الشيء الذي
يفيده اللفظ كما يقال « لَمْ تَعْنِ هَذِهِ الْأَرْضُ » أي : لَمْ تُهْدِ .

وأما « التفسير » — فانه « التفصيل » كذا قال (ابن عباس) في قوله
جل ثناؤه « وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا » أي : تفصيلا .

وأما اشتقاقه فمن « الفسر » . أخبرني القطان عن المَعْدَانِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ

معروف عن الليث عن (الخليل) قال : الفسر البيان ، واشتقاقه من فسر الطيب الماء إذا نظر إليه ، ويقال لذلك « التفسير » أيضاً .

وأما « التأويل » - فأخِرُ الأمر وعاقبته . يقال « إلى أي شيء مآل هذا الأمر ؟ » أي مصيره وآخره وعقباه . وكذا قالوا في قوله جل ثناؤه « وما يعلم تأويله إلا الله » أي : لا يعلم الآجال والمدد إلا الله جل ثناؤه ، لأن القوم قالوا في مدّة هذه الملة ما قالوه ، فأعلموا أن مآل الأمر وعقباه لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه .

واشتقاق الكلمة من « المآل » وهو العاقبة والمصير ، قال (عبدة بن الطيب) :

وَلِلْأَحِبَّةِ أَيَّامٌ تَذَكَّرُهَا
وَلِلنَّوَى قَبْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ تَأْوِيلُ

وقال (الأَعشى) :

عَلَى أَهْلِهَا كَانَتْ تَأْوِيلُ حُبِّهَا
تَأْوِيلُ رَبْعِي السَّقَابِ فَأَصْحَبَا

يقول : إن حبها كان صغيراً في قلبه فآل إلى العظم ولم يزل يَنْبُت حتى أَصْحَبَ ، فصار كالسَّقَب الذي لم يزل يَشْبُ حتى أَصْحَبَ ، يعني أنه إذا استصحبته أمة صحبها .

باب الخطاب المطلق والمقيد

أمّا الإِطلاق - فأن يُذكر الشيء باسمه لا يُقرَن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك .

والتقيد - أن يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه ، فيكون ذلك القرين زائداً في المعنى . من ذلك أن يقول القائل « زيدٌ كبريتٌ » ، فهذا إنما شبهه بليت في شجاعته ، فإذا قال « هو كالليت الحرب » فقد زاد « الحرب » وهو الغضبان الذي حرب فريسته ، إي : سلبها . فإذا كان كذا كان أدهى له . ومن المطلق قوله :

ترائبها مصقولة كالسجّجل^(١)

فشبه صدرها بالمرآة ، لم يزد على هذا . وذكر (ذو الرمة) أخرى فزاد في المعنى حتى قيّد فقال :

ووجه كمرآة الغريبة أسجج

فذكر المرآة كما ذكر (امرؤ القيس) السجّجل ، أوزاد الثاني ذكر الغريبة فزاد في المعنى ، وذلك أن الغريبة ليس لها من يعلمها محاسنها من مساوئها فهي تحتاج أن تكون مرآتها أصفى وأتقى لثريها ما تحتاج إلى رؤيته من سن وجهها . ومنه قول (الأعتى) :

تروح على آل المخلق جفنة

جكايبة الشيخ العراقي تفهق

فشبه الجفنة بالجايبة ، وهي الحوض ، وقيدها بذكر الشيخ العراقي لأن العراقي إذا كان بالبدو لم يعرف مواضع الماء ومواقع الغيث ، فهو على جمع الماء الكثير أحرص من البدوي العارف بالمناقع والأحساء . ومن هذا الباب قول (حميد بن ثور) يصف بعيراً :

(١) عجز بيت من معلقة (امرئ القيس) وصدره :

مهففة يضاء غير مفاضة

مَحَلِّيَّ بِأَطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا
عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الثَّلَّةِ الْمُتَعَيِّفِ

فَقَالَ « رَاعِي ثَلَّة » وَلَمْ يُطْلَقِ اسْمُ الرَّاعِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ رَاعِيَ الْغَنَمِ أَجْهَلُ الرُّعَاةِ ، فَيَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْبَعِيرَ مَحَلِّيَّ بِأَطْوَاقٍ عِتَاقٍ ، أَيْ كَرِيْمَةٍ ، يُبَيِّنُهَا رَاعِي الثَّلَّةِ عَلَى جَهْلِهِ فَكَيْفَ بغيرِهِ مِمَّنْ يَعْرِفُ .

باب الشيء يكون ذا وصفين

فَيَعْلَقُ بِحُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَى أَحَدٍ وَصْفِيَّةً

أَمَّا الْفُقَهَاءُ فَخْتَلَفُوا فِي هَذَا .

فَأَمَّا مَذْهَبُ الْعَرَبِ فَإِنَّ الْعَرَبِيَّ قَدْ يَذْكُرُ الشَّيْءَ بِأَحَدِ صِفَتَيْهِ فَيُؤَثِّرُ ذَلِكَ ، وَقَدْ يَذْكُرُهُ فَلَا يُؤَثِّرُ بَلْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ سَوَاءً . أَلَا تَرَى الْقَائِلَ يَقُولُ :

مِنْ أُنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ
عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوَاءُ الطَّمَعِ

فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ مَنْ يُخَالِفُ مَذْهَبَ الْعَرَبِ لَاسْتَجِيزَ عَاجِلُ الْفُحْشِ إِذْ كَانَ الشَّاعِرُ إِنَّمَا ذَكَرَ الْعَاجِلَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ » وَالْكَافِرُ لَا يَجُوزُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ . وَحَكَى نَاسٌ عَنْ (أَبِي عُبَيْدٍ) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بِالْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ وَيَقُولُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « لَيْتُ الْوَاجِدَ يُحِلُّ عَمُوبَتَهُ وَعَرْضَهُ » فَدَلَّ أَنَّ غَيْرَ الْوَاجِدِ مُخَالَفٌ لِلْوَاجِدِ . وَالَّذِي نَقُولُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ (أَبَا عُبَيْدٍ) إِنَّمَا سَلَّكَ فِيمَا قَالَهُ مِنْ هَذَا مَسْلَكَ التَّأْوِيلِ ذَاهِبًا إِلَى مَذْهَبٍ مِمَّنْ يَقُولُ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ ،

ولم يَبْجُكْ مآقِلَه عن العرب ، ولو حَكَاه عَنْهُمْ لَازِمُ الذَّوْلِ بِهِ ، لَأَنْ (أَبَاعِيْدُ) ثِقَّةٌ أَمِينٌ فِيمَا يَحْكِيهِ عن العرب ، فَأَمَّا فِي الَّذِي تَأَوَّلَهُ فَاتَّأَنَّا نَحْنُ نُخَالِفُهُ فِيهِ كَمَا نَخَالِفُهُ فِي مُسْأَلَةِ مُثْعَةَ الْحِجِّ وَفِي ذَوِي الْأَرْحَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا.

باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز

تقول في معنى الحقيقة والمجاز :

إن « الحقيقة » — من قولنا « حَقَّ الشَّيْءُ » إذا وَجِبَ . واشتقاقه من الشَّيْءِ الْمُحَقَّقِ وَهُوَ الْمُحْكَمُ ، تقول « ثَبَّحَ النَّسِجَ » أي مُحَكَّمَهُ . قال الشاعر :

تَسْرِبِلُ جِلْدَ وَجْهِ أَيْكَ إِنَّا
كَفَيْنَاكَ الْحَقِيقَةَ الرَّقَاقَا

وهذا جنس من الكلام يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا مِنْ قَوْلِنَا « حَقَّ » وَحَقِيقَةٌ . ونَصُّ الْحَقَائِقِ . فالحقيقة : الكلام الموضوع موضعاً الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير ، كقول القائل « أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ » وهذا أَكْثَرُ الْكَلَامِ . قال الله جَلَّ ثَنَاهُ « وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي مِنَ الْآيِ عَلَى هَذَا . ومثله في شعر العرب :

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيَغْنِي
مِفَاقِرَهُ أَعْنُ مِنَ الْقُنُوعِ (١)

وقول الآخر :

(١) سبق معنا أن البيت من شعر النماخ .

وفي الشرّ نبأته ^ح بين لا ينجيك إحداً
وأما «المجاز» — فما خوذ من «جاز . يجوز» إذا استنّ ماضياً
تقول «جاز بنا فلان . وجاز علينا فارس» هذا هو الأصل . ثم تقول «يجوز
أن تفعل كذا» أي : يفتدولاً يردّ ولا يمنع . وتقول «عندنا دراهم وضح
وازنة وأخرى تجوز جواز الوازنة» أي : إن هذه وإن لم تكن وازنة فهي
تجوز مجازها وجوازها لقربها منها فهذا تأويل قولنا «مجاز» أي : إن الكلام
الحقيقي يخفي استنّه لا يعترض عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه
منه . إلا أن فيه من تشبيه واستعارة وكف ما ليس في الأول ، وذلك
كقولك «عطاء فلان مزنّ والكف» فهذا تشبيه وقد جاز جاز قوله «عطاؤه
كثير واف» ومن هذا في كتاب الله جل ثناؤه «سنسّمه على الخرطوم»
فهذا استعارة . وقال «وله الجوازي المنشآت في البحر كالأعلام» فهذا
تشبيه . ومنه قول الشاعر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة
ترى كل ملك ذونها يتذبذب
بأنك شمس والماء كواكب
إذا طلعت لم يبد منها كوكب

فالمجاز هنا عند ذكر «السورة» وإنما هي من البناء . ثم قال
«يتذبذب» والتذبذب يكون لذباب الثوب وهو ما يتدلّى منه فيضطرب
ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب .

وجاء هذان البابان في نظوم كتاب الله جل ثناؤه ، وكذلك ما يجيء
بعدهما ما نذكره من سنن العرب لتكون حجة الله جل اسمه عليهم آكد ،

وإثلاً يقولوا : إنما عجزنا عن الاتيان بمثله لانه بغير لغتنا وبغير السنن التي نستثنها . لا ، بل أنزله جل ثناؤه بالحروف التي يعرفونها وبالسُنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الاتيان بمثل أظهر وأشهر . ثم جعله تبارك اسمه أحد دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ثم أعلمهم ألا سبيل لهم إلى مسارحته ، وقطع العذر بقوله جل ثناؤه « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

فإن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، كقولهم عند المدح « قاتله الله ما أشعره » فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه . ومن قول (امرئ القيس) يصف رامياً :

فهو لا تَمِي رَمِيته ماله لَعْدٌ من نَفَرِه

يقول : إذا عَدَّ نَفَرُه لم يَمِدَّ معهم ، كأنه قال : قتله الله . أماته الله ، حتى لا يَعدَّ . ومنه قولهم « هَوَتْ أُمُّه . وَهَبَاتُهُ . وَشَكَّتَهُ » قال (كعب ابن سعد) يرثي أخاه :

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيَا

وماذا يُوَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يُوْبُّ

وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل في رميه أو في فعل يفعل . وكان (عبد الله بن مسلم بن قتيبة) يقول في هذا الباب : من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله جل ثناؤه « قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ . وَقُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . وَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ » وأشبه ذلك .

قال أحمد بن فارس : وهذا وإن أشبه ما تقدم ذكره فإنه لا يجوز لأحد

أن يطلق فيما ذكره الله جل ثناؤه أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد ، لأنهم قتلوا واهلكوا وقوتلوا ولعنوا ، وما كان لله جل ثناؤه ليدعو إلى أحد فتعيد الدعوة عنه . قال الله جل ثناؤه « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ فِدَعَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ - وَتَبَّ » أي وقد تبَّ وحق به التَّبَّاب . و (ابن قتيبة) يطلق إطلاقاً منكراً ويروي أشياء شذعة ، كالذي رواد عن (الشعبي) أن أبا بكر وعمر وعليا ترفؤوا ولم يجمعوا القرآن . قال : وروى شريك عن اسماعيل بن أبي خالد قال سمعت الشعبي يقول ويحلف بالله : لقد دخل (علي) حنوته وما حفظ القرآن . وهذا كلام شنع جداً فيمن يقول « سألني قبل أن تتقدوني ، سألني فما من آية إلا أعلم ألبيل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل » وروى السدي عن عبد خير عن علي رضي الله تعالى عنه أنه رأى من أناس طيرة عند وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأقسم ألا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن قال : جلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند (آل جعفر) . وحدثنا علي بن إبراهيم عن علي بن عبد العزيز قال قال أبو عبيد حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال : ما رأيت أحداً أقرأ من (علي) صلوات الله عليه ، صلينا خلفه فأسروا برزخاً ثم رجع فقرأه ثم عاد إلى مكانه قال (أبو عبيد) البرزخ : ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : هو في البرزخ ، لأنه بين الدنيا والآخرة ، فاراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي صلوات الله عليه منه ذلك الحرف إلى الموضع الذي كان انتهى إليه .

باب اجناس الكلام

في الاتفاق والافتراق

يكون ذلك على وجود : فمنه اختلاف اللفظ والمعنى ، وهو الاكثر الاشهر ، مثل « رجل . وفرس » و « سيف . ورمح » ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى ، كقولنا « سيف وعصا » و « آيت . وأسد » على مذهبنا في أن كل واحد منها فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة .

ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى ، كقولنا عين الماء وعين المال وعين الرّكبة وعين الميزان ^(١) ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « قضى » بمعنى : حتم كقوله جل ثناؤه « قضى عليها الموت » وقضى بمعنى : أمر كقوله جل ثناؤه « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » أي أمر . ويكون قضى بمعنى : أعلم كقوله جل ثناؤه « وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب » أي أعلمناهم . وقضى بمعنى : صنع كقوله جل ثناؤه « فاقض ما أنت قاض » وكقوله جل ثناؤه « ثم أقضوا لي » أي اعملوا ما أنتم عاملون . وقضى : فرغ . ويقال الميت : قَضَى أي فرغ . وهذه وإن اختلفت الفاظها فالاصل واحد .

ومنه اتفاق اللفظ وتضاد المعنى كـ « الظن » وقد مضى الكلام عليه . ومنه تقارب اللفظين والمعنيين كـ « الحزم » و « الحزن » . فالحزم من الارض أرفع من الحزن . وكـ « الخضم » وهو بالفم كله . و « القضم » وهو بأطراف الاسنان .

(١) راجع قهvide (ابن فارس) في معاني الدين : صفحة (١٥) من ترجمته التي صدرنا بها هذا الكتاب .

ومنه اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين كقولهم « مدحه » إذا كان حياً و « أبته » إذا كان ميتاً .

ومنه تقارب اللفظين واختلاف المعنيين وذلك قولنا « حرج » وقع في الحرج و « تخرج » إذا تباعد عن الحرج . وكذلك « أثم » وتأثم . و « فزع » إذا أتاه الفزع و « فرع » عن قلبه « إذا نجى » الفزع قال الله جل ثناؤه « حتى إذا فزع عن قلوبهم » أرادوا الله أعلم : أخرج منها الفزع .

باب القلب

ومن سنن العرب القلب . وذلك يكون في الكلمة ، ويكون في القصة . فأما الكلمة — فقولهم « جذب وجبد » و « بكل . ولبك » وهو كثير وقد صنفه علماء اللغة ، وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جل ثناؤه شيء .

وأما الذي في غير الكلمات — فقولهم :

كما عَصَبَ العِلَاءَ بالعود

و : كما كان الزَّناهُ فريضة الرَّجْمِ .

و : كأنَّ لَوْنَ أرضه سِماؤُهُ

و : كأنَّ الصِّفا أَوْرا كُها

إنما أراد : كان أورا كُها الصِّفاً ، ويقولون « أدخلتُ الخاتَمَ في إصبعي » و :

تَشَقَّى الرَّماحُ بالضِّيا طَرَقَ الحُمْرِ .

و : كما بَطَنْتْ بِالْفَدَنِ السِّياحُ

و : حَسَرْتُ كَتِيَّ عَنِ السَّرِبَالِ

وإنما حَسَرَ السَّرِبَالِ عَنْ كَفِهِ . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « خَلَقَ
لِنَاسٍ مِنْ عَجَلٍ » ومنه قوله جل ثناؤه « وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ
الْأُلْ » ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا عَلَى مَنْ يَلْزِمُهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، وإذا
كَانَ كَذَا فَلَمَعْنِي : وَحَرَّمْنَا عَلَى الْمَرَاضِعِ أَنْ يَرْضَعْنَ . ووجه تحريم إرضاعه
لِلْيَهْنِ أَنْ لَا يَقْبَلَ إرضاعهن حتى يُرَدَّ إِلَى أُمِّهِ . قَالَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا : ومنه قوله
جل وعز « فَانْهَمُوا عَنْ دُعَاؤِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وَالْإِصْنَامُ لِاتِّعَادِي أَحَدًا ،
فَكَانَهُ قَالَ : فَأَنِي عَدُوٌّ لَهُمْ . وَعَدَاوَتُهُ لَهَا بِغَضِهِ إِيَّاهَا وَبِرَأْيَتِهَا مِنْهَا .

باب الإبدال

ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون
« مَدَحَهُ . وَمَدَّه » و « فَرَسٌ رَفِلٌ . وَرِفْنٌ » وهو كثير مشهور قد ألف
فيه العلماء . فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ جَلْ ثَنَاؤُهُ فَقَوْلُهُ جَلْ ثَنَاؤُهُ « فَانْمَلَقَ
فَكَانَ كُلُّ فَرْقٍ » فَالْإِلَامُ وَالرَّاءُ يَتَعَاقَبَانِ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ « فَلَقُ الصَّبْحِ .
وَفَرَقَهُ » . وَذُكِرَ عَنْ (الْخَلِيلِ) وَلَمْ أَسْمَعْهُ سَمَاعًا أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ جَلْ ثَنَاؤُهُ
« فَجَاسُوا » : إِنَّمَا أَرَادَ « فَجَاسُوا » فَقَامَتِ الْجِيمُ مَقَامَ الْخَاءِ ، وَمَا أَحْسَبُ
الْخَلِيلَ قَالَ هَذَا وَلَا أَحَقُّهُ عَنْهُ .

باب الاستعارة

ومن سنن العرب الاستعارة . وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة
من موضع آخر فيقولون « انشَقَّتْ عَصَاهُمْ » إِذَا تَفَرَّقُوا . وَذَلِكَ يَكُونُ
لِلْعَصَا وَلَا يَكُونُ لِلْقَوْمِ . وَيَقُولُونَ « كَشَفْتُ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ » .

وفي كتاب الله جل ثناؤه « كلهم حمرٌ مستَشْفِرة » يقولون للرجل المذموم :
إنما هو حمار . وقال الشاعر :

دُفِعْتُ إِلَى شَيْخٍ بِجَنْبِ فَنَائِهِ

هُوَ الْعَيْدُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ

ومنه قوله جل ثناؤه « التفت الساق بالساق » و « أنا لمرءٍ ودونَ في
الحافرة » أي في الخالق الجديد . و « بل راز على قلوبهم » وتقول العرب
« راز به النعاس » أي غلب عليه . و « لقد خلقنا الإنسان في كبد » أي
ضيق وشدة . و « نسفنا بالناصية » . و « امرأته حمالة الخطب » وقوله
جل ثناؤه « فما بكت عليهم السماء والأرض » وتقول العرب « نافعة تاجرة »
يريدون أنها تنفق نفسها بحسنها . وقوله جل ثناؤه « ويخطف الناس من
حولهم » و « ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون » و « ألا إنما طائرهم عند
الله » ويراد حظهم وما يحصل لهم . والعرب تقول :

فاني استُ منكَ ولستَ مني

إذا ما طارَ من مالي الثمينُ

أي حصل . ومنه قوله جل ثناؤه « أقم الصلاة » أي ائت بها كما أمرت
به و « إن ربك أحاط بالناس » أي عصمك منهم . رواه شعبة عن أبي رَجَاء
عن (الحسن) . ومن الاستعارة قولهم « زالت رحالة ساجح » كناية عن
المرأة تستعصي على زوجها . قال (الشماخ) :

وكنتُ إذا زلتِ رِحَالَهُ سَاجِحٌ

شِمْتُ بِهِ حَتَّى لَقِيتُ مِثْلَهَا

وكانت امرأته أنشزت عليه ، وذلك قوله :
 ألا أصبحت عرسي من البيت جاحاً
 بغير بلاء سيء ما بدا لها

باب الحذف والاختصار

ومن سنن العرب الحذف والاختصار ، يقولون « والله أفعل ذاك »
 يريد لا أفعل . و « أتانا عند مَنيب الشمس . أو حين أراد . أو حين كادت
 تغرب » قال (ذو الرمة) :

فلما لبسَ الليلَ أو حين نصبتُ
 له من خذا آذانها وهو جانحُ

ومنه في كتاب الله جل ثناؤه « واسئل القرية » أراد أهلها . و « الحجُّ
 أشهرُ معلومات » . و « بنو فلان يطؤون الطريق » أي أهله . و « نحن
 نطأ السماء » أي مطرها . و « على خوف من فرعون وملائهم » أي من
 آل فرعون . و « إذاً لأذقناكم ضعف الحياة » أي ضعف عذابها . و
 « الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنُدْخلنهم في الصالحين » . ومثله « أن
 اضرب بعصاك البحر فانقلب » أي فاضرب فانقلب . ومنه « إني آمنتُ
 برَبِّكم فاسمعوني . قيل ادْخُلِ الجنة » أي : فلما قُتل قيل ادْخُلِ الجنة .
 ومنه « وترَ كنا عليه في الآخِرين » أراد الثناء الحسن . ومنه « فاذا عزم
 الأمر فلو صدقوا الله » معناه : فاذا عزم الأمر كذبوه .

باب الزيادة

قال بعض أهل العلم : إن العرب تزيد في كلامها أسماء وأفعالاً .

أما الأسماء — فالاسم والوجه والمثل . قالوا : فالاسم في قولنا « بسم الله » إنما أردنا « بالله » لكنه لما أشبه القسم زيد فيه الاسم . وأما الوجه فقول القائل « وجهي إليك » وفي كتاب الله جل ثناؤه « ويبقى وجه ربك » ثم قال الشاعر :

أستغفر الله ذنباً لست مُحْصِيَهُ
ربَّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

وأما المثل ففي قوله جل ثناؤه « فأتوا بسورة من مثله » ويقول قائلهم « مثلي لا يخضع لمثلك » أي : أنا لا أخضع لك . قال الشاعر :

يا عاذلي دعني من عذلكا

مثلي لا يقبل من مثلكا

وقوله جل ثناؤه « وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله » أي عليه .
وأما الأفعال — فقولهم « كاد » في قول الشاعر :

حتى تناول كلباً في ديارهم
وكاد يسمو إلى الجرفين فارتقعا

أراد « وسما » ، ألا ترى أنه قال « فارتقع » . وما يزداد أيضاً من الأفعال قول القائل « لا أعلم في ذلك اختلافاً » وفي كتاب الله جل ثناؤه « أم تنبؤونه بما لا يعلم في الأرض » أراد والله أعلم : بما ليس في الأرض .

وقد تزداد حروف من حروف المعاني — كزيادة « لا » و « من » وغير ذلك . وقد مضى ذكره بشواهده .

باب التكرار

ومن سُنن العرب التكرير والاعادة إرادة الإِبلاغ بحسب العناية
بالأمر كما قال (الحارث بن عباد) :

قَرَّبَا مَرْبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي
لَفِجَتْ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِيَالِ

فكرّر قوله « قَرَّبَا مَرْبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي » في رؤس أبيات كثيرة عناية
بالأمر وأراد الإِبلاغ في التنبيه والتحذير . وكذلك قول (الأشعر) :

وَكَتَيْبَةً لَبَسْتُهَا بِكَتَيْبَةٍ

حتى يقول نساؤهم : هذا فتى (١)

فكرر هذه الكلمة في رؤس أبيات على ذلك المذهب . وكتكرير
مَنْ كَرَّرَ :

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا ، مَهْلًا مَوَالِينَا

وكقول الآخر

كَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ لَهُ كَمْ كَمْ وَكَمْ

فكرّر لفظ « كَمْ » لفرط العناية بقصد تكثير العدد . قال علماؤنا : فعلى
هذه السنة جاء ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله « فَبَايَ آلاءَ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ » .

فأمّا تكرير الانباء والقصاص في كتاب الله جل ثناؤه — فقد قيأت
فيه وجوه . وأصح ما يقال فيه أن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعجز

(١) ويروى « هذا الفتى » - الأصل

القوم عن الاتيان بمثله آية لصحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر التخصيص في مراضع إعلاما أنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبر . فهذا أولى ما قيل في هذا الباب .

باب العموم والخصوص

العام - الذي يأتي على الجملة لا ينادر منها شيئاً . وذلك كقوله جل ثناؤه « خلق كل دابة من ماء » وقال « خالق كل شيء » .
والخاص - الذي يتصل فيقع على شيء دون أشياء . وذلك كقوله جل ثناؤه « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » وكذلك قوله « واتقون يا أولي الألباب » مخاطب أهل العقل .

وقد يكون الكلامان متينين ، ويكون أحدهما خاصاً والآخر عاماً . وذلك قولك لمن أعطى زيدا درهماً « أعط عمرًا ، فإن لم تفعل فما أعطيت » تريد : إن لم تعط عمرًا فأنت لم تعط زيدا أيضاً ، وذلك غير محسوب لك . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » فهذا خاص ، يريد : هذا الأمر المجدد ببلغه ، فإن لم تفعل ولم تبلغ هذا فما بلغت رسالته . يريد : جميع ما أرسلت به .

وأما العام الذي يراد به الخاص - فكقوله جل ثناؤه حكاية عن موسى عليه السلام « وأنا أول المؤمنين » ولم يرد كل المؤمنين لأن الأنبياء قبله قد كانوا مؤمنين . ومثله كثير . ومنه « قالت الأعراب آمناً » وإنما قاله فريق منهم . و « الذين قال لهم الناس » إنما قاله (نعيم بن مسعود)

إن الناس (أبو سفيان) و (عبيدة بن حصن) . ومنه قوله جل ثناؤه « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون » أراد : الآيات التي إذا كذب بها نزل العذاب على المكذبين وكذلك قوله « ويستغفرون لمن في الأرض » أراد به من المؤمنين لقوله « ويستغفرون للذين آمنوا » .
 وأما الخاص الذي يراد به العام — فكقوله جل وعز « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » الخطاب له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمراد الناس جميعاً .

باب اضافة الفعل الى ما ليس بفاعل في الحقيقة

ومن سنن العرب اضافة الفعل الى ما ليس فاعلاً في الحقيقة . يقولون « أراد الحائط أن يقع » وفي كتاب الله جل ثناؤه « جداراً يريد أن ينقض » وهو في شعر العرب كثير . قال (الشماخ) :

أقامت على رَبعيها ما جارتا صفاً

كميتا الأعالى جوتتا مضطلاهما^(١)

فجعل الأثما في مقيمة . وقال :

وأشعث ورَّادِ العِدادِ كأنه

إذا اشتق في جَوْزِ الفلاة فليق^(٢)

يصف طريقاً يرد ماءً وهو لا ورد له . ومنه قوله :

(١) هو البيت الثاني من قصيدته التي يمدح بها (يزيد بن مريم الانصاري) ومطامها :

أمن دبتين عرج الركب فيهما بحل الرخاء قد أتى لبلاهما

(٢) ورواه الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي في شرح ديوان السماخ :

وأغبر دراء التنايا كأنه إذا اشتق في جَوْزِ الفلاة فليق

وورد في لسان العرب مثل هذا وفي مكان لفظ « اشتق » لفظ « اجتاز » .

كَأَنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَحْقَبَ سَهْوًا
أَطَاعَ لَهُ مِنْ (١) رَامَتَيْنِ حَدِيقُ

فجعل الحدائق مطيعاً لهذا الحمار لما تمكن من رعيه ، والحدائق لاطاعة
ولا معصية له .

باب الواحد يراد به الجمع

ومن سنن العرب ذكر الواحد والمراد الجميع ، كقوله للجماعة
« ضَيْفٌ » و « عَدُوٌّ » . قال الله جل ثناؤه « هَؤُلَاءِ ضَيْفِي » وقال « ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً » وقال « لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ » والتفريق لا يكون إلا
بين اثنين . ويقولون « قَدْ كَثُرَ الدَّرْهَمُ وَالدِّينَارُ » ويقولون :

فَقَلْنَا أَسْلَمُوا إِنَّا أَخَوُكُمْ

ويقولون : كُلُّوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا

و « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ » و « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبُّكَ
الْكَرِيمُ » .

باب الجمع يراد به واحد واثنان

ومن سنن العرب الاتيان بلفظ الجميع والمراد واحد واثنان كقوله
جل ثناؤه « وَلَيَشْهَدُ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ » يراد به واحد واثنان وما فوق . وقال
(قَتَادَةُ) في قوله جل ثناؤه « إِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ » :
كَانَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ لَا يَمَالُهُمْ عَلَى أَقَاوِيلِهِمْ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ وَيَسِيرُ مُجَانِبًا لَهُمْ فَسَمَّاهُ اللَّهُ جَلْ ثَنَاؤُهُ طَائِفَةً وَهُوَ وَاحِدٌ . وَمِنْهُ « إِنْ

(١) في شرح الشيخ أحمد الشنقيطي لشعر الشماخ « في رامتين » مكان « من رامتين » .

الذين ينادونك من وراء الحُجُرَات « كان رجلاً نادى « يا محمد ! إنَّ مدحي زَيْنٌ وإنَّ شتمي شَيْنٌ » فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ويلك . ذاك الله جل ثناؤه » . وقال « فقد صَغَتْ قلوبكما » وهما قلوبان وقال « بِمَ يَرْجِعُ المرسلون » وهو واحد يدلّ عليه قوله جل ثناؤه « إِرْجِعْ إليهم » .

باب آخر

العرب تصف الجميع بصفة الواحد كقوله جل ثناؤه « وإن كنتم جُنُباً » فقال جنباً وهم جماعة . وكذلك قوله جل ثناؤه « والملائكة بعد ذلك ظهير » . ويقولون « قوم عدل ورضى » قال (زهير) :

وإن يَشْتَجِرْ قوم يَقلُّ سَرواًهُمْ
هُمْ يَتَنَّا ، فَهُمْ رِضى وَهُمْ عَدْلٌ ^(١)

وربما وصفوا الواحد بلفظ الجميع فيقولون « بَرْمَةٌ أعشارٌ » و « ثوبٌ أهْدَامٌ » و « حَبْلٌ أَحْدَاقٌ » قال :

جاء الشتاء وقيضي أخلاقٌ
شَرَاذِمٌ يضحك منه التَّوَّاقُ

فأخبرني علي بن ابراهيم عن محمد بن فرح عن سلمة عن (الفراء) قال : التَّوَّاقُ ابنه . ومن الباب « ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله » إنما أَرَادَ المسجد الحرام . ويقولون « أرضٌ سَبَابِسَبٌ » يسمون كل بقعة منها

(١) من قصيدته التي يمدح بها (ستان بن أبي سارثة المري) ويروى البيت « متى يشتجر قوم تنل » ومطلعا :

صحا القلب عن سلمى وفد كاد لا يساو وأقفر من سلمى التمانيق والنقل

« سَبَّحًا » لا تساعها .

ومن الجمع الذي يُراد به الاثنان قولهم « امرأة ذات أوزانٍ وما يكم » .

باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع

ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع ، فيقال للرجل العظيم « انظروا في أمري » . وكان بعض أصحابنا يقول : إنما يقال هذا لأنَّ الرجل العظيم يقول « نحن فعائنا » فعلى هذا ابتداء خُوطبوا في الجواب . قال الله جل ثناؤه « قال ربّ ارجعُون » .

باب آخر

العرب تذكر جماعة وجماعة ، أو جماعة وواحدًا ، ثم تخبر عنهما بلفظ الاثنين . يقول (الأُسودُ) :

إن المنيّة والحتوف كلاهما
يوفي المخارم يرقبان سوادي

وقال آخر :

ألم يحزنك أنّ حبال قيسٍ
وتملب قد تباينتا انقطاعا

وقد جاء مثله في القرآن : قال الله تبارك اسمه « ان السماوات والأرض كانتا رتّناً ففقتّاهما » .

باب مخاطبة الواحد خطاب الجمع

إذا أُريد بالخطاب هو ومن معه

قال الله جل ثناؤه « يا أيّها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدّتهن »

نخو طب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بافظ الجميع لانه أريد هو وأمتّه .
وكان (ابن مسعود) يقرأ « ارجعوا إليهم » أراد لرسول ومن معه . ومن
قال « ارجع إليهم » خاطب مدثرهم .

باب تحويل الخطاب من الشاهد الى الغائب

العرب تخاطب الشاهد ، ثم تحول الخطاب الى الغائب . وذلك
كقول (الزبغة) :

يادار مية بالعاء فاستند

أقوت وطال عليها سالف الأبد

نخاطب ثم قال « أقوت » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « حتى إذا
كنتم في الفاك وجرين بهم » وقال « وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه
الله فأولئك هم المضعفون » . وقال « ولكن الله يحب اليعمان » —
وقال في آخر الآية — فأولئك هم الراشدون » . ومنه قوله :

أسيئي بنا أو أحسنني لاملومة

لدينا ولا مقلية إن تقلت

باب تحويل الخطاب من الغائب الى الشاهد

وقد يعملون خطاب الغائب للشاهد ، قال (الهذلي) :

يا ويح نسي كان جدّة خالد

وبياض وجهك لالزاب الأعمر

فخبر عن خالد ثم واجه فقال « وبياض وجهك » . ومنه :

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَاصْبَحَتْ
عَسِيراً عَلَى طَلَابِكِ ابْنَةِ مَخْرَمٍ

باب مخاطبة المخاطب ثم يجعل الخطاب لغيره

أَوْ يُخْبَرُ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ يُجْعَلُ الْخَبَرُ الْمُتَّصِلُ بِهِ لغيره
قال الله جل ثناؤه «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ - الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْكَافَرِ - فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ » يدل على ذلك
قوله جل ثناؤه «فَمَنْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ . » وقال «فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى . »
وقال «فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » وقريب من هذا الباب أَنْ يَبْتَدَأَ
الشَّيْءُ ثُمَّ يُخْبَرُ عَنْ غَيْرِهِ كَقَوْلِ (شَدَّادِ بْنِ مُعَاوِيَةَ) :

مَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فَأِنِّي
وَجِرْوَةٌ لَا تَبْرُدُ وَلَا تَعَارُ

و «جِرْوَةٌ» فرسه ، فالمسئلة عنه والخبر عن غيره . وقال (الأعشى) :

وَإِنْ أَمْرًا أُسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ
مِنَ الْأَرْضِ مَوْمَاتٌ وَيَهْمَاءُ سَمَلَقُ
لَمْ حَتُّوقَهُ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ
وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مَوْقَتِي

وقد جاء في كتاب الله جل ثناؤه ما يشبه هذا وهو قوله جل ثناؤه
«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا - فَبَدَأَ بِهِمْ ثُمَّ قَالَ - إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ » بدأ بهم ثم حوّل
الخطاب . ومنه قول القائل :

لَعَلِّي إِنْ مَاتَ بِي الرِّيحُ مَيْلَةً

على (ابن أبي ذبَّان) أَنْ يَتَنَدَّمَ

فذكر نفسه وترك وأقبل على غيره ، كأنه أراد : لعل (ابن أبي ذبَّان)
أَنْ يَتَنَدَّمَ إِنْ مَاتَ بِي الرِّيحُ عَلَيْهِ . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه « والذين
يَتُوفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ » فخبَّر عن الأزواج وترك
الذين . ومثله :

بَنِي أَسَدٍ إِنْ ابْنَ قَيْسٍ وَقَتْلَهُ

بَغَيْرِ دَمِ دَارِ الْمَذَلَّةِ حَلَّتْ

فترك (ابن قيس) وخبَّر عن القتل ، كأنه قال : قتل ابن قيس ذل .

باب الشئيين ينسب الفعل إليهما وهو لاحدهما

وينسبون الفعل الى اثنين وهو لاحدهما . وفي كتاب الله جل ثناؤه
« فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوَّتَهُمَا وَقَدْ بَلَغَا » وكان النسيان من أحدهما
لأنه قال « اني نسيت الحوت » . وقال « مرج البحرين يلتقيان » — ثم
قال — يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ » وإنما يُخْرِجُ جاز من الملح لا العذب .
وينسبون الفعل الى الجماعة وهو لواحد منهم . قال الله جل ثناؤه
« وَإِذَا قَتَلْتُمْ نَفْسًا » وإنما كان القاتل واحداً .

باب نسبت الفعل الى أحد اثنين وهو لهما

قال الله جل ثناؤه « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا » وإنما انفَضُّوا
إليهما . وقال الله جل ثناؤه « وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ » . وقال
« وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا » . ثم قال الشاعر :

أزَّشَرَخَ الشَّبابَ وَالشَّعْرَ الْأَسَدَ وَدَمَّالِمَ يُعَاصِ كَانَ جَنُونًا
وقال آخر :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين

تقول العرب « افعلوا ذلك » ويكون المخاطب واحداً . أنشد (الفراء) :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي : لَا تَجْبِسَانَا

بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْدِزْ شَيْحَا

وقال :

فَإِنْ تَزْهَرَانِي يَا ابْنَ عَنَانَ أَنْزِ جِرْ

وَإِنْ تَدْعَانِي أَحْمَرِ عَرْضًا مُنْعَا

وقال الله جلَّ ثَنَاؤُهُ « الْقِيَافِي جَهَنَّمِ » وهو خطاب لخرقة النار والزبانية . قال : وترى أن أصل ذلك أن الرفقة أدنى ما يكون ثلاثة نفر فجرى كلام الواحد على صاحبيه ، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولاً « يا صاحبي » و « يا خليلي » .

باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل

وبلفظ المستقبل وهو ماضٍ

قال الله جلَّ ثَنَاؤُهُ « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ » أي : أنتم . وقال جلَّ ثَنَاؤُهُ

« أَتَى أَمْرُ اللَّهِ » أي : يأتي . ويجيء بلفظ المستقبل وهو في المعنى ماضٍ .

قال الشاعر :

ونقد أمرٌ على اللئيم يسبني

فمَضِيَتْ سُنَا وَقَلْتُ لَا يَعْنِيَنِي

فقال « أمرٌ » ثم قال « مضيت » . وقال :

وما اضحى ولا أمسيَتْ إِلَّا

رَأُونِي مِنْهُمْ فِي كَرَفَانٍ

وفي كتاب الله جل ثناؤه « فَمَنْ تَتَّبِعُوا أَنْبَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ » وقال

« وَاتَّبِعُوا مَا تَقُولُ الشَّيَاطِينُ » أي ما تَأْت. وقال آخر :

وَنُفُوسُ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيبًا

سَقِيَتْ إِذَا تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ

ومثله « وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل : فلم

يعذبكم ؟ » المعنى : فلم عذب آباءكم بالمسيح والقتل ؟ لأن النبي صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم لم يؤمر بأن يحتج عليهم شيء لم يكن ، لأن الجاحد

يقول : إني لا أعذب . لكن احتج عليهم بما قد كان .

باب المفعول يأتي بالفظ الفاعل

تقول « سرُّ كاتم » أي مكثوم . وفي كتاب الله جل ثناؤه « لا عاصم

اليوم من أمر الله » أي لا معصوم و « من ماء دافق » و « عيشة

راضية » أي مرضي بها . و « جعلنا حرماً آمناً » أي مأموناً فيه . ويقول

الشاعر :

إِنَّ الْبَيْضَ لَمَنْ يَمْلُ حَدِيثُهُ

فَاتَّقِ فُؤَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ

أي المومرّق . ومنه :

أنا بشر لا زالت يمينك آشرة

أي : مأشورة .

وزعم ناس أن الفاعل يأتي بلفظ المفعول به . ويذكرون قوله جل ثناؤه « أنه كان وعده مأثياً » أي : آثياً . قال (ابن السكيت) : ومنه « عيش مغبون » يريد أنه غاب غير صاحبه .

باب آخر

من سنن العرب وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه كقولهم « يوم عاصف » المعنى : عاصف الريح . قال الله جل ثناؤه « في يوم عاصف » ف قيل : عاصف لأن عصفوف ريحه يكون فيه . ومثله « ليل نائم » و « ليل ساهر » لأنه ينام فيه ويسهر قال (أوس) :

خُذْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةً

بصُحْرَاءِ شَرَجٍ إِلَى نَاضِرَةٍ

وقال (ابن بَرَّاق) :

تَقُولُ سَلِيمِي : لَا تَعْرِضْ لِنَافَةِ

وَلَيْلِكَ مِنْ لَيْلِ الصَّعَالِيكِ نَائِمٍ

ومثله :

لَقَدْ لُمْتُنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السُّرَى وَنَمْتِ وَمَالِي الْمَلِيَّ بِنَائِمٍ

ويقولون « لَا يَرَقْدُ وَسَادُهُ » وإنما يريدون متوسد الوساد .

باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر

أول ذلك (فَعَلْتُ) يكون بمعنى التكثير. نحو «غَلَقْتُ الأبوابَ». وبمعنى «أَفْعَلْتُ» نحو «خَبَرْتُ. وَأَخْبَرْتُ». ويكون مضاداً لَأَفْعَلْتُ نحو «أَفْرَطْتُ»: جُرْتُ الحدَّ. و«فَرَطْتُ»: فَعَصَرْتُ. ويكون بنية لا لمعنى نحو «كَلَّمْتُ». ويكون فَعَلْتُ: نَسَبْتُ كقولك «شَجَعْتُهُ. وَظَلَمْتُهُ»: نسبته إلى الشجاعة والظلم.

وأما (أَفْعَلَّ) فيكون بمعنى «فَعَلْتُ» تقول «أَسْقَيْتُهُ وَسَقَيْتُهُ»: قلت له «سَقَيْتُكَ». ويكون بمعنى «فَعَلْتُ» نحو «مَحَضَّيْتُ الْوُدَّ. وَأَمَحَضَّيْتُ». وقد يختلفان نحو «أَجَبَرْتُهُ عَلَى الشَّيْءِ» و«جَبَرْتُ الْعِظَمَ». وقد يتضادان نحو «نَشَطْتُ الْعَقْدَةَ»: عَقَدْتُهَا. و«أَنْشَطْتُهَا»: إِذَا حَلَلْتُهَا.

و (فَاعَلَ) يكون من اثنين. نحو «ضَارَبَ». ويكون فاعلاً بمعنى «فَعَلَ» نحو «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ» و«سَاغَرَ». ويكون بمعنى «فَعَلَ» نحو «ضَاعَفَ. وَضَعَفَ».

و (تَفَاعَلَ) يكون من اثنين، نحو «تَخَاصَمَا». ويكون من واحد، نحو «تَرَأَى لَهُ» ويكون إظهاراً لغير ما هو عليه، نحو «تَغَاوَلَ»: أَظْهَرَ غَفْلَةً وليس بغافل.

و (تَفَعَّلَ) يكون لتكثيف الشيء وليس به، نحو «تَشَجَّعَ. وَتَعَقَّلَ». ويكون بمعنى «تَفَاعَلَ» نحو «تَعَطَّى. وَتَعَاوَا». ويكون لأخذ الشيء نحو «تَعَلَّمَ. وَتَعَلَّمْ». ويكون بنية نحو «تَكَلَّمَ». ويكون «تَفَعَّلَ» بمعنى «أَفْعَلَ» نحو تَعَلَّمْ بمعنى اَعْلَمْ. قال:

تَلَمَّ أَنْ بَعْدَ الشَّرِّ خَيْرًا
وَأَنَّ لِهَذِهِ الْغَمْرِ اتِّشَاعًا

وَأَمَّا (اسْتَفْعَلَ) فَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّكَافُفِ ، نَحْوُ « تَعَظَّمَ . وَاسْتَعَظَمَ »
و « تَكَبَّرَ . وَاسْتَكَبَّرَ » وَيَكُونُ اسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى الِاسْتِدْعَاءِ وَالطَّلَبِ نَحْوُ
« اسْتَوْهَبَ » وَيَكُونُ بِمَعْنَى « فَعَلَ » : « قَرَأَ » وَاسْتَقَرَّ » .

وَأَمَّا (انْتَفَلَ) فَيَكُونُ بِمَعْنَى فَعَلَ ، نَحْوُ « شَوَى . وَاشْتَوَى » وَيَكُونُ
بِمَعْنَى حَدُوثِ صَنْعَةٍ فِيهِ نَحْوُ « افْتَشَرَ » .

وَأَمَّا (انْفَعَلَ) فَهُوَ فَعَلَ الْمَطَاوَعَةَ . نَحْوُ « كَسَرْتُهُ . فَأَنْكَسَرَ » .
و « شَوَيْتُ اللَّحْمَ . فَأَنْشَوَى » . قَالَ

قَدْ أَنْشَوَى شَوَاؤُنَا الْمَرْغَبُ
فَأَقْتَرَبُوا مِنَ الْغَدَاءِ فَكَلُوا

باب الفعل اللازم والمتمم بلفظ واحد

تَقُولُ « كَسَبَ زَيْدٌ الْمَالَ . وَكَسَبَهُ غَيْرُهُ » . وَ « هَبَّطَ . وَهَبَّطَ غَيْرَهُ » .
و « جَبَرَتِ الْيَدُ . وَجَبَرَتْهَا » . وَيَكُونُ فَعَلَ بِمَعْنَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ نَحْوُ « بَعَثَ
الشَّيْءَ » وَ « بَعَثَهُ » : اشْتَرَيْتَهُ . وَ « رَأَيْتُ الشَّيْءَ » أَرَخِيْتَهُ وَشَدَّدْتَهُ .
وَ « شَعَبْتُ الشَّيْءَ » جَمَعْتَهُ وَفَرَّقْتُهُ .

باب البناء الدال على الكثرة

الْبِنَاءُ الدَّالُّ عَلَى الْكَثْرَةِ « فَعُولُ . وَفَعَّالٌ » نَحْوُ « ضَرُوبُ . وَضَرَّابٌ »
وَكَذَلِكَ « مِفْعَالٌ » إِذَا كَانَ عَادَةً نَحْوُ « مِطْطَارٌ » وَ « امْرَأَةٌ مِذْكَارٌ »

إذا كانت تلدُ الذُّكور وكذلك « مِيَنَاتُ » في الاناث .

باب الأبنية الدالّة في الاغلب الأكثر على معان

وقد تختلف

يقولون: ما كان على (فَعْلَان) دلّ على الحركة والاضطراب نحو «الزَّوَانِ .
والغَلَبَانِ» . و(فَعْلَان) يجيئ في صفات تقع من جُوع وعَطَش نحو «عَطْشَانِ .
وغَرَّثَانِ» أو ما يضاد ذلك نحو «رَيَّان . وسكران» .

و (فَعِلَ) يكون في الوجد نحو «وَجِعَ . وَحَبِطَ» أو ما أشبهه
من «فَزَعٍ» . ويجيئ من هذا (فَعِيلَ) نحو «سَقِيمٌ» . ويكون من الباب
«بَطِرٌ . وفَرِحٌ» وهذا على مضادة وَجِعَ وسَقِمَ .

قالوا : والصفات بالالوان تأتي على (أفْعَلِ) نحو «أَحْمَرُ . وَأَسْوَدُ» .
والافعال منها على «فَعْلَ» مثل «صَهْبَ» . وعلى «فَعِلَ» نحو
«صَدِيٌّ» . وعلى «أفْعَالٌ» مثل «أَحْمَارٌ» . وكذلك العيوب والادواء
تكون على «أفْعَلِ» نحو «أَزْرَقُ . وَأَعْوَرُ» . وأفعالها على «فَعِلَ» نحو
«عَوِرَ . وَشَتَرَ» . ويكون الادواء على (فُعَالِ) نحو «الْقُلَابُ . وَالْخُمَارُ» .
والاصوات أكثرها على هذا نحو «الدُّعَاءُ . والصُّرَاخُ» . وللاصوات باب
آخر على (فَعِيلِ) نحو «الْمَدِيرُ . والضَّجِيجُ» . و (فُعَالَةٌ) يأتي أكثره
على ما يفضل عن الشيء ويسقط منه نحو «النُّجَاتَةُ» . و (فُعَالَةٌ) في
الصناعات كالنَّجَارَةِ والنَّجَارَةِ . ويكون (الفُعَالُ) في الاشياء كالعيوب: كالنِّقَارِ
والشِّمَاسِ . وفي السَّمَاتِ : نحو العَلَاطِ والخِطَاطِ ، وفي بلوغ الاشياء نهايتها :
نحو الصَّبْرَامِ والجَزَازِ . وتسكون الصفات اللازمة للنفوس على (فَعِيلِ) نحو

شريف وخفيف ، وعلى أضدادها : نحو وَضِيع وكبير وصغير . هذا هو
الاجلب وقد يختلف في اليسير .

باب الفرق بين ضدين بحرف أو حركة

الفرق بين ضدين بحرف — قولهم « يُدَوِّي » من الداء و « يُدَاوِي »
من الدواء . و « يَخْفِر » إذا أجار و « يَخْفِر » إذا تقض : من خَفَرَ وأَخْفَرَ ،
وهو كثير .

وما كان فرقه بحركة — فقولهم « لُعْنَه » إذا أكثر اللعن و « لُعْنَه »
إذا كان يلعن و « هُزَاة . وهُزَاة » و « سُخْرَة . وسُخْرَة » .

باب التوهم والايهام

ومن سنن العرب التوهم والايهام ، وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ثم
يجعل ذلك كالحق . منه قولهم « وقفتُ بالربع أسأله » وهو أكل عقلاً من
أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل لكنه تفجع لما رأى السكن
رجلوا وتوهم أنه يسأل الربع أين اثبتوا . وذلك كثير في أشعارهم ، قال :

وقفتُ على رَبعٍ لَمِيَّةٍ ناقتي

فمازاتُ بكى عنده وأخطبه

وأسألُ حتى كاذمًا بما أبته (١)

تكلمني أحجاره وملاعبه

وتوهم وأوهم أنْ تَمَّ كلاماً ومُكَلِّماً . وبين ذلك (لَيْدٌ) بقوله :

(١) ويرى « أبته » بضم الاول وكسر الثاني من باب الافعال . وهو أفسح — الاصل

فوقفتُ أسألها وكيف سؤالنا
صمًا خوالد ما يبين كلامها

ومن الباب قوله :

لا يُفزعُ الارب أهوالها
إنما أراد : ليس بها أرب يُفزع . وكذلك :
على لا حب لا يهتدى لمناره

إنما أراد : لا منار به . وأظهر ذلك قول (الجعدي) :

سبقتُ صياحَ فراريجها وصوتَ نواقيسٍ لم تُضربِ
وقال (أبو ذؤيب) :

متفلقٌ أنساؤها عن قانيء كالقِرط صاو غبره لا يرضع
أوهم أن تم غبرا ، وإنما أراد : لا غبر به فيرضع .

باب البسط في الاسماء

العرب تبسط الاسم والفعل فتزيد في عدد حروفهما ، ولعل أكثر
ذلك لإقامة وزن الشعر وتسوية قوافيه ، وذلك قول القائل :

وليلةٌ خامدةٌ خمودا طخياء تُغشي الجدي والفرقودا
فزاد في « الفرقد » الواو وضم الفاء لأنه ليس في كلامهم « فعلولا » ،
ولذلك ضم الفاء . وقال في الزيادة في الفعل :

لو أن عمرا هم أن يرقودا

ومنه : أقول إذ خرت على الكلكال

أراد « الكلكل » وفي بعض الشعر « فانظور ^(١) » أراد « فانظر » .

وهذا قريبٌ من الذي ذكرناه في الخزم والزيادة التي لامعني لها .

باب القبض

ومن سنن العرب القَبْضُ محاذاةً للبسط الذي ذكرناه، وهو النقصان من عدد الحروف كقول القائل :

غَرَّتْني الوِشاحَيْنِ ، صَمَوْتُ الخَلْخَلِ

أراد الخَلْخَالَ . وكذلك قول الآخر « وَسُرَّحَ حَرْجُجٌ » أراد « حَرْجُوجًا » وهي الضامر . ويقولون « دَرَسَ المنا » يريدون « المنازل » و:

كَأَنَّمَا تُذْكَرُ سِنَا بَكْهَا الحُبَا

أراد نار الحبّاحب . وقال (أبو النجم) : « أَمْسِكْ فلانُ عن فلٍ » (١)
أراد عن فلان . و :

ليس شيء على المَنُونِ بِخَالٍ

أي : بخالد . ويقولون :

أَسْعَدَ بَنَ مالٍ أَلَمْ تَعْجَبُوا ؟

وإنما أراد مالكا . وقال آخر :

وَكَلَدَتْ فَزَارَةٌ تَشْقَى بِنَا فَأُولَى فَزَارَةٌ أُولَى فَزَارَا

وقال (أوس) وهو الذي يسميه النجويون « الترخيم » :

تَنَكَّرْتُ مِنَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ لَيْمِي

أراد : ليميس . وهذا كثير في أشعارهم ، وما أحسب في كتاب الله

جل ثناؤه منه ، إلا أنه رُوي عن بعض القُرَآة أنه قرأ « وَنَادَوْا يَا مَالِ »

(١) « فلان » منادى والجملة من رجز له وتماه : في لجه امسك فلان عن فل

أراد « يا مالك » والله أعلم بصحة ذلك . وربما وقع الحذف في الأول
نحو قوله :

بسم الذي في كل سورة سمة
أراد « اسمه » و « لاه ابن عمك » أراد : الله ابن عمك .

باب المحاذاة

معنى المحاذاة — أن يجعل كلامٌ بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظاً
وإن كانا مختلفين فيقولون « الغدايا والعشايا » فقالوا « الغدايا » لانضمامها إلى
« العشايا » . ومثله قولهم « أعوذ بك من السامة واللامّة » فالسامة من قولك
« سمّت » إذا خصّت و « اللامّة » أصلها « أَلَمْتُ » لكن لما قرنت
بالسامة جعلت في وزنها . وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب
كتابة المصحف ، كتبوا « والليل إذا سجي » بالياء وهو من ذوات الواو
لما قرُن بغيره مما يكتب بالياء . قال : ومن هذا الباب في كتاب الله جل ثناؤه
« ولو شاء الله لسلطهم عليكم » فاللام التي في « لسلطهم » جواب « لو »
ثم قال « فلقاتلوكم » فهذه حُوذِيَتْ بتلك اللام ، وإلا فالعنى : لسلطهم عليكم
فقاتلوكم . ومثله « لاَعِدَّ بَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَا ذِمَّةَ — فهما لا ما قسم ثم
قال — أُولَيَا تِنِي » فليس ذا موضع قسم لأنه عُدْرٌ للهدهد فلم يكن ليُقسم
على الهدهد أن يأتي بعذر ، لكنه لما جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه
مجراه ، فكذا باب المحاذاة . قال : ومن الباب « وَزَنَّتْهُ فَاتَزَنَ » وكَلَّتْهُ
فَاكْتَالُ » أي استوفاه كيلاً ووزناً . ومنه قوله جل ثناؤه « فما لكم
عليهن من عِدَّةٍ تعتدّونها » تستوفونها لأنها حق للأزواج على النساء .

ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه ، نحو « إنما نحن مستهزؤن ، الله يستهزئ بهم » أي يجازيهم جزاء الاستهزاء . و « مَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ » و « يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ » و « تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ » و « جزاء سَيِّئِهِ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » . ومثل هذا في شعر العرب قول القائل :

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

باب الاضمار

من سنن العرب الاضمار . ويكون على ثلاثة أضرب : إضمار الأسماء ، وإضمار الأفعال ، وإضمار الحروف .

فمن إضمار الأسماء قولهم « أَلَا يَسْلَمِي » يريدون « أَلَا يَاهُذِهِ اسْلَمِي » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ » بمعنى : أَلَا يَاهُؤُلَاءِ اسجدوا . فلما لم يذكر « هُؤُلَاءِ » بل أضمرهم اتصلت « يَا » بقوله « اسجدوا » فصار كأنه فعل مستقبل . ومثله قول (ذي الرمة) :

أَلَا يَسْلَمِي يَادَارِمِي عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرَاعِكَ الْقَطَرُ
وأخبرني علي بن ابراهيم عن محمد بن فرح عن سلمة عن (الفراء) سمع بعض العرب يقول « أَلَا يَرْحَمُنَا » يعني : أَلَا يَارَبَّنَا ارْحَمْنَا . ويقولون :

يَاهْل أَتَاهَا عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ

يقولون لي يَحْلِفُ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ

و :

بمعنى : يَاهَذَا احْلِفْ .

وَيُضْمَرُونَ مِنَ الْأَسْمَاءِ « مَنْ » فيقولون « مَا فِي حَيْنَا إِلَّا هُ إِبِلٌ » أي : مَنْ لَهُ إِبِلٌ . و « كَذَبْتُمْ بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا » أي : مَنْ شَابَ . وفي

كتاب الله جل ثناؤه « وما منّا إلا له مقام » أي : من له . ويضمرون
« هذا » كقول (حميد) :

أنت الهلالي الذي كان مرّةً سمعنا به والأرحيُّ المَعْلَفُ
أي : وهذا الأرحيُّ ، يعني بغيره .

باب اضممار الحروف

ويضمرون الحروف فيقول قائلهم (١) :

ألا أي هذا الزّاجري أشهد الوغى

بمعنى أن أشهد . ويقولون « والله لكان كذا » بمعنى لقد . ويقول (النابغة) :

لكافيتني ذنبَ امريء

وفي كتاب الله جل ثناؤه « الم . غلبت الروم » قالوا : معناها لقد غلبت .
إلا أنه لما أضمّر « قد » أضمّر اللام . وفي كتاب الله جل ثناؤه « سنعيد لها
سيرتها الأولى » فقالوا : إلى سيرتها . و « اختار موسى قومه » أي من
قومه . ويقولون « اشتفتك » أي إليك . و « هل يسمعونكم » بمعنى
لكم . و « أوجأؤكم حصرت » أي قد حصرت . ويقول قائلهم « حلفتُ
بالله لنأموا » أي لقد . وفي كتاب الله جل ثناؤه « فإن أُحصرتُم فما استيسرَ
من الهذي » أي فعليكم . وقيل في قوله جل ثناؤه « وترغبون أن
تنكحوهن » معناها عن . وقوم يقولون : في أن تنكحوهن . وفي كتاب
الله جل ثناؤه « ومن آياته يُريكم البرق » أي أن يريكم . وكقوله جل ثناؤه
« ومن آياته أن خلق » .

(١) هو (طرفة بن العبد) من مملقته . - راجع صفحة ١٠٤ من (الصاحبي) .

باب اضمار الافعال

من ذلك « قيل . ويقال » . قال الله جل ثناؤه « فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم » معناه : فيقال لهم ، لان « أمّا » لا بد لها في الخبر من فاء ، فلما أضمر القول أضمر الفاء . ومثله :

فلا تدفوني إن دفني محرّمٌ عليكم ولكن خاسري أمّ عامر
أي اتركوني للتي يقال لها « خاسري » . ومنه « ثم يخرجكم طفلاً
ثم لتبلغوا أشدكم » أي : يعمركم لتبلغوا أشدكم . ومن باب الاضمار
« أئملوا وتقرّ » أي : أترى ثعلباً . وفي كتاب الله جل ثناؤه « وتلقاهم
الملائكة هذا يومكم » أي يقولون . و« أسرّ رجلٌ أسيراً ليلاً فلما أصبح رآه
أسود فقال : أعبداً سائر الليلة » كأنه قال : أراني أسرت عبداً . ومن
الاضمار « قل لمن مافي السماوات والارض ، قل لله » فهذا مضمّر كأنه لما
سألهم عادوا بالسؤال عليه فقل له : قل لله . ومن الاضمار « فقلنا اضربوه
بعضها ، كذلك - معناه : فضربوه فحياً ، كذلك - يحيي الله الموتى » .
ومثله في كتاب الله كثير .

باب من الاضمار الآخر

العرب تضمّر الفعل فيشتبه المعنى حتى يُعتبر فيوقف على المراد . وذلك
كقول (الخنساء) :

يا صخرُ وراَدَ ماءٌ قد تناذَرَهُ اهلُ المَواردِ ما في وِرْدِهِ عارُ

ظاهر هذا أن معناه : ما على من وردّه عار ، وليس في ورد الماء عار
فَيُجَحِّبُ به . ولكن معناه : ما في ترك وِرْدِهِ مخافةً عارُ . وإنما عنت أنه ورد

ماءً مخوفاً يتحاماه الناس فيُنذِرُ بعضهم بعضاً ، تقول : فهو يرد هذا الماء
لجُرْأَتِهِ . ومثله قول (النابغة) :

فإني لا ألامُ على دخول ولكن ماوراءك يا عصامُ
يقول : لا ألام على ترك الدخول ، لأنَّ النُّعمان قد كان نذر دَمَةٍ متى
راه ، فخطب بهذا الكلام حاجبه . وقال (الأعشى) :

أأزمت من آل ليلى ابتكاراً وشطت على ذي هوى أن تزارا؟
ظاهرُ هذا : أأزمت أن تبسك منهم . وإنما المعنى : أأزمت من
أجل آل ليلى وشوقك إليهم أن تبسك من أهلك ؟ لأنه عزم الرحلة إليها
لأعنها ، ألا تراه يقول :

وبانت بها غربات النوى وبذلت شوقاً بها وادّ كارا
وفي كتاب الله جل ثناؤه « ألا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر أن يجاهدوا » التأويل : لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم
الآخر أن يقعدوا عن الجهاد .

باب التعويض

من سنن العرب التعويض - وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة . فيقيمون
الفعل الماضي مقام الراهن ، كقوله جل ثناؤه « قل سننظر أصدقت أم
كنت من الكاذبين » المعنى : أم أنت من الكاذبين . ومنه « وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها » بمعنى : أنت عليها .

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الأمر ، كقوله جل ثناؤه « فسبحان
الله حين تمشون وحين تُسبِّحون » والسبحة : الصلاة . يقولون « سبِّحْ »

سُبْحَةَ الضحى . فتأويل الآية : سَبَّحُوا اللَّهَ جَل ثناؤه ، فصار في معنى الأمر والاعراء ، كقوله جل ثناؤه « فَضْرَبَ الرَّقَابَ » .

ومن ذلك إقامة الفاعل مقام المصدر ، يقولون « قُمْ قائماً » قال :

قُمْ قائماً ، قُمْ قائماً لَقِيتَ عبداً نائماً

وعُشْرَاءَ رائماً وأمةً مُرَاغماً

وفي كتاب الله جل ثناؤه « لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَذِبَةٌ » أي تكذيب .

ومن ذلك إقامة المفعول مقام المصدر ، كقوله جل ثناؤه « بَأْيَكُمْ

المفتون » أي الفتنة . تقول العرب « ماله معقول » وحلفَ مَحْلُوفَهُ بِاللَّهِ .

وجَهَدَ مَجْهُودَهُ . ويقولون « ماله معقول ولا مجلود » يريدون العقلَ

والجلد . قال (الشماخ) :

من اللواتي إذا لانت عريكتها يبقى لها بعدها آل ومجلودُ

ويقول الآخر :

إن أخوا المجلود من صبرا

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الفعل ، يقولون « لَقِيتَ زيدا وقِيَانَهُ

كذا » أي يقول كذا . قال (كعب) :

بِسْمِ الوُشَاةِ حَوَالِيهَا وَقِيلَهُمْ إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلَيْمٍ لَمَقْتُولُ

تأويله : يقولون . ولذلك نصب .

ومن ذلك وضعهم « فَعِيلًا » في موضع « مُفْعَلٍ » نحو « أَمْرٌ حَكِيمٌ »

بمعنى مُحَكَّم . ووضعهم « فَعِيلًا » في موضع « مُفْعَلٍ » نحو « عَذَابٌ أَلِيمٌ »

بمعنى مؤلم وتقول :

أَمِنْ رِيحَانَةٍ (١) الداعي السميعُ

بمعنى : مسمِع .

ومن ذلك وضعهم : « مفعولاً » بمعنى « فاعل » كقوله جل ثناؤه « حجاباً مستورا » أي ساتراً ، وقيل : مستوراً عن العيون كأنه أخذته لا يُحِسُّ بها أحد .

ومن ذلك إقامة الفعل مقام الحال كقوله جل ثناؤه « يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبّني مرضاة أزواجك ؟ » أي مبتغياً . وقال :
الريحُ تبكي شجوهُ والبرقُ يلمعُ في غمامه
أراد : لامعاً .

باب من النظم الذي جاء في القرآن

من نظوم كتاب الله جل ثناؤه (الاقطعاص) - وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها . كقوله جل ثناؤه « وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين » والآخرة دار ثواب لا عمل ، وهو مقتصٌ عن قوله « ومن يأت به مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك هم الدرجات العلى » . ومنه قوله جل ثناؤه « ولولا نعمة ربّي لكنت من المحضرين » مأخوذ من قوله جل ثناؤه « فأولئك في العذاب محضرون » وقوله « ثم لنحضرنهم حول جهنم » . فأما قوله جل ثناؤه « ويوم يقوم الأشهاد » فيقال : إنها مقتصة من أربع آيات لأن « الأشهاد » أربعة : الملائكة في قوله جل ثناؤه « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » والابناء صلوات

الله عليهم « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » وأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله جل ثناؤه « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » والأعضاء لقوله جل ثناؤه « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ».

ومن الاختصاص قوله جل ثناؤه « إني أخاف عليكم يوم التناد » قرأت مخففة ومشددة: فمن شدد فهو « نداء » إذا نذر ، وهو مقتص من قوله « يوم يفر المرء من أخيه » الى آخر القصة ، ومن خفف فهو تفاعل من النداء مقتص من قوله جل ثناؤه « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة . ونادى أصحاب الأعراف » وما أشبه هذان الآي التي فيها ذكر النداء .

باب الأمر المحتاج الى بيان وبيان متصل به

قال الله جل ثناؤه « ويسألونك عن الأنفال » — فبيان هذا السؤال متصل به وهو قوله جل ثناؤه — قل الأنفال لله والرسول « ومثله « يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات » و « يسألونك عن الساعة ، قل إنما علمها عند ربي » ومنه « أم يقولون شاعر تتر بصر به ريب المنون ، قل تر بصوا » فهذا وما أشبهه هو الابتداء الذي تمامه متصل به .

باب ما يكون بيانه مضمراً فيه

وذلك مثل قوله جل ثناؤه « حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها » فهذا محتاج الى بيان لأن « حتى إذا » لا بد لها من تمام فالبيان هاهنا مضمّر ، قالوا: تاويله : حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها . ومثله « ولو أن قرآننا سیرت

به الجبال» فتمامه مضمركا أنه قال جل ثناؤه : لكان هذا القرآن . وهذا هو الذي يسمى في سنن العرب « باب الكف » وقد ذكر .

باب ما يكون بياناً منفصلاً منه

ويجيء في السورة معها أو في غيرها

قال الله جل ثناؤه « وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » قال أهل العلم : بيان هذا العهد قوله جل ثناؤه « لئن أقم الصلاة وآتيت الزكاة وآمنتم برسلي » الآية ، فهذا عهده جل ثناؤه ، وعهدهم تمام الآية في قوله جل ثناؤه « لا كفران عنكم سيئاتكم » فإذا وفوا بالعهد الأول أعطوا ما وعدوه . وقال جل ثناؤه « ويقول الذين كفروا ألست مرسلًا ؟ » فالرد على هذا قوله جل ثناؤه « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين » وهذا هو الذي يسميه أهل القرآن جواباً . ومن الباب قوله جل ثناؤه في الاخبار عنهم « ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون » ف قيل لهم « ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍ لآجوا في طغيانهم » . ومن الباب قوله جل ثناؤه « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » فرد عليهم حين قيل « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ، ما كان لهم الخيرة » . ومن الباب قوله « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن » ومنه قوله « الرحمن علم القرآن » . ومنه قوله « قالوا قد سمعنا لنشاء لقلنا مثل هذا » ف قيل لهم « لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله » . ومنه « وانطلق الملائمهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم » ف قيل لهم في الجواب « فان يصبروا فالنار مثوى لهم » . ومنه « أم يقولون

نحن جميع مُنتَصِر» فقل لهم «مآلکم لا تَنَاصِرُونَ» . ومنه قوله جل ثناؤه في قصة من قال «لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُلُوا» فردَّ عليهم بقوله «لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتلُ الى مَضَاجِعِهِمْ» . ومن الباب قوله جل ثناؤه «أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ» فردَّ عليهم «ولو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَا خَذُنَا مِنْهُ بِالْإِيمَانِ» . ومنه قوله جل ثناؤه حكاية عنهم «مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَا كُلَّ طَعامٍ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» قيل لهم «وما أرسلنا قبلك من المرسلين إِلَّا أَنَّهُمْ لِيَا كُونا الطَّعامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ» . ومنه قوله جل ثناؤه «وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» فقل في سورة أخرى «وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ» . ومنه «ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ فَادَاهُمُ قَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ» فنفسي هذا الاختصاص ما قيل في سورة أخرى «قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ: اتَّاهُونَ أَنْ صَالِحاً مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ» الى آخر القصة . وقال في قصة قوم «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فالبشرى قوله جل ثناؤه في موضع آخر «تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ» . ومنه حكاية عن فرعون أنه قال «وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» فردَّ الله عليه في قوله جل ثناؤه «وما أمر فرعون برشيد» . ومن الباب قوله جل ثناؤه «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ» وذكرُ هذا الحلف في قوله جل ثناؤه «والله ربنا ما كنا مشركين» . ومنه قوله جل وعز في قصة نوح عليه السلام «إِنِّي مُغْلَوْبٌ فَانْتَصِرْ» فقل في موضع آخر «ولنصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا» . ومنه قوله جل ثناؤه «وقالوا قلوبنا غلفٌ» أي أَوْعِيَةٌ لِلْعِلْمِ فقل لهم «وما أَوْعَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» .

وهذا في القرآن كثير أفردنا له كتاباً وهو الذي يسمى (الجوابات).

باب آخر من نظوم القرآن

وذلك أن تجيء الكلمة الى جنب الكلمة كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متصلة بها : قال الله جل ثناؤه « إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً . وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » فقوله « وكذلك يفعلون » من قول الله جل اسمه لا قول المرأة . ومنه « الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَارَ أَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ — انتهى قول المرأة ثم قال يوسف — ذلك ليعلم المَلَكُ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ » . ومنه « يَا وَيْلَتَا مَنُ بَعَثَانَا مِنْ مَرْقَدِنَا — وتمَّ الكلام فقالت الملائكة — هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ » ومنه قوله جل ثناؤه « إِنْ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ — فهذه صفة الاتقياء المؤمنين ثم قال — وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ » فهذا رَجَعَ عَلَى كِفَارِ مَكَّةَ أَنْ كَفَّارَ مَكَّةَ يَمُدُّهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ فِي الْغَيِّ .

باب اضافة الشيء الى من ليس له

لكن أضيف اليه لا اتصاله به

وذلك قوله « سَرَجُ الْفَرَسِ » و « ثَمَرَةُ الشَّجَرَةِ » و « غَنَمُ الرَّاعِي »

قال الشاعر :

فَرَوْحَهُنَّ يَحْدُوهُنَّ قَصْرًا

كَمَا يَحْدُو قَلَائِصَهُ الْأَجِيرُ

باب آخر من الاضافة

ومن ذلك اضافة الشيء الى نفسه والى نعمته .

فالاضافة الاولى قول (النذر) :

سَقِيَّةٌ بَيْنَ أَنْهَارٍ وَدُورٍ وَزَرْعٍ نَابِتٍ وَكُرُومٍ جَفْنٍ
وَالْجَفْنُ هُوَ الْكَرْمُ .

فأما اضافته الى نعمته فقولهم « بَارِحَةُ الْاُولَى . وَيَوْمُ الْخَمِيسِ . وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « وَلَدَارُ الْآخِرَةِ » و « حَقُّ الْيَقِينِ » .

باب جمع شيئين في الابتداء بهما

وجمع خبريهما ، ثم يُرَدُّ الى كل مبتدئ به خبره

من ذلك قول القائل « اِنِي وَايَاكَ عَلَى عَدَلٍ اَوْ عَلَى جَوْرِ » فجَمَعَ

شيئين في الابتداء وجمع الخبرين ، ومراده : اِنِي عَلَى عَدَلٍ وَايَاكَ عَلَى جَوْرِ . وهذا في كلامهم وأشعارهم كثير . قال (امرؤ القيس) :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لَدَى وَكَرَّهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

أراد : كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا الْعُنَابُ وَيَابَسًا الْحَشَفُ . ومن هذا في

القرآن « وَاَنَا وَايَاكُمْ لَعَلِّي هَدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » معناه : وَاَنَا عَلَى

هَدَىٰ وَايَاكُمْ فِي ضَلَالٍ . ومنه قوله جل ثناؤه « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمْنَ

وَاسْتَكْبَرْتُمْ » اِذَا رُدَّ كُلُّ شَيْءٍ إِلَىٰ مَا يَصْلَحُ أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ كَانَ التَّأْوِيلُ : قُلْ

أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمْنَ

وكفرتم به واستكبرتم . ومثله « وزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهَ قَرِيبٌ » قَالُوا : لَمَّا لَمْ يَصْلَحْ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ كَانَ التَّأْوِيلُ : وَزُلْزِلُوا حَتَّى قَالَ الْمُؤْمِنُونَ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ فَقَالَ الرَّسُولُ أَلَا إِنَّا نَصَرَ اللَّهَ قَرِيبٌ . رُدَّ كُلُّ كَلَامٍ إِلَى مَنْ صَاحَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ . وَمِنْ الْبَابِ قَوْلُ (ذِي الرُّمَّةِ) :

مَا بِالْأَعْيُنِ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ
وَقَرَاءَ غَرَفِيَّةٍ أَثَايَ خَوَارِزُهَا مُشَلَّشِلٌ ضَيَّعَتْهُ بَيْنَهَا الْكُتُبُ

فَعْنَى الْيَمِينِ : كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ وَقَرَاءَ غَرَفِيَّةٍ أَثَايَ خَوَارِزُهَا سَرَبُ مُشَلَّشِلٌ ضَيَّعَتْهُ بَيْنَهَا الْكُتُبُ . وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ » الْمَعْنَى : جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ . وَمِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ » تَأْوِيلُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ : وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ . قَالَ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ (أَمْرِئِ الْقَيْسِ) :

فَلَا وَأَيُّكَ ابْنَةُ الْعَامِرِيِّ لَا يَدْعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفْرُ
تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَأَشْيَاعُهَا وَكَنْدَةُ حَوْلِي جَمِيعًا صَبْرُ

مَعْنَاهُ : لَا يَدْعِي الْقَوْمُ تَمِيمُ وَأَشْيَاعُهَا أَنِّي أَفْرُ وَكَنْدَةُ حَوْلِي .

باب التقديم والتأخير

من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر ، وتأخيرُه وهو في المعنى مُقدّم . كقول (ذي الرّثمة) :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

أراد : ما بالاك عينك ينسكب منها الماء . وقد جاء مثل ذلك في القرآن قال الله جل ثناؤه « ولو ترى إذ فرّعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » تأويله والله أعلم : ولو ترى إذ فرّعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت . لأنّ لا فوت يكون بعد الأخذ . ومن ذلك قوله جل ثناؤه « هل أناك حديث الغاشية - يعني القيامة - وجود يومئذ خاشعة » وذلك يوم القيامة ثم قال « عاملة ناصبة » والنصب والعمل يكونان في الدنيا ، فكأنه إذا على التقديم والتأخير معناه : وجود عاملة ناصبة في الدنيا ، يومئذ - أي يوم القيامة - خاشعة . والدليل على هذا قوله جل اسمه « وجود يومئذ ناعمة » . ومنه قوله جل ثناؤه « فلا تهجّبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا » المعنى : لا تهجّبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا . وكذلك قوله جل ثناؤه « فألقه اليهم ثم تولّ عنهم فانظروا ماذا يرجعون » معناه : فألقه اليهم فانظروا ماذا يرجعون ثم تولّ عنهم . ومن ذلك قوله جل ثناؤه « إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون » تأويله : لمقت الله إياكم في الدنيا حين دُعيتُم إلى الإيمان فكفرتُم ، ومقتّه إياكم اليوم أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم إذا دعيتُم إلى الحساب وعند ندِمكم على ما كنتمكم . ومنه قوله جل ثناؤه « ولولا كلمة

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لَزَامًا وَأَجَلٌ مَسْمًى « فَأَجَلٌ مَعْطُوفٌ عَلَى كَلِمَةٍ ،
التَّأْوِيلُ : لَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مَسْمًى - أَرَادَ الْإِجْلَ الْمَضْرُوبَ
لَهُمْ وَهِيَ السَّاعَةُ - لَكَانَ الْعَذَابُ لَزَامًا لَهُمْ .

باب الاعتراض

وَمِنْ سُنَنِ الْعَرَبِ أَنْ يَعْتَرِضَ بَيْنَ الْكَلَامِ وَتَمَامِهِ كَلَامٌ ، وَلَا يَكُونُ هَذَا
الْمَعْتَرِضُ إِلَّا مُفِيدًا . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ « اْعْمَلْ - وَاللَّهُ نَاصِرِي -
مَا شِئْتَ » إِنَّمَا أَرَادَ : اْعْمَلْ مَا شِئْتَ . وَاعْتَرِضَ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ « اْعْتَرِضَ .
قَالَ (الشَّمَاخ) :

لَوْلَا ابْنُ عَفَّانَ وَالسُّلْطَانُ مَرْتَقِبٌ أوردتُ فُجَاءً مِنَ اللَّعْبَاءِ (١) جَاهُودِي
قَوْلُهُ « وَالسُّلْطَانُ مَرْتَقِبٌ » مَعْتَرِضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ « لَوْلَا ابْنُ عَفَّانَ »
وَقَوْلِهِ « أوردتُ » . وَمِنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ جُلُّ ثَنَائِهِ « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ
- فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ - فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ » إِنَّمَا أَرَادَ : إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي
وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ . وَاعْتَرِضَ بَيْنَهُمَا قَوْلُهُ : فَعَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْتُ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ (الْأَعَشَى) :

فَإِنْ يُمْسِ عِنْدِي الْهَمُّ وَالشَّيْبُ وَالْعِشَا

فَقَدْ بَنَى مِنِّي وَالسَّلَامُ تَتَلَقَّى

بِأَشْجَعِ أَخَاذٍ عَلَى الدَّهْرِ حُكْمَهُ

فَمَنْ أَيْ مَا تَجْنِي الْحَوَادِثُ أَفْرِقْ

أرادَ : بِنَ مَنِي بِأَشْجَع . وَالسَّلَام تَمَلَّقُ اعْتِرَاض . وَمِثْل هَذَا فِي كِتَابِ
اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ وَاشْعَارِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ ، وَأَمَّا نَذَكْرُ مِنَ الْبَابِ رَسْمًا .

باب الایماء

الْعَرَبُ تُشِيرُ إِلَى الْمَعْنَى إِشَارَةً وَتُؤَمِّي إِيمَاءً دُونَ التَّصْرِيحِ ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ
« لَوْ أَنَّ لِي مَنْ يَقْبَلُ مَشُورَتِي لِأَشْرْتُ » وَأَمَّا يَحْتِثُّ السَّامِعَ عَلَى قَبُولِ
الْمَشُورَةِ . وَهُوَ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا غَرَّدَ الْمُكَاةُ فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ

فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمَرَاتِ

أَوْمًا إِلَى الْجَذْبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُكَاةَ ، يَا نَفْسُ الرِّيَاضِ ، فَإِذَا أُجْدِبَتْ
الْأَرْضُ سَقَطَ فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ . وَمِنْهُ قَوْلُ (الْأَفْوَهِ)

إِنَّ بَنِي أَوْدِهِمْ مَا هُمْ إِلَّا حَرْبٌ أَوَّلُ الْجَذْبِ عَامَ الشَّمُوسِ

أَوْمًا بِقَوْلِهِ « الشَّمُوسُ » إِلَى الْجَذْبِ وَقِلَّةِ الْمَطَرِ وَالْغَيْمِ ، أَيْ إِنَّ كُلَّ أَيَّامِهِمْ
شَمُوسٌ بِلَا غَيْمٍ . وَيَقُولُونَ « هُوَ طَوِيلٌ نِجَادِ السَّيْفِ » إِنَّمَا يَرِيدُونَ طَوْلَ
الرَّجُلِ . وَ« غَمَرُ الرَّدَاءِ » يَوْمُؤُنَ إِلَى الْجُودِ . وَ« فِدَاؤُهُ ثَوْبِي » وَ« هُوَ
وَاسِعٌ جَيْبِ الْكُمِّ » إِيمَاءٌ إِلَى الْبَذْلِ . وَ« طَرِبُ الْعَنَانِ » يَوْمُؤُنَ إِلَى
الْخَفَةِ وَالرَّشَاقَةِ . وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاهُ « وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ
مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ » هَذَا إِيمَاءٌ إِلَى
« أَنْ يُصِيبُونِي بَسْؤٌ » وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ « اللَّبَنُ مُحْضُورٌ » أَيْ :

تُصِيبُهُ الْآفَاتُ .

باب اضافة الفعل الى من وقع به ذلك الفعل

ومن سنن العرب اضافة الفعل إلى من يقع به ذلك الفعل . يقولون « ضربت زيدا وأعطيته بعداً — ضربه — كذا » فينسب الضرب إلى زيد وهو واقع به . قال الله جل ثناؤه « ألم . غلبت الروم — فالغلبة واقعة بهم من غيرهم ثم قال — وهم من بعد غلبهم سيفلون » فأضاف الغلب إليهم ، وإنما كان كذا لأن الغلب وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم . ومثله « وآتى المال على حبه » . و « يطعمون الطعام على حبه » فالحب في الظاهر مضاف إلى الطعام والمال ، وهو في الحقيقة لصاحب الطعام وصاحب المال . ومثله « ولِمَنْ خاف مقام ربه » و « ذلك لمن خاف مقامي » أي مقامه بين يدي . ومثله قول (طرفة) :

وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي

فأضاف المخافة إلى نفسه وإنما المخافة للبرك .

باب ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم

في الاخبار عنه

من سنن العرب أن تُجرى الموات وما لا يعقل في بعض الكلام مجرى بني آدم ، فيقولون في جمع أرض « أرضون » وفي جمع كرة « كرون » وفي جمع إبرة « إرون » وفي جمع ظبة السيف « ظبون » وينشدون :

يَرَى الرَّأُوْنَ بِالشَّفَرَاتِ مِنْهَا كِنَارِ أَبِي حُبَابٍ وَالظُّيُنَا

ويقولون « لَقِيتُ مِنْهُ الْأَقْوَرَيْنِ » و « أَصَابَتْنِي مِنْهُ الْأَمْرُونِ » و « مضت له سنون » ويتعدون هذا إلى أكثر منه فيقول (الجعدي) :

تَمَزَّزْتُهَا وَالَّذِيكَ يُدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ ذَنَوْا فَتَصَوَّبُوا
 وقال الله جل ذكره «فِي فَلَاكِ يَسْبَحُونَ» و«لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ»
 و«إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»
 و«يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ» و«لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُّوَهَا»
 ويقولون في جمع بُرَّة «بُرَيْن» . وأكثر من قول (النافعة) قول القائل (١) :
 إِذْ أَشْرَفَ الدِّيكُ يُدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِهِ إِلَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَارِيلُ
 وجعل له أسرة وسماه قوماً .

باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء

وهم يريدونه كله

من سنن العرب الاقتصار على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله ،
 فيقولون «قَعِدَ عَلَى صَدْرٍ رَاحِلَتُهُ وَهَضَى» . ويقول قائلهم :

الوَاحِشِينَ عَلَى صُدُورِ نَعَالِهِمْ

وذكر بعض أهل اللغة في هذا الباب قول (أبيد) :

أَوْ يَرْتَبِطُ بَعْضَ النَفُوسِ حَمَامُهَا

وإنه أراد كلاً وذكروا في هذا الباب قوله جل ثناؤه «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
 يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» وقال آخرون «مِنْ» هذه للتبعية لأنهم أمروا
 بالغَضِّ عما يحرم النظر إليه . ومن الباب «يَحْدِثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» أي إياه .
 ومنه «تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي» ومنه قوله :

يَوْمًا بِأَجُودَ نَائِلًا مِنْهُ إِذَا نَفْسُ الْبَخِيلِ تَجَهَّمَتْ سُوءَ آلِهَاتِهَا

ومنه « وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ » و « تَوَاضَعْتَ سُورُ الْمَدِينَةِ » . و :

رَأَتْ مَرَّ السَّيْنِ أَخَذَنِي

و : طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي تَقْضِي

و : صَرَفَ الْمَنَآيَا بِالرَّجَالِ تَقَلُّبُ

وقال (الجمعي) :

جَزَعْتَ وَقَدْ نَالَكَ حَدٌّ مَاحِنًا بِقَوَاهَا يُثْنِي ذِكْرَهَا فِي الْمَحَافِلِ

باب الاثنين يعبر عنهما بهما مرة وبأحد هما مرة

قال (أبو زكرياء الفراء) : العرب تقول « رأيتُه بعيني . وبعيني » و

« الدارُ في يدي . وفي يدي » . وكل اثنين لا يكاد أحدهما ينفرد فهو على

هذا المثال مثل « اليدين . والرجلين » قال (الفرزدق) :

فَلَوْ بَخَلَّتْ يَدَايَ بِهَا وَضَنْتُ لَكُنْ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

فقال « ضَنْتُ » بعد قوله « يداي » . وقال :

وَكُنَّ بِالْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنَفُلٍ أَوْ سُنْبُلًا كَحِلَّتْ بِهِ فَأَهَّتْ

وقال :

إِذَا ذَكَرْتُ عَيْنِي الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى بِصَحْرَاءِ فَلَجٍ ظَلَمْنَا تَكْفِافَ

باب الحمل

هذا باب يترك حكم ظاهر لفظه لأنه محمول على معناه . يقولون « ثلاثة

أنفس » والنفس مؤنثة لأنهم حملوه على الانسان . ويقولون « ثلاث

شخص » لأنهم يحملون ذلك على أنهن نساء . و :

ان كلاباً هذه عشرُ أبطن

يذهبون الى القبائل . وفي كتاب الله جل ثناؤه « السماء منططرة » حمل على السقف . وهذا يتسع جداً . وقد ذكر في هذا الباب ما تقدم ذكره من قوله جل ثناؤه « مستهزؤون ، الله يستهزئ بهم » وهذا في باب المحاذاة أحسن . ومن الحمل قوله « أنا رسول رب العالمين » قال (أبو عبيدة) أراد الرسالة . ومن الباب قوله جل وعز « سعيراً - والسعير مذ كثر ثم قال - اذأراهم » فحمله على النار . وقوله جل ثناؤه « فأحيننا به بلدة ميتاً » حمله على المكان . ولهذا نظائر كثيرة .

باب من ألفاظ الجمع والواحد والاثنين

من الجمع الذي لا واحد له من لفظه « العالم » . والأنام . والرهط . والنهر . والمعشر . والجنود . والجيش . والناس . والغنم . والنعم . والابل . وربما كان للواحد لفظ ولا يجيء الجمع بذلك اللفظ نحو قولنا « امرؤ » . وامرآن . وقوم » و « امرأة . وامرأتان . ونسوة » .

ومن الاثنين اللذين لا واحد لهما لفظاً قولهم « كلا . وكاتما . واثنان . والمذروان . وعقلمه بثنائين . وجاء يضرب أصدر به . وأزدر به . ودواليه » من التداول و « ليك . وسعديك . وحنانيك » وقد قيل : ان واحداً حنانيك « حنان » وينشد :

فقلت : حنان ما أتى بك هاهنا أذنوسب أم أنت بالحي عارف

باب ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزء

يقولون للرجل يستجبل « يا عاقل ! » ويقول شاعرهم :
فقلت لسيدينا : يا حلي م إنك لم تأس أسوار فيقا

ومن الباب « أتاني فقرَّبته جَنَاءً وأعطيته حرماناً » ومنه قوله :
ولم يكونوا كأقوامٍ علمتهم يَقْرُونَ ضيفهم الملوِيَّةُ الجُدُدا
يعني : السَّياط . ويقول (الفرزدق) :
قَرَيْنَاهُمُ الْمَأْثُورَةَ الْبَيْضَ

وقال (عمرو) :

قَرَيْنَا كَمْ فَعَجَّلْنَا قَرَا كَمْ قَبِيلَ الصَّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
ومن الباب حكايةً عنهم « إِنَّكَ لَا أَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ » .

باب الكف

ومن سنن العرب الكفُّ . وهو أن يكفَّ عن ذِكْرِ الْخَبَرِ اِكْتِفَاءً
بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ . كقول القائل :

وَجَدْتُكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولَهُ سِوَاكَ . وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْكَ مَدْفَعًا
المعنى : لو أَتَانَا رَسُولُ سِوَاكَ لَدَفَعْنَاهُ . وقال آخر :

إِذَا قُلْتُ سِيرِي نَحْوَ لَيْلٍ لَعَلَّهَا . جَرَى دُونَ لَيْلٍ مَائِلُ الْقَرْنِ أَعْضَبُ
وَتَرَكْتُ خَبَرَ « لَعَلَّهَا » . وقال :

فَمَنْ لَهُ فِي الطَّعْنِ وَالضَّرَابِ يَلْمَعُ فِي كَفِيٍّ كَالشَّهَابِ
أَي : مَنْ لَهُ فِي سَيْفٍ . ومنه قوله جَلَّ وَعَزَّ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ « أَفَلَا
تَبْصُرُونَ أَمْ » أَرَادَ : أَمْ تَبْصُرُونَ . ومما يقرب من هذا الباب قوله (١) :

تَضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةٌ مُمَسَّى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلٍ
أَرَادَ : سِرْجُ مَنَارَةٍ .

(١) هو (امرؤ القيس) في معلقته .

باب الاعارة

العرب تُعير الشيء ما ليس له . فيقولون « مرّ بين سمع الأرض
وبَصَرِها » ويقول قائلهم :

كذلك فعله والناس طُرّاً بكفّ الدهر تقتلهم ضروباً
فجعل للدهر كفاً . ويقولون :

ثأرتُ (المسمعين) وقلت بواً بقتل أخي فزارة والخيار
قال (الأصمعي) : لم يكن واحد منهما مسمعا وإنما كانا (عامراً)
و (عبد الملك) ابني (مالك بن مسمع) فأعارهما اسم جدّهما . ومثله
(الشعثمان) لم يكن اسم أحدهما شعثما وإنما أعيرا اسم أبيهما (شعثم) .
ومثله (المهالبة) و (الأشعرون) .

باب أفعل في الأوصاف لايراد به التفضيل

يقولون « جرى له طائر أشأم » ويقول شاعرهم (١) :

هي الهم لو أن النوى أصقبت بها ولكن كرا في ركوبة أعسر (٢)
وقال (الفردق) :

ان الذي سمك السماء بني لنا عزّا دعائمه أعزّ وأطول
وقال (أبو ذؤيب) :

مالي أحنّ إذا جمالك قرّبت وأصدّ عنك وأنت مني أقرب
وقال :

(١) هو (بشر بن أبي خازم) - الاصل

(٢) هذا مثل للعرب تضربه في كل أمر شديد . و (ركوبة) ثنية - الاصل .

بُيِّنَهُ مِنْ آلِ النَّسَاءِ وَإِنَّمَا يَكُنَّ لَأَدْنَى لَأَوْصَالِ لَغَائِبٍ
 وَيَقُولُونَ : إِنْ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « وَهَرَّ أَهْوُنُ عَلَيْهِ » .
 بَابُ نَفْيِ الشَّيْءِ جَمَلَةً مِنْ أَجْلِ عَدَمِ كَمَالِ صِفَتِهِ
 قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ فِي صِفَةِ أَهْلِ النَّارِ « لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى » فَتَنَفَى عَنْهُ
 الْمَوْتُ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْتٍ مُرِيحٍ وَنَفَى عَنْهُ الْحَيَاةَ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَبْقِي حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَا
 نَافِعَةً . وَهَذَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ ، قَالَ (أَبُو النَّجْمِ) :
 يُلْقَيْنَ بِالْخَبَارِ وَالْأَجَارِعِ كُلَّ جَهِيضٍ لَيْنٍ الْأُكَارِعِ
 لَيْسَ بِمَحْفُوظٍ وَلَا بِضَائِعٍ
 لِأَنَّهُ مُوجُودٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ :
 بَلَاءٌ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ
 وَقَالَ :

وَقَدْ أَجُوبُ الْبَلَدِ الْبَرَّاحَا الْمَرْمَرِيسَ الْقَفْرَةَ الصَّحْصَاحَا
 بِالْقَوْمِ لَا مَرْضَى وَلَا صَحَاهَا
 وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ « لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ،
 وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ » وَمِنْهُ « وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 خَلَقٍ - فَأُثْبِتَ عِلْمًا ثُمَّ قَالَ - وَلِبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »
 لَمَّا كَانَ عِلْمًا لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ كَانُوا كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَمِنْ الْبَابِ قَوْلُ (مُسْكِينِ) :
 أَغْنَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي السَّيْرُ
 وَأَصَمُّ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِالْسَّمْعِ مِنْ وَفَرٍ (١)

جعل نفسه أعمى أصمّ لما لم ينظر ولم يسمع . وقال آخر :
 وكلامٌ بسِيٍّ قد وُقِرَتْ أَذُنِي عنه وما بي من صممٍ
 وقريب من هذا الباب قوله جل وعز « وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى » أي ما هم بسُكَارَى مشروب ولكن سُكَارَى فزع وَوَلَهُ . ومن
 الباب قوله جل ثناؤه « لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » وهم قد
 نطقوا بقولهم « يَا لَيْتَنَا ثَرَدٌ » لكنهم نطقوا بما لم ينفع فكأنهم لم ينطقوا .

باب الشرط

الشرط على ضربين : شرط واجب إعماله كقول القائل « إن خرج زيدٌ خرجتُ » . وفي كتاب الله جل ثناؤه « فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا » .

والشرط الآخر مذکور إلا أنه غير معزوم عليه ولا محتوم، مثل قوله
 « فلا جناحَ عليهما أن يتراجعا إن ظنّا أن يقيما حدودَ الله » فقوله « إن ظنّا » شرط لإطلاق المراجعة . فلو كان محتوماً مفروضاً لما جاز لهما أن يتراجعا إلا بعد الظن أن يقيما حدود الله . فالشرط هاهنا كالمجاز غير المعزوم . ومثله قوله جل ثناؤه « فذَكَرْكُمْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى » لأن الأمر بالتذكير واقع في كل وقت . والتذكير واجب نفع أو لم ينفع ، فقد يكون بعض الشروط مجازاً .

باب الكناية

الكناية لها بابان : أحدهما أن يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه
 تحسيناً للفظ أو إكراماً للمذكور ، وذلك كقوله جل ثناؤه « وقالوا لجلودهم :

لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ » قالوا : إن الجلود في هذا الموضوع كناية عن آراب
الإنسان . وكذلك قوله جل ثناؤه « ولكن لا تواعدوهنَّ سرًّا » إنه
النكاح . وكذلك « أوجاء أحدٌ منكم من الغائط » والغائط : مظنة من
الأرض . كل هذا تحسين اللفظ والله جل ثناؤه كريم يَكْنِي كما قال في قصة
عيسى وأمه عليهما السلام « ما المسيح بنُ مريمَ إلا رسولٌ قد خلت من
قبله الرُّسلُ ، وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ، كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ » كناية عما لا بدَّ
لأكل الطعام منه .

والكناية التي للتبجيل قولهم « أبو فلان » صيانة لاسمه عن الابتذال .
والكنى مما كان للعرب خصوصاً . ثم تشبه غيرهم بهم في ذلك .

باب الثاني من الكناية

الاسم يكون ظاهراً مثل « زيد . وعمرؤ » . ويكون مكنياً وبعض
النحويين يسميه مضمراً ، وذلك مثل « هو . وهي . وهما . وهنَّ » .
وزعم بعض أهل العربية أن أول أحوال الاسم الكناية ، ثم يكون
ظاهراً . قال : وذلك أن أوّل حال المتكلم أن يخبر عن نفسه ومخاطبه فيقول
« أنا . وأنت » وهذان لظاهر لهما . وسائر الأسماء تظهر مرة ويكنى
عنها مرة .

والكناية متصلة ومنفصلة ومستجنة . فالمتصلة التاء في « حملتُ . وقتُ » .
والمنفصلة قولنا « إياهُ أردتُ » . والمستجنة قولنا « قام زيدُ » فإذا كنينا
عنه قلنا « قام » فتستتر الاسم في الفعل .

وربما كنى عن الشيء لم يجز له ذكر ، في مثل قوله جل ثناؤه « يؤفكُ

عنه « أي يؤفك عن الدين أو عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . قال أهل العلم : وإنما جاز هذا لأنه قد جرى الذّكر في القرآن . قال (حاتم) : أمّاويّ ما يُفني الشراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر فكنى عن النفس فقال « حشرجت » ويقولون : إذا اغبرّ أفتى وهبت شمالاً

أضمر الريح ولم يجر لها ذكر .

ويكنى عن الشيثين والثلاثة بكناية الواحد ، فيقولون « هو أثنان الناس وأخبثه » وهذا لا يكون إلا فيما يقال هو أفعل ، قال الشاعر : شرّ يومئها وأشقاء لها ركبت عزّز به يحمل جملاً ولم يقل « أشقاها » .

وتكون الكناية متصلةً باسم وهي لغيره ، كقوله جل ثناؤه « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين — فهذا آدم عليه السلام ثم قال — جعلناه نطفة » فهذا لولاه لأن آدم لم يُخلق من نطفة . ومن هذا الباب قوله جل ثناؤه « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوءكم » قيل : إنها نزلت في (إن حذافة) حين قال للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : من أي ؟ فقال : حذافة . وكان يسب به فسأه ذلك ، فنزلت « لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوءكم » . وقيل : نزلت في الحج حين قال القائل : أفي كل عام مرة ؟ ثم قال « وإن تسألوا عنها » يريد إن تسألوا عن أشياء أخرى من أمر دينكم ودنياكم بكم إلى علمها حاجة تبدلكم ثم قال « قدسأها » فهذه الهاء من غير الكنايتين لأن معناها : قد طلبها ، والسؤال هاهنا طلب ، وذلك كقوم عيسى عليه السلام حين سأله المائدة ، وكقوم موسى عليه

السلام حين قالوا « أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً » فالسؤال هاهنا طلب والسكناية مبتدأة .
 وربما كُنِيَ عن الجماعة كناية الواحد كقوله جل ثناؤه « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ؟ »
 أراد والله أعلم : بهذا الذي تقدم ذكره .

باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ الفاعل

والمعنى واحد

تقول العرب « هو مُدَجِّجٌ . ومُدَجِّجٌ » و « عبدٌ مَكَاتِبٌ . ومَكَاتِبٌ »
 و « شَاؤُ مُغْرَبٌ . ومُغْرَبٌ » و « سَجَنٌ مُخَيِّسٌ . ومُخَيِّسٌ » و « مكان
 عامرٌ . ومَعْمُورٌ » و « مَنْزِلٌ آهَلٌ . وَمَأْهُولٌ » و « نَفْسٌ الْمَرْأَةِ . وَنَفَسَتْ »
 و « لَا يَنْبَغِي لَكَ . وَلَا يُنْبَغِي لَكَ » و « عُنَيْتُ بِهِ . وَعُنَيْتُ » . قال :

عان بأخراها طویل الشغل

و « رُهِمَتِ الدَّابَّةُ . وَرَهِيصَتْ » و « سَعِدُوا . وَسَعَدُوا » و « زُهِىَ
 علينا . وَزَهَى »

باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة

وقد مضى في الاسماء مثله

العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة ، فيقولون « حلا الشيء » فإذا
 انتهى قالوا « احْلَوْلَى » . ويقولون « اقلولنى على فراشه » وينشدون :

واقْلَوْلَيْنِ فوقَ المضاجعِ

وقرأ (ابن عباس) « ألا انهم تَنَوَّنِي صدورهم » على هذا الذي قلناه
 من المبالغة .

باب الخصائص

للعرب كلام بالفاظ تختص به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها ، يكون في الخير والشرِّ والحسن وغيره وفي الليل والنهار وغير ذلك . من ذلك قولهم « مَكَانَكَ » قال أهلُ العلم : هي كلمة وُضِعَتْ على الوعيد ، قال الله جل ثناؤه « مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشَرَّ كَاؤُكُمْ » كأنَّه قيل لهم : انتظروا مكانكم حتى يُفْصَلَ بينكم . ومن ذلك قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكُذِبِ كَمَا يَتَتَابِعُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ » قال (أبو عبيد) : هو التهافت ، ولم نسمعه إلا في الشر . ومن ذلك « أُولَى لَهُ » وقد فسرناه . ومن ذلك « ظَلَّ فُلَانٌ يَفْعَلُ كَذَا » إذا فعله نهاراً . و « بات يفعل كذا » إذا فعله ليلاً . ومن ذلك ما أخبرني به (أبو الحسن علي بن ابراهيم) قال سمعت (أبا العباس المبرِّد) يقول : « التَّأْوِيبُ » سيرُ النهار لا تعرج فيه و « الْإِسَادُ » سيرُ الليل لا تعريس فيه . ومن الباب « جَعَلُوا أَحَادِيثَ » أي : مثيلَ بهم ، ولا يقال في الخير . ومنه « لَاعِدْوَانُ الْإِلَهِ الظَّالِمِينَ » .

ومن الخصائص في الأفعال قولهم « ظَنَنْتَنِي ، وَحَسِبْتَنِي . وَخَلَّتْنِي » لا يقال إلا فيما فيه أدنى شك ، ولا يقال « ضَرَبْتَنِي » .

ولا يكون « التَّأْيِينَ » إلا مدحَ الرجل ميتاً . ويقال « غَضِبْتُ بِهِ » إذا كان ميتاً . و « الْمَسَاعَاةُ » الزَّيْنُ بِالْأَمَاءِ خَاصَّةً . و « الرَّا كِبُ » راكب البعير خاصة . و « أَلَحَّ الْجَمْلُ » و « خَلَّاتِ النَّاقَةُ » و « حَرَّانَ الْفَرَسِ » و « نَفَسَتِ الْغَنَمُ » ليلاً و « هَمَلْتُ » نهاراً . قال (الخليل) : « الْيَعْمَلَةُ »

من الابل اسم اشتق من «العَمَل» ولا يقال إلا نلانات . قال : و«النعْتُ» وصف الشيء بما فيه من حَسَنٍ إِلَّا أَنْ يَتَكَفَّفَ متكاف فيقول «هذا نعتُ سوءٍ» فأما العرب العاربة فأنها تقول «للشيء نعت» يريدون به التهمة . قال (أبو حاتم) : «ليلة ذات أزيز» أي : قُرٌّ شديد . ولا يقال يوم ذو أزيز . قال (ابن دُرَيْد) : «أشَّ القومُ . وتَأَشَّشُوا» إذا قام بعضهم إلى بعض للشر لا للخير . ومن ذلك «جَزَزْتُ الشاةَ» و«حَلَقْتُ العنزَ» لا يكون الحَلَقُ في الضأن ولا الجزُّ في المعزى . و«خَفَضَتِ الجاريةُ» ولا يقال في الغلام . و«حَقَبَ البعيرُ» إذا لم يستقم بولُه لقصْدٍ ، ولا يَحْقَبُ إلا الجمل . قال (أبو زيد) : «أَبْلَمَتِ البَكْرَةُ» إذا ورم حياؤها لا يكون إلا للبكرة . و«عَدَنَتِ الابل في الحمض» لا تَعْدُنُ الا فيه . ويقال «غَطَّ البعيرُ» هَدَرَ ولا يقال في الناقة . ويقال «ما أطيب قداوة هذا الطعام» أي : ريحُه ولا يقال ذلك إلا في الطيبخ والشواء . و«لَقَعَهُ بَعْرَةٌ» ولا يقال بغيرها . و«فعلتُ ذاك قبل غيرٍ وما جرى» لا يُنْكَأَمُ به الا في الواجب ، لا يقال : سأفعله قبل غيرٍ وما جرى . ومن الباب ما لا يقال الا في النفي كقولهم «ما بها أَرِمٌ» أي ما بها أحد . وهذا كثير فيه أبواب قد صنفها العلماء .

باب نظم للمعرب لا يقول غيرهم

يقولون «عاد فلان شيخاً» وهو لم يكن شيخاً قط . و«عاد الماء آجناً» وهو لم يكن آجناً فيعود . ويقول (الهذلي) :
قد عادَ رَهْباً رَذِيّاً طائِشَ الْقَدَمِ

قال :

قطعتُ الدَّهْرَ في الشَّهَوَاتِ حَتَّى أَعَادَتْنِي عَسِيفاً عَبْدَ عَبْدِ

ومن هذا في كتاب الله جل ثناؤه « يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ »
 وهم لم يكونوا في نور قط . ومثله « يُرَدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرِ » وهو لم يكن في
 ذلك قط . وقال الله جل ثناؤه « حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ » فقال « عاد »
 ولم يكن عُرْجُونًا قبل .

باب اخراجهم الشيء المحمود بلفظ يؤهم غير ذلك
 يقولون « فلانٌ كريمٌ غير أنه شريف » و « كريمٌ غير أن له حساباً »
 وهو شيء تنفرد فيه العرب . قال (١) :
 ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنٌ فلول من قراع الكتائب
 وقال (٢) :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يُبقي من المال باقياً
 وهو كثير .

باب الافراط

العرب تُفْرِطُ في صفة الشيء مُجَاوِزَةً لِلْقَدْرِ اقْتِدَاراً عَلَى الْكَلَامِ كَقَوْلِهِ:
 بِحَيْلٍ (٣) تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ ترى الأكم فيه سُجْداً لِلْأَحْوَافِ
 ويقولون :

لما أتى خبر الزُّيْرِ تَوَاضَعَتْ سور المدينة وخشعت الجبال (٤)
 و : بكى حارثُ الجولان من هُلكِ رَبِّهِ (٥)

و :

(١) هو (النافذة الديباجي) . - الاصل (٢) هو (النافذة الجمدي) . - الاصل
 (٣) وفي رواية « بجيش » . - الشنيطي (٤) الرواية « والجبال الخشم » . - الشنيطي
 (٥) « حارث » اسم جبل . و « الجولان » موضع . - الاصل

لو أنك تلقى حنظلاً فوق بيضنا تحدرج
ويقولون :

ضربته في الملتقى ضربةً فزال عن منكبه الكاهلُ
فصارما بينهما رهوةً يمشي بها الرامحُ والنابلُ

باب نفي ضمنه اثبات

تقول العرب « ليس يُخلو ولا حامض » يريدون انه جمع من ذاوذا .
وفي كتاب الله جل ثناؤه « لشرقية ولا غربية » قال (أبو عبيدة) :
لشرقية تضحى للشرق ولا غربية لاتضحى للشرق لكنها شرقية غربية
يصيبها ذا وذا : الشرق والغرب .

باب الاشتراك

معنى الاشتراك : أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر ، كقوله
جل ثناؤه « فاقدفيه في اليم » ، فليقله اليم بالساحل « فقوله « فليقله » مشترك
بين الخبر وبين الأمر ، كأنه قال : فاقدفيه في اليم يقله اليم . ومحمّل أن
يكون اليم أمر باللقاء . ومنه قولهم . « أرايت » فهو مرة للاستفتاء والسؤال
كقولك « أرايت ان صلى الامامُ قاعداً كيف يصلي من خلقه ؟ » . ويكون
مرة للتنبيه ولا يقتضي مفعولاً ، قال الله جل ثناؤه « أرايت ان كذب
وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى » . ومن الباب قوله « ذرني ومن خلقت
وحيدا » فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جل ثناؤه لأنه انفرد بخلقه ،
ومحمّل أن يكون : خلقتُه وحيداً فريداً من ماله وولده .

باب يسميها بعض المحدثين : الاستطراد

وذلك أن يشبه شيء بشيء ثم يمرّ المتكلم في وصف المشبه، كقول الشاعر حين شبه ناقته فقال :

كَأَنِّي وَرَحْلِي إِذْ رُعْتُهَا عَلَى جَمَزِي جَازِيٍّ بِالرِّمَالِ
فشبهه ناقته بشور ومضى في وصف الثور ، ثم نقل الشبه الى الحمار فقال :
أَوْ أَصْحَمَ حَامٍ جَرَامِيزَهُ حَزَائِيَّةٍ حَبْدَى بِالذِّحَالِ
ومر في صفه العير الى آخر كلمته . وقد قيل : في كتاب الله جل ثناؤه
من هذا النظم قوله « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ » ولم يجر للذكر
خبر ، ثم قال « وَانَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » وجواب « ان الذين كفروا » قوله جل ثناؤه « أُولَئِكَ
يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ » .

باب الاتباع

للعرب الاتباع — وهو أن تُتَّبَعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويها
اشباعاً وتأكيذاً . وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال : هو شيء
تَدُّ بِهِ كَلَامُنَا . وذلك قولهم « سَاغِبٌ لَا غِبَّ » و « هُوَ خَبٌّ ضَبٌّ »
و « خَرَابٌ يَابٌ » . وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب .

باب الاوصاف التي لم يسمع لها بافعال

والأفعال التي لم يوصف بها

قال (الخليل) : « ظِيٌّ عَنَبَانٌ » أي نشيط ، قال : ولم نسمع للعنبان

فعلاً ، قال « يَشْدُ شَدَّ العَنَبَانِ البارح » قال : و « الخَضْبَةُ » صوت يخرج من قُنْب الدَّابَّة ولا فعل لها . ويقولون في التحقير « هو دُونٌ » ولا فعل له . قال (أبو زيد) : يقال للجبان « إنه لَمَفْؤْدٌ » ولا فعل له . قال : و « الخَبْطَةُ » مثل الرَّفَض من اللبن والماء ولا فعل لها . وقال : « أَمَجَدْتُ الأَبْلَ إِجْجَاداً » إذا أنت أَشْبَعْتَهَا ولا فعل لها في هذا . و « المَزِيَّةُ » الفضل ولا فعل لها . قال (أبو زيد) : يقال « مَسَاءَهُ وَنَاءَهُ » تَأْكِيدٌ للأول ولم يعرفوا من « نَاءَهُ » فعلاً ، لا يقولون « يَنْوَهُ » كما يقال « يَسُوهُ » . ومن الأفعال التي لم يُوصَف بها قولنا « ذَرَأَ اللهُ الخَاقَ » قال الله عز وجل « يَذْرُؤُكُمْ فيه » ولم يُسمع في صفاته جل ثناؤه « الذَّارِيءُ » .

باب النحبت

العرب تَنَحَّتْ من كلمتين كلمةً واحدةً ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك « رجل عَشَمِيٌّ » منسوب إلى اسمين ، وأنشد (الخليل) :
أقول لها ودمع العين جارِ أَلَمْ تَحْزُنْكَ حَيْعَلَةُ المُنَادِي
من قوله « حَيٌّ عَلَى » . وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد « ضَبَطْرٌ » من « ضَبَطَ » و « ضَبَرَ » . وفي قولهم « صَهْصَلَقٌ » إنه من « صَهَل » و « صَلَقَ » وفي « الصِّلْدَم » إنه من « الصِّلْد » و « الصَّدْم » . وقد ذكرنا ذلك بوجوهه في كتاب (مقاييس اللغة) .

باب الاشباع والتأكيد

تقول العرب « عَشْرَةٌ وَعَشْرَةٌ فتلک عشرون » وذلك زيادة في التأكيد .

ومنه قوله جل ثناؤه « فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة » وإنما قال هذا لنفي الاحتمال أن يكون أحدهما واجباً إما ثلاثة وأما سبعة فأكد وأزيل التوهم بأن جمع بينهما . ومن الباب قوله جل ثناؤه « ولا طائر يطير بجناحيه » إنما ذكر الجناحين لأن العرب قد تسمى الاسراع طيراً أنا ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « كلما سمع هيمة طار إليها أخرى » . وكذلك قوله « يقولون بألسنتهم » فذكر الألسنة لأن الناس يقولون « قال في نفسه كذا » قال الله جل ثناؤه « ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول » فأعلم أن ذلك باللسان دون كلام النفس .

باب الفصل بين الفعل والنعته

النعته يؤخذ عن الفعل نحو « قامَ فهو قائمٌ » وهذا الذي يسميه بعض النحويين (الدائم) وبعض يسميه (اسم الفاعل) . وتكون له رتبة زائدة على الفاعل . قال الله جل ثناؤه « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك » ولم يقل : لا تغل يدك ، وذلك أن النعته ألزم ، ألا ترى أنا نقول « وعصى آدم ربه فغوى » ولا نقول : آدم عاص غاو ، لأن النعوت لازمة وآدم وان كان عصى في شيء فإنه لم يكن شأنه العصيان فيسمى به ، فقوله جل ثناؤه « لا تجعل يدك مغلولة » أي لا تكونن عادتك المنع فتكون يدك مغلولة . ومنه قوله جل ثناؤه « وقال الرسول : يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » ولم يقل هجروا لأن شأن القوم كان هجران القرآن وشأن القرآن عندهم أن يهجروا أبداً فلذلك قال والله أعلم « اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » وهذا قياس الباب كله .

باب الشعر

الشعر - كلام موزونٌ مُتَقَيّ دَالٌ عَلَى مَعْنَى . ويكون أكثر من بيت .
 وإنما قلنا هذا لأنَّ جازاً اتِّفَاقُ سَطْرِ واحدٍ بوزنٍ يُشَبِّه وزنَ الشعر
 عن غير قصد ، فقد قيل : إن بعض الناس كتب في عنوان كتاب « للأُمير
 (المُسَيَّب بن زهير) - مِنْ عِتَالِ بْنِ شَبَّةَ بْنِ عِقَالٍ » فاستوى هذا في
 الوزن الذي يُسَمَّى « الخفيف » . ولعلَّ الكاتب لم يقصد به شعراً .

وقد ذكر ناس في هذا كلمات من كتاب الله جل ثناؤه كَرِهْنَا
 ذِكْرَهَا ، وقد نَزَّهَ اللهُ جل ثناؤه كتابه عن شَبِّهِ الشعر كما نَزَّهَ نَبِيَّهَ صَلَّى
 اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ . فإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا الْحِكْمَةُ فِي تَنْزِيهِهِ اللهُ
 جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ الشَّعْرِ ؟ قِيلَ لَهُ : أَوَّلُ مَا فِي ذَلِكَ حَكْمُ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّ
 « الشَّعْرَاءَ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، وَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا
 يَفْعَلُونَ » ثُمَّ قَالَ « الْآلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
 تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا وَأَكْثَرُ الصَّالِحِينَ عَمَلًا لِلصَّالِحَاتِ
 فَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ الشَّعْرُ بِحَالٍ ، لِأَنَّ لِلشَّعْرِ شَرَايِطَ لَا يُسَمَّى الْإِنْسَانُ بِغَيْرِهَا
 شَاعِرًا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ عَمِلَ كَلَامًا مُسْتَقِيمًا مُوزُونًا يَتَجَرَّى فِيهِ الصَّدَقُ
 مِنْ غَيْرِ أَنْ يُفَرِّطَ أَوْ يَتَعَدَّى أَوْ يَمِينَ أَوْ يَأْتِيَ فِيهِ بِأَشْيَاءَ لَا يُمْكِنُ كَوْنُهَا بَتَّةً لِمَا
 سَمَاهُ النَّاسُ شَاعِرًا وَلَوْ كَانَ مَا يَقُولُهُ مَخْسُوعًا سَاقِطًا . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ
 وَسُئِلَ عَنِ الشَّعْرِ فَقَالَ « إِنْ هَزَلَ أَضْحَاكَ ، وَإِنْ جَدَّ كَذَبَ » فَالشَّاعِرُ
 بَيْنَ كَذِبٍ وَإِضْحَاكٍ ، فَإِذَا كَانَ كَذَا فَقَدْ نَزَّهَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهَ صَلَّى اللهُ
 تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ عَنْ هَاتَيْنِ الْخِصْلَتَيْنِ وَعَنْ كُلِّ أَمْرٍ دَنِيءٍ .

وبعد فأننا لانكاد نرى شاعراً الاماد حاضراً أو هاجياً ذا قذع، وهذه
أوصاف لا تصلح لني . فان قال : فقد يكون من الشعر الحكم كما قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ان من البيان لسحراً ، وان من
الشعر لحكمة » أو قال « حكماً » — قيل له : انما نزه الله جل ثناؤه نبيه
عن قيل الشعر لما ذكرناه ، فأما الحكمة فقد آتاه الله جل ثناؤه من ذلك
القسم الأجل والنصيب الأوفى الأزكى : قال الله جل ثناؤه في صفة نبيه
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ويزكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »
وقال « واذكركم ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » فأيات الله
القرآن ، والحكمة سنته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . ومعنى آخر في
تنزيه الله جل ثناؤه نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قيل الشعر أن أهل
العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع . الا
أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم ، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف
المسموعة . فلما كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع ، والإيقاع ضرب
من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . وقد
قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ما أنا من ددٍ ولا ددٍ مني » .
والشعر ديوان العرب ، وبه حفظت الأنساب ، وعرفت المآثر ،
ومنه تعلمت اللغة . وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل
ثناؤه وغريب حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحديث
صحابته والتابعين .

وقد يكون شاعر أشعر ، وشعر أحلى وأظرف . فأما أن يتفاوت
الأشعار القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا . وبكلٍ محتج وإلى كلٍ

يُحتاج . فأما الاختيار الذي يراه الناس للناس فشهوات ، كلُّ مستحسنٍ شيئاً .
والشعراء أمراء الكلام ، يقصرون الممدود ، ولا يمدُّون المقصور ،
ويقدمون ويؤخرون ، ويومئون ويشيرون ، ويختلسون ويعيرون وليستعيرون .
فأما لحنٌ في إعراب أو إزالة كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك .
ولا معنى لقول من يقول : إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما
لا يجوز . ولا معنى لقول من قال :

ألم يأتِكَ والأُنباء تنمي

وهذا وإن صحَّ وما أشبهه من قوله :

لما جفا أخوانه مصعباً

وقوله : قفا عند مما تعرفان ربوع

فكأنه غلط وخطأ . وما جعل الله الشعراء معصومين يُوقون الخطأ
والغلط ، فما صحَّ من شعرهم فقبول ، وما أبتُه العريية وأصولها فردود .
بلى للشاعر إذا لم يطرذ له الذي يُريده في وزن شعره أن يأتي بما يقوم
مقامه بسطاً واختصاراً وابتدالاً بعد أن لا يكون فيما يأتيه مخطئاً أو لاحقاً ،
فله أن يقول :

كالنحل في ماء رُضابِ العذب

وهو يُريد العسل ، وله أن يقول :

مثل الفئيق هَناءُته بعصيم

و «العصيم» أثر الهناء . وإنما أراد هَناءُته بهناء . وله أن يبسط فيقول

كما قال (الأعشى) :

ان تر كُبوأ فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإنا معشر نزل

معناه : ان تركبوا رَكَبًا وان تنزلوا نزلنا ، لكن لم يستقم له الا
بالبسط وكذلك قوله :

وان تسكني نجداً فيا حبذا نجد

أراد : ان تسكني نجداً سكناه ، فبسط لما أراد إقامة الشعر ، أنشد فيها
أبي (فارسي بن زكرياء) قال أنشدني (أبو عبد الله محمد بن سعدان النحوي
الهمداني) قال أنشدني (أبو نصر) صاحب الأصمعي :

قَضَيْتُ الْغَوَانِي ، غَيْرَ أَنَّ مَوَدَّةً لِذَلْفَاءٍ مَا قَضَيْتُ آخِرَهَا بَعْدُ
فِيَارَبُّوَةِ الرَّبْعَيْنِ حَيْثُ رَبْوَةٌ عَلَى النَّأْيِ مِنِّي ، وَاسْتَهْلَ بِكَ الرَّغْدُ
فَإِنْ تَدْعِي نَجْدًا نَدَعُهُ وَمَنْ بِهِ وَان تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبْذَا نَجْدُ (١)
وما سوى هذا مما ذَكَرْتَ الرُّوَاةُ أَنَّ الشُّعْرَاءَ غَلَطُوا فِيهِ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ
فِي (كِتَابِ خُضَارَةِ) وَهُوَ (كِتَابُ نَعْتِ الشَّعْرِ) .

وهذا (تَمَامُ الْكِتَابِ الصَّاحِبِيِّ) أَتَمَّ اللَّهُ عَلَى (الصَّاحِبِ) الْجَلِيلِ النَّعَمَ ،
وَأَسْبَغَ لَهُ الْمَوَاهِبَ ، وَسَنَّى لَهُ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ
عَلَيْهِ . وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .



وكتب (نوح بن أحمد اللوباساني) في شعبان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة .
كذا بأصله المقروء على المؤلف وعليه خطه .

(١) الايات من نظم (شمر بن عمرو) وأولها :

بحيث التقى الدارات والجرع لمن دمنتان ليس لي بهما عهد

فهرس

الصَّاحِبِيُّ

في فقه اللغة ولسان العرب في كلامها

صفحة

مقدمة النشر :

٣	حاجة الأمة العربية الى إحياء لغتها وآدابها
٣	الأصل الذي طبع (الصاحبي) عنه .
٤	ما كتبه المؤلف على النسخة التي في القسطنطينية
٤	ما كتبه المرحوم الشنقيطي على نسخته المنقول عنها
	ترجمة ابن فارس :
أ	نسبه ومولده . البلد الذي قريء فيه (الصاحبي) عليه
ب	أساتذته وتنقله في طلب العلم
ج	علمه وتلاميذه
د	أمياله
هـ	رسالته الى (ابن سعيد الكاتب) في المفاضلة بين شعراء الجاهلية والمؤلفين
ي	مصنفاته
يب	شعره
به	قصيدته في معاني (العين)

صفحة

يز ابن فارس وابن بابك

ك وفاته

الصاحبي:

- ٢ تقديم الكتاب الى خزانة (الصاحب بن عباد) وتسميته باسمه
- ٢ أصل علم العرب وفرعه والفرق بينهما
- ٥ باب القول على لغة العرب : أتوقيف أم اصطلاح ؟
- ٥ أقوال العلماء في ذلك . انتصار ابن فارس لقول (ابن عباس)
- ٦ اللغات لاتجبيء جملة واحدة وفي زمان واحد
- ٧ باب القول على الخط العربي ، وأول من كتب به
- ٧ الروايات في ذلك . مذهب ابن فارس فيه
- ٨ هل كانت العرب العاربة تعرف أسماء الحروف ، ومصطلحات العربية ، وعروض الشعر ؟
- ٩ مثال لكيفية كتابة المصحف في زمن عثمان رضي الله عنه
- ١٠ علم العربية وعلم العروض قبل (أبي الأسود) و (الخليل بن أحمد)
- ١١ املاء المصاحف واتباعه في غيرها
- ١٢ باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها
- ٩٢ معنى « البيان » وفضل العربية بسعتها فيه
- ١٣ إعجاز القرآن واستحالة ترجمته بإيجازه وإعجازه
- ١٤ بلاغة العرب
- ١٥ بعض خصائص العربية مثل : القلب . عدم الجمع بين الساكنين .

- ١٥ اختلاس الحركات . الادغام . الحذف . اضمار الأفعال . كثرة المترادفات بكثرة أوصاف مدلولاتها .
- ١٦ بعض جوامع الكلم من أقوال العرب وآيات القرآن
- ١٨ باب القول على لغة العرب ، وهل يجوز أن يُحاطَ بها ؛
- ١٨ ورع (الخليل بن أحمد) والرد على من نسب إليه أنه أحاط بلغة العرب
- ١٩ باب القول في اختلاف لغات العرب : اختلافهم في الحركات . في الحركة والسكون . في إبدال الحروف . في الهمز والتلين . في التقديم والتأخير . في الحذف والاثبات . في الحرف الصحيح والحرف المعتل .
- ٢٠ اختلافهم في الإمالة والتفخيم . في الحرف الساكن يستقبله مثله . في التذكير والتأنيث . في الادغام . في الاعراب .
- ٢١ الاختلاف في صورة الجمع . في التحقيق والاختلاس . في الوقف على هاء التأنيث . في الزيادة
- ٢٢ اختلاف التضاد : قول حمير للقائم « ثب » أي « اقعده »
- ٢٣ باب القول في أفصح العرب . فصاحة قريش ومكانتها من العرب
- ٢٤ باب اللغات المذمومة : غنعة تميم . كشكشة أسد . كسكسة ربيعة . الحروف التي لا تتكلم العرب بها الا ضرورة
- ٢٥ قاف بني تميم . ياء النسب التي تجعل جيماً . الكاف التي تحوّل شيناً .
- ٢٦ ولدا سماعيل وولد قحطان : ليس اختلاف اللغات قادحاً في الانساب . الخزم .
- ٢٨ باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن
- وأَنَّهُ ليس في كتاب الله شيء بغير لغة العرب

- ٢٨ القبائل التي نزل القرآن بلغاتها
- ٢٩ توفيق (أبي عبيد) بين القائلين بأن القرآن كله عربي والقائلين بأن فيه كلاماً أعجمياً. رأي ابن فارس في أصحاب المقالات المتخالفة
- ٣٠ لوجه لقول من يُجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية
- ٣٠ باب القول في مأخذ اللغة
- ٣١ باب القول في الاحتجاج باللغة العربية
- ٣١ مخاطبة العلماء للعامة باللهجة العامية لا يعيهم ، والدفاع عن (مالك بن أنس) في ذلك . وجوب وقوف العلماء على علم العربية
- ٣٣ باب القول على لغة العرب : هل لها قياس ، وهل يُشتقّ بعض الكلام من بعض ؟
- ٣٤ باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها ، وأنّ الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير ، وأنّ كثيراً من الكلام ذهب بذهب أهله .
- ٣٥ الزجر والدعاء الذي لا يفهم موضوعه
- ٣٦ المشتبه الذي لا يقال فيه اليوم الا بالتقريب والاحتمال
- ٣٨ باب انتهاء الخلاف في اللغات . مافيه لغتان . وثلاث . وأربع . وخمس . وست . أبواب الكلام الأربعة : المجمع عليه . مافيه فصيح وأفصح . مافيه لغات متساوية . مافيه لغة واحدة فغير فيها الموالدون
- ٤٠ باب مراتب الكلام في وضوحه واشكاله . مصادر الاشكال
- ٤٢ باب ذكر ما اختلفت به العرب : اعراب الكلمات .

- ٤٣ الشعر العربي . أنساب العرب . نراهم عن مخالطة ذوات المحارم
- ٤٤ باب الأسباب الإسلامية . آداب العرب قبل الإسلام وبعده
- ٤٥ الاصطلاحات الدينية في الإسلام
- ٤٨ باب القول في حقيقة الكلام . حد الكلام وأنواعه
- ٤٩ باب أقسام الكلام . تعريف الاسم
- ٥٢ باب الفعل
- ٥٣ باب الحرف
- ٥٤ باب أجناس الأسماء : الفارق . المفارق . المشتق . المضاف . المقتضي
- ٥٥ تقسيم آخر للأسماء
- ٥٦ باب النعت
- ٥٧ باب القول على الاسم من أي شيء أخذ ؟
- ٥٨ باب آخر في الأسماء : الأسماء التي حدثت في صدر الإسلام ، والتي كانت فزالت
- ٦١ باب ماجرى مجرى الأسماء وإنما هي ألقاب
- ٦٢ سبب تسمية العرب أولادها بكلب وقرود وتمر وأسد
- ٦٣ باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص على المجاورة والسبب
- ٦٤ باب القول في أصول أسماء قيس عليها وألقابها غيرها
- ٦٥ باب الأسماء كيف تقع على المسميات : تسمية شيئين مختلفين باسمين مختلفين . تسمية أشياء كثيرة باسم واحد . تسمية شيء واحد بأسماء كثيرة . المترادفات تختلف باختلاف أوصافها

- ٦٩ باب الاسمين المصطلحين
- ٧٠ باب زيادات الأسماء
- ٧١ باب الحروف وأصلها . من خصائص العرب انفرادها بالهمزة في عرض الكلام . الحاء والظاء والضاد مقصورة على العرب . باب دخول (الف التعريف ولامه) في الاسماء
- ٧٢ باب الالف المبتدء بها
- ٧٣ باب وجوه دخول (الألف) في الافعال
- ٧٥ باب (الباء)
- ٧٩ باب (التاء)
- ٨٠ التاء . الجيم . الحاء والحاء . الدال . الراء
- ٨١ الزاي . السين . الشين . العين . باب (الفاء) .
- ٨٢ القاف . باب (الكاف)
- ٨٣ باب (اللام)
- ٨٧ باب زيادة (الميم)
- ٨٨ النون
- ٨٩ الهاء . باب (الواو)
- ٩٢ باب (الياء)
- ٩٣ باب القول على الحروف المفردة الدالة على المعنى . الأفعال التي يكون الأمر فيها بحرف واحد . الحروف التي في فوائح السور ومذاهب العلماء فيها
- ٩٦ مذهب ابن فارس في ذلك

- ٩٧ باب الكلام على حروف المعنى . ما أوله (أنف) : باب (أم)
- ٩٩ باب (أو)
- ١٠١ باب (إي) و (أي) . باب (إن . وأن . وإن . وأن)
- ١٠٤ باب (إلى)
- ١٠٥ باب (ألا) . باب (إنما)
- ١٠٦ باب (إلا) . اصل الاستثناء
- ١٠٧ استثناء القليل من الكثير وعكسه . معاني (إلا)
- ١٠٩ باب من (الاستثناء) آخر . قول (مالك) في « الجائحة » والانتصار له
- ١١٠ باب (إيا) . باب (إذا)
- ١١١ باب (إذ)
- ١١٣ باب (إذا) . باب (أي) . باب (أني)
- ١١٤ باب (أين) و (أيما) . باب (أيان) وأصلها . باب (الآن)
- ١١٥ أصل (الآن) . بناؤها
- ١١٦ باب « إمّالا » وتركيبها . باب « أمّا » و « إمّا » . ما أوله « باء » : « بلى » وأصلها
- ١١٧ « بلى » . « بآه » . « بيد » . « بينا » و « بينما » واشتقاقهما . بعد
- ١١٩ ما أوله « تاء » : « تعال » واشتقاقها . ما أوله « ثاء » : « ثم »
- ١٢٠ « ثم » . ما أوله « جيم » : « جبر »
- ١٢١ « لا جرم » وتركيبها
- ١٢٢ ما أوله « حاء » : « حتى »

صفحة

- ١٢٣ « حاشا » واشتقاقها . ما أوله « خاء » : « خلا » و « ما خلا » وأصلهما
ما أوله « راء » : « رُبَّ »
- ١٢٤ « رُوِيَ » وأصلها . « ذو » و « ذات »
- ١٢٥ « سوف » . « سوى »
- ١٢٦ « سيّما » وأصلها . « شتّان » وأصلها . « عن »
- ١٢٧ « على » . « عوض » . « عسى »
- ١٢٨ « غير » . « في »
- ١٢٩ « قد » . « كم » وأصلها
- ١٣٠ « كيف »
- ١٣١ « كاد » . « كان »
- ١٣٢ « كائن » . « كأن » وأصلها
- ١٣٣ « كلاً » وأصلها
- ١٣٤ « لو » و « لولا »
- ١٣٥ « لم » و « ولما »
- ١٣٦ « لن » وأصلها . « لا »
- ١٣٧ دخول « لا » توكيداً
- ١٣٨ زيادة « لا »
- ١٣٩ « لات » وأصلها
- ١٤٠ « لذن » . « لذي » . « ليس »
- ١٤١ « لعل » . « لكن »

- ١٤٢ «مُدَّ» و «مُنْدُ» . «ما»
- ١٤٣ «مِن»
- ١٤٤ «مَنْ»
- ١٤٥ «مَه» و «مِهما» . «متى»
- ١٤٦ «نَعَمْ» و «نَعَمْ» . «هَلَمْ» . «ها» . «هات» . «وَيَكُنَّ»
- ١٤٧ أصل «وَيَكُنَّ»
- ١٤٨ «أَوْ لَى» . قول في اشتقاقها . «يا»
- ١٥٠ باب معاني الكلام وأقسامه: باب الخبر . المعاني التي يحتملها لفظ الخبر
- ١٥١ باب الاستخبار : الفرق بين الاستخبار والاستفهام
- ١٥٢ المعاني التي يحتملها لفظ الاستخبار
- ١٥٣ حذف ألف الاستفهام . باب الأمر
- ١٥٤ المعاني التي يحتملها لفظ الأمر
- ١٥٥ حال الأمر في وجوبه وعدم وجوبه
- ١٥٦ النهي . الدعاء والطلب . العرض والتضيض والفرق بينهما .
- ١٥٧ مجيء «لولا» لمعنى التضيض . التمني . التعجب .
- ١٥٨ باب الخطاب يأتي بلفظ المذكر ، أو لجماعة الذكور . معنى كلمة «القوم»
- ١٥٩ أقل العدد الجمع . تفسير «ابن عباس» لفظ «الاخوة» بأكثر من اثنين
- ١٦٠ باب الخطاب الذي يقع به الافهام من القائل ، والفهم من السامع .
- ١٦١ مزية الاعراب في اللغة العربية . تفريق العرب بين المعاني بالحركات .
- ١٦٢ مزية التصريف في اللغة العربية . معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء

- ١٦٣ « المعنى » واشتقاقه . « التفسير » واشتقاقه
- ١٦٤ « التأويل » واشتقاقه . باب الخطاب المطلق والمقيد . الاطلاق .
- ١٦٥ التقييد
- ١٦٦ باب الشيء يكون ذاوصفين فيعلق بحُكم من الأحكام على أحدوصفيه .
مذهب العرب ومذهب الفقهاء في ذلك . رد مذهب « أبي عبيد »
- ١٦٧ باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز . معنى « الحقيقة » واشتقاقها .
- ١٦٨ معنى « المجاز » واشتقاقه والأمثلة عليه .
- ١٦٩ سنة العرب في مخالفة ظاهر اللفظ معناه . رد قول « ابن قتيبة » .
- ١٧٠ اطلاقات « ابن قتيبة » المنكرة .
- ١٧١ باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق . اختلاف اللفظ والمعنى . اتفاق
اللفظ واختلاف المعنى . اتفاق اللفظ وتضاد المعنى . تقارب اللفظين والمعنيين
- ١٧٢ اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين . تقارب اللفظين واختلاف المعنيين .
- باب القلب . القلب في الحكمة . القلب في القصة
- ١٧٣ باب الابدال في الحروف . باب الاستعارة
- ١٧٥ باب الحذف والاختصار . باب الزيادة
- ١٧٦ زيادة الأسماء . زيادة الأفعال . زيادة حروف المعاني .
- ١٧٧ باب التكرار . تكرير الكلمة والجملة . تكرير الأنباء والقصص في القرآن .
- ١٧٨ باب العموم والخصوص . العام . الخاص . الكلامان المتصلان يكون أحدهما
عاماً والآخر خاصاً . العام الذي يراد به الخاص
- ١٧٩ الخاص الذي يراد به العام . باب اضافة الفعل الى ما ليس بفاعل في الحقيقة .

- ١٨٠ باب الواحد يراد به الجمع . باب الجمع يراد به واحد واثنان .
- ١٨١ باب آخر . وصف الجميع بصفة الواحد . وصف الواحد بصفة الجميع
- ١٨٢ الجمع الذي يراد به الاثنان . باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع . باب ذكر جماعة وجماعة أو جماعة وواحد والاخبار عنهما بلفظ الاثنين .
- باب مخاطبة الواحد خطاب الجمع له ولغيره .
- ١٨٣ تحويل الخطاب من الشاهد الى الغائب . تحويله من الغائب الى الشاهد
- ١٨٤ مخاطبة المخاطب ثم يجعل لغيره . أو يخبر عن شيء ثم يجعل الخبر المتصل به لغيره
- ١٨٥ باب الشئيين ينسب الفعل اليهما وهو لأحدهما . باب نسبة الفعل الى أحد اثنين وهو لهما
- ١٨٦ باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين . باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل ولفظ المستقبل وهو ماضٍ
- ١٨٧ باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل
- ١٨٨ باب آخر في وصف الشيء بما يقع فيه أو هو . نه
- ١٨٩ باب معاني أبنية الأفعال : فَعَلْتُ . أَفْعَلَ . فاعَلَ . تَفَاعَلَ . تَفَعَّلَ .
- ١٩٠ استَفْعَلَ . افْتَعَلَ . انْفَعَلَ . باب الفعل اللازم والمتعدي بلفظ واحد .
- باب البناء الدال على الكثرة
- ٩١ باب الأبنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف
- ١٩٢ باب الفرق بين ضدين بحرف أو حركة . باب التوهم والايهام
- ١٩٣ باب البسط في الأسماء
- ١٩٤ باب القبض

- ١٩٥ باب الحمازة والجزاء على الفعل بمثل لفظه
- ١٩٦ باب الاضمار : أقسام الاضمار . إضمار الأسماء
- ١٩٧ باب إضمار الحروف
- ١٩٨ باب إضمار الأفعال . باب من الاضمار آخر
- ١٩٩ باب التعويض : إقامة الفعل الماضي مقام الراهن . والمصدر مقام الأمر
- ٢٠٠ إقامة الفاعل مقام المصدر . والمفعول مقام المصدر . والمصدر مقام الفعل .
ووضعهم «فعيلاً» في موضع «مفعّل» و «مفعّل»
- ٢٠١ وضعهم «مفعولاً» بمعنى «فاعل» . والفعل مقام الحال . باب من
النظم الذي جاء في القرآن : الاقتصاص .
- ٢٠٢ الأمر المحتاج الى بيان وبيانه متصل به . ما يكون بيانه مضمراً فيه
- ٢٠٣ باب ما يكون بيانه منفصلاً منه ويجيء في السورة معها أو في غيرها
- ٢٠٥ باب آخر من نظوم القرآن : مجيء الكلمة الى جنب الكلمة كأنها معها
وهي ليست كذلك . باب اضافة الشيء الى من ليس له لاتصاله به
- ٢٠٦ باب إضافة الشيء الى نفسه والى نعته . باب جمع شيئين الابتداء
بهما وجمع خبريهما ، ثم يرد الى كل مبتدئ به خبره .
- ٢٠٨ باب التقديم والتأخير
- ٢٠٩ باب الاعتراض
- ٢١٠ باب الاءاء
- ٢١١ اضافة الفعل الى من وقع به . ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم في الاخبار عنه
- ٢١٢ باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله

- ٢١٣ باب الاثنين يعبر عنهما بهما مرة وبأحدهما مرة . باب الحمل
- ٢١٤ ألفاظ الجمع والواحد والاثنين . ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزء
- ٢١٥ باب الكف
- ٢١٦ باب الاعارة . باب « أفعل » في الأوصاف لا يراد به التفضيل
- ٢١٧ باب نفي الشيء جملة من أجل عدمه كمال صفته .
- ٢١٨ باب الشرط وأقسامه . باب الكناية وأقسامها
- ٢١٩ باب الثاني من الكناية « الضمائر »
- ٢٢٠ باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول ومرة بلفظ الفاعل والغنى واحد
- باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة وقد مضى في الأسماء مثله
- ٢٢٢ باب الخصائص
- ٢٢٣ باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم
- ٢٢٤ باب إخراجهم الشيء المحمود بلفظ يؤم غير ذلك . باب الإفراط
- ٢٢٥ باب نفي ضمنه إثبات . باب الاشتراك .
- ٢٢٦ باب يسميه بعض المحدثين « الاستطراد » . باب الاتباع . باب الأوصاف
- التي لم يُسمع لها بأفعال والأفعال التي لم يوصف بها
- ٢٢٧ باب النعت . باب الاشباع والتأكيد
- ٢٢٨ باب الفصل بين الفعل والنعت
- ٢٢٩ من حد الشعر . تنزيه الله سبحانه كتابه عن شبه الشعر ونبه عن قوله
- ٢٣٠ حمة الشعراء والحكمة النبوية . مزاي الشعر ومحاسنه . مراتب الشعر .
- ٢٣١ ما يجوز للشاعر وما لا يجوز .
- ٢٣٢ تمام الكتاب الصاحبي

(تنبيه)

وقع في أثناء الطبع بعض غلطات مطبعية لم ينتبه النظر اليها أثناء التصحيح ، فأحببنا أن نأتي هنا على تصحيحها رجاء أن يعود القاري فيصحيحها ، كيلا تكون نسخة (الصاحبي) بعد الطبع دونها قبله ، وهذا ما كنا نؤمله عند الشروع في طبعه . وإلى القاري تصحيح تلك الكلمات :

(صفحة ب : سطر ١) الخصيب . (ب : ٢٣) فلقيت .
 (ج : ١٥) الدولة . (هـ : ١٢) الانكار . (ز : ١٢) وقيت .
 (يب : ٩) فؤاده (ك : ١٥) وباعلاني . (٤ : هامش)
 لانك . (٨ : ٥) خُصِفَ . (١٤ : ٤) النشائي . (٩ : ١٦)
 الائمة اللطيف والاشارة . (١٨ : ٥) ادعى . (٣ : ٢١)
 الاعراب . (٣ : ٢٥) كَمَل . (٦ : ٢٧) فان . (١٤ : ٤٦)
 الصيام أصله . (٣ : ٧٤) قَشَعْتُهُ . أترَفْتُ (٩ : ٧٤) يقع .
 (٣ : ٨٠) بني السعلات . (٥ : ٩٩) عمرو . (١٠٤ : هامش)
 ألاأيها اللاحي (٢٠ : ١٠٧) ولا كثيره . (٦ : ١٢١) فناديت .
 (١٣٩ : هامش) نقاد . (١٤٠ : هامش) رَيْشَتُ . (٨ : ١٤٢)
 الابل . (٥ : ١٧٤) السَّاقُ . (١٧ : ١٧٨) العام . الخاص .